

الاستاذ الدكتور
عبد الجليل التميمي

دراسات في التاريخ العربي العثماني 1918 - 1453

مكتبة التاريخ العثماني

منشوراً
مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات
(سيرميدي)
زغوان - مارس 1994

منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات (سيرمدي)

المدير المسؤول

د. د. عبد الجليل التميمي

الاستاذ بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة تونس الاولى

من نشاط المركز :

انشى هذا المركز منذ ثنائي سنوات بمدينة زغوان من طرف د. عبد الجليل التميمي، الاستاذ بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية لجامعة تونس الاولى . و من أهدافه :

- إنشاء مركز معلومات تاريخية عثمانية وموريسكية وتوثيق ومعلومات وقاعدة بيانات للارشادات البيولوجرافية بالموضوعات السالفة الذكر.

- إنشاء مكتبة متخصصة في هذه الاختصاصات الحيوية من العرقة وهي المكتبة التي قد انتتحت في مارس 1989 .

- القيام بالدراسات والبحوث والنشر في مجال الدراسات العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات والارشيف (راجع قائمة منشورات اسفله ص 115-116) .

- إرساء تعاون علمي بين الباحثين العرب والأتراك والفرنسيين والإسبان وكل التخصصين الدوليين الذين يشاركوننا هذا الإختصاص .

- يضع المركز سيرمدي على ذمته الباحثين تسعة عشر شقة لإقامتهم من أجل إجراء بحوثهم.

- يشرف المركز على نشر دورتين أكاديميتين هي : المجلة التاريخية المغاربية التي بدأت صدورها منذ سنة 1974 وسوف يصدر العدد 73-76 قريباً . والمجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، وسوف يصدر العدد 9 و10 قريباً .

نظم المركز اثنا عشر مؤتمر على المستوى العربي والدولي جمعت أهم المتخصصين العرب والدوليين حول الدراسات العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات.

حقوق الطبع محفوظة للمركز - الطبعة الاولى - جانفي 1994 .

©

و يمنع طبع الكتاب أو الإقتباس منه بكل طرق الطبع والتصوير كما يمنع الترجمة إلا بإذن من المركز .

- تم تصنيف هذا الكتاب على الوحدة الاعلامية Apple Macintosh أبل ماكنتوش بسيرمدي.

أما السحب فقد تم بمطبعة بايريس - نابل في شهر مارس 1994

الهاتف : من تونس : 02 676 446

من الخارج : 216 2676 446

الفاكس من الخارج : 216 2676 710

من تونس : 02 676 710

يطلب هذا الكتاب من العنوان التالي : سيرمدي، ص.ب 50، زغوان (1110). ج.التونسية

م. ت. ك. ك. ISBN 9973-719-36-0

كتب المؤلف

-- بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، الجزائر وتونس وليبيا من 1816 الى 1871، الطبعة الاولى، الدار التونسية للنشر 1972 والطبعة الثانية، 254 ص، تونس، 1984.

-- نفس الكتاب باللغة الفرنسية مع اضافة عدد من الوثائق الاجنبية الجديدة :

Recherches et documents d'Histoire Maghrébine: l'Algérie, la Tunisie et la Tripolitaine (1816-1871), 333p. 1er édition, Publications de la Faculté des Sciences Humaines et Sociales de Tunis l'Université de Tunis, 1971; 2eme édition, Tunis, 1979, 206p.

"Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bcy (1830-1837)", 303p+24 planches, Tunis, 1978, 303p.

-- موجز الدفاتر العربية والتركية بالجزائر، 196 ص، تونس، 1983.

-- نفس الكتاب بالفرنسية : Sommaire des registres arabes et turcs d'Alger, Tunis, 1979.

-- الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الاندلسيين ، 185 ص ، باللغتين العربية والفرنسية، منشورات سيرمدي، زغوان، 1989.

-- وثيقة من الاملاك المحبسة باسم الجامع الاظم بمدينة الجزائر ، باللغتين العربية والفرنسية ، تونس 1980.

-- الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب افريقيا خلال العصر الحديث ، باللغتين العربية والفرنسية ، 80 ص ، تونس 1981.

-- كشاف المجلة التاريخية المغاربية ، 404 ص، باللغتين العربية والفرنسية، منشورات سيرمدي ، زغوان 1988.

-- دراسات في التاريخ الموريسكي الاندلسي ، 172 ص، منشورات سيرمدي باللغتين العربية والفرنسية ، فيفري 1993.

-- دراسات في التاريخ العربي - العثماني ، بالدرية والفرنسية ، 206 ص ، سيرمدي مارس 1994.

(مسائل دكتوراه عربيها المؤلف عن اللغتين التركية والفرنسية :

- د. ارجمت كوراي : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسية للجزائر ، 1827 - 1847 ، 110 ص ، الطبعة الاولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية لجامعة تونس ، تونس ، 1970 . الطبعة الثانية، تونس 1974.

- د. عبد الرحمن تشايحي، المسألة التونسية والسياسة العثمانية 1881 - 1911، منشورات المكتبة الشرقية، تونس، 1974، 331 ص .

- د. لويس كاردياك ، الموريسكيون الاندلسيون والمسيحيون، المجابهة الجدلية 1492 = 1640 مع دراسة من الموريسكيين الاندلسيين بامريكا ، 200 ص، الطبعة الاولى 1983 . الطبعة الثانية تونس، منشورات سيرمدي - زغوان ، 1989 . 200 ص .

1- القسم العربي

- 7 تقديم -
الدراسة الأولى:
- 9 أهمية الموروث التاريخي العربي - العثماني وتأثيره على
العلاقات العربية التركية
الدراسة الثانية:
- 23 العلاقات العربية - العثمانية بعد فتح القسطنطينية سنة
1453
الدراسة الثالثة:
- 47 سياسة الاتحاديين ببلاد الشام والثورة العربية سنة 1916 :
محاولة جديدة للفهم
الدراسة الرابعة:
- 81 العلاقات الحجازية - الفرنسية على ضوء رسالة من شريف
مكة وأميرها الحسين بن علي الى رئيس الجمهورية الفرنسية ريمون
بوانكري
الدراسة الخامسة:
- 89 العرب والاتراك في اطار الدولة العثمانية
الدراسة السادسة:
- 93 اشكالية البحث التاريخي العربي من الولايات العربية اثناء
العهد العثماني
الدراسة السابعة:
- 102 كشاف الاعلام والمجموعات
الدراسة الثامنة:

- 108 - كشاف الاماكن الجغرافية
- 112 - القسم العربي للبيليوغرافيا
- 115 - آخر قائمة منشورات سيرمدي

2 - القسم الفونسي

- 90-1 نفس محتوى القسم العربي

هذه الدراسات التي نشرها اليوم والتي أعدت وقدمت في مؤتمرات تاريخية ، تمحورت جميعها حول بعض إشكاليات التاريخ العربي-العثماني، وهو الموضوع الذي أصبح يحظى خلال السنوات الاخيرة ، باهتمام جدي من لدن المؤسسات البحثية في الوطن العربي و تركيا . و لا شك أن هذا الإهتمام الجديد سيكون مبعث ارتياح العاملين والمؤمنين ، منذ ثلاثين سنة ، باهمية و حيوية و دقة وتأثير هذا الموضوع على مستقبل هلاقات الامتن العربية و التركية .

لقد ران صمت رهيب و معارضة شديدة في الماضي من لدن المؤسسات البحثية والجامعية في البلاد العربية و تركيا للعمل على ارساء مبادئ الحوار الهادف العلمي والاقتصادي والسياسي بين الطرفين . وقد نتج عن ذلك حتما قطيعة و تجاهل مطلق لدقة التحولات الحاصلة هي كلا الساحتين العربية و التركية ، وهو ما يفسر مدى تأرجح العلاقات العربية- التركية صعودا و هبوطا وفقا لنوعية القضايا و المشاكل المطروحة والتي في كثير من الاحيان قد وصلت الى طريق مسدود ، نتيجة عدم اقرار لغة الحوار و التفاهم والتشاور بينهما منذ أمد بعيد. و زاد الوضع سوء ، أن الخلفية التاريخية للمسؤولين العرب والأتراك والصحفيين ورجال الاعلام قد تحكمت سلبا في سلوكهما و مواقفهما وتشددهما وهدم الثقة القائمة بينهما. وهذا ما يبرز مدى عمق القطيعة التي تفصل بينهما .

نهدف من نشر هذه الدراسات الست التي قمنا بتجميعها في هذا الكتاب ، المساهمة في ارساء الحوار العلمي والسياسي بين الامتين العربية والتركية ، بعيدا عن صيغ التعميمات والإتهامات والتأويلات التاريخية المضللة التي سادت المناخ العربي- التركي منذ مدة طويلة .

هل نؤمل أن تصل نتائج هذه البحوث التاريخية الى صانعي القرار السياسي والاقتصادي والمعرفي و رجال الصحافة والإعلام حتي يعمل كل من موقعه ، على الإقتناع بحتمية التواصل والتكامل ، وعلى الخصوص العمل على فتح صفحة جديدة للعلاقات العربية-التركية و سوف تبقى دوما

من دماء هذا الحوار و تعزيذه مستقبلا و على جميع المستويات .

* * *

لا بد لي في خاتمة هذه الكلمة ، أن أقدم للسيد بيار فورنيبي والأنسة اليزابت ريشفور من محافظي أرشيف الخارجية الفرنسية بباريس ، كامل التقدير و الإمتنان للمساهمة التي تفضلا بها علي بتصوير بعض وثائق الخارجية الفرنسية والتي وظفت في بعض بحوثنا المنشورة في هذا الكتاب.

عبد الجليل التميمم

سبتمبر 8 مارس 1994

اهمية الموروث التاريخي العربي- العثماني وتأثيره على العلاقات العربية التركية*

مما لا شك فيه أن الوطن العربي وتركيا يعرفان اليوم على المستوى السياسي والاقتصادي والجامعي ، عددا من التحولات والمواقف الجديدة التي فرضتها طبيعة المتغيرات الجذرية الحاسمة، والتي ، على الرغم من حدتها وتباعد فلسفة أيديولوجيتها ، إلا أنها أمنت وحافظت على خصوصيات الجذع المشترك للإنسان العربي والتركي على حد سواء ، وهي الخصوصيات التي صنعها وكيفها سلبا وإيجابا ، المسار التاريخي المشترك للامتين خلال خمسة قرون .

وبحثنا هذا ، يسعى الى استكناه تلك الخصوصيات والعوامل الفاعلة والمؤثرة اليوم في الوعي التاريخي والسلوكي لإنسانية الفرد العربي والتركي ، باعتبار أن ذلك شكل ومازال - على الرغم من الهزات والخيبات السياسية و مواقف سياسيي الفريقين منذ أحداث الحرب العالمية الأولى - (1) ، رصيذا مرجعيا وفاعلا في إعادة هيكلة بناء علاقات مستقبلية جديدة للامتين ، باعتبار أن ما نحتة المسار التاريخي في سلوكنا ووعينا وتقاليدنا وآثارنا ، هو أقوى من أن يمحي أو يتناسى بسهولة ، ذلك أن مصيرية الامتين ، حاضرا ومستقبلا ، تكمن في توظيف عناصر التحامهما الاجتماعي والاقتصادي والسياسي .

وقبل أن نتساءل عن موقع العرب من العثمانيين - الأتراك ، و موقع هؤلاء من العرب ، نذكر هنا بعدد من الثوابت والمسلمات التاريخية التي تاکدت هذه السنوات الاخيرة لدى الباحثين والدارسين العرب والأتراك والأجانب وتعلقت بدور الدولة العثمانية في الولايات العربية ، وهذا نتيجة لحركية الحوار العلمي والمعرفي بينهم جميعا وعلى الخصوص سعيهم إلى توظيف واستنطاق أرصدة معلومات متنوعة وجديدة ، عربية وتركية ، كانت قد يسّرت ، والحق يقال ، استشفاف طبيعة الحكم العثماني في الولايات العربية ، بعيدا عن قوالب وشعارات التاثير الايديولوجي التي سادت

(*) ظهرت هذه الدراسة في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، عدد 7 و8 ، ص 117 - 127 .
منشورات سيرمدي - زنگوان ، 1993 .

(1) راجع دراستنا التاليتين : - "سياسة الاتحاديين ببلاد الشام والثورة العربية سنة 1916 : محاولة جديدة للفهم" المنشورة اسفله ، ص 47 = 75 .

- العرب والأتراك في إطار الدولة العثمانية المنشورة اسفله ، ص 89-92 .

التي مازالت مهمة لدى السياسيين والصحفيين العرب وحتى الأتراك عموما ، وهم المؤمنون بها دون وعي كبير لدلالاتها وابعادها السلبية اليوم . وأول هذه المسلمات هو القول بأن الدولة العثمانية منعت تسرب الحضارة الغربية الى الولايات العربية و قطعت دابر الاتصال بين الشرق والغرب وكانت السبب في تخلف الولايات العربية * بل أحاط العثمانيون البلاد العربية بسياس منع وحالوا بينها وبين العالم الخارجي ، فلم يعد تاريخ هذه البلاد يتصل من قريب أو بعيد بالاحداث الدولية ولم تكن عزلة البلاد العربية سياسية واقتصادية فحسب ، بل كانت حضارية (2) .

إلا أن الواقع التاريخي برهن على أن هذه النظرية خاطئة تماما ، بل على العكس من ذلك كانت الدولة العثمانية قد فتحت أبواب امبراطوريتها أمام الوافدين من أوروبا وسمحت لهم أن يقيموا على أرضها وفي أي بقعة يريدون وأن يتاجروا بحرية في موانئها ومدنها ولم تضغط أو تعيق تحركاتهم (3) ، بل إن العثمانيين ، بحكم هذا الانفتاح الجغرافي القسري على أوروبا ، أدخلوا المشرق العربي في شبكة عالمية لتبادل البضائع المتنوعة . وعليه فإن القول بأن العالم العربي - الإسلامي كان في نوم عميق ، قبل أن يأخذ في النهوض بتأثير أوروبا خلال القرن التاسع عشر، هو قول مبالغ فيه جدا (4) ، إن لم يكن مجانباً للحقيقة والواقع . ولا شك أن الأسباب الحقيقية لهذه المقولات ترجع أساسا الى عدم إدراك وفهم خطورة وفعالية التحولات والمتغيرات الدولية الغربية والتي سيطرت ليس فقط على مصيرية الدولة العثمانية ، بل على العالم بأسره اقتصاديا وفكريا ودينيا ، لتجعله فريسة لإيديولوجيته الاستعمارية ابتداء من العصر الحديث (5) .

ثانيا : إن المشرق والمغرب العربيين على حد سواء ، قد عرفا منذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادي ، خطرا لاتينيا ماحقا ، هدد كياناتهما السياسية الضعيفة المملوكية منها والحفصية والوطاسية ، وكاد يعصف بكل مقوماتهما اللغوية والدينية والهوية الحضارية ، ليذيبهما تماما

(2) د. عبد العظيم رمضان ، التأثير الحضاري للفتح الثماني في المشرق العربي في الولايات العربية في العهد العثماني ، ص 209 ، منشورات المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، 1984 .

(3) د. ليلى الصباغ ، العالمايات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني ، ج 1 ، ص 14 ، منشورات مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1989 .

(4) بارتد ، ف ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، ص 152 ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، 1983 .

(5) راجع بهذا الخصوص البحث الهام الذي أجراه المؤلفان التاليان حول الكتب المدرسية الغربية اليوم :

Preiswerk (Roy) et Perrot (Dominique), Ethnocentrisme et Histoire : l'Afrique, l'Amérique indienne et l'Asie dans les manuels occidentaux, Paris, 1975.

في فلكه . بل أنّ الفضل يَرجع الى الدولة العثمانية التي انبرت للذود عن الدول العربية المحجمة سياسيا واقتصاديا ، أمام الأخطار الخارجية البرتغالية والاسبانية والفارسية ، لتحافظ على وحدتها الترابية ومذهبها السني (6) . ولعل مصيرية بما أطلق عليه أبحافا بأمريكا اللاتينية ، بعد اكتشاف الأمريكيتين ، يعد نموذجا فريدا وعميق الدلالة على المسخ الحضاري والديني الكامل والمخطط له وحيث أصابها الى الأبد .

إن طبيعة وشكل التدخل العثماني على سواحل المغرب العربي ثم على مستوى اليمن والجزيرة العربية وكذلك العراق ، قد حافظا ، دون مرأ ، أو مبالغة ، على الطابع العروبي لهذا الفضاء الجغرافي الرحب طوال أربعة قرون . إن أفكار القوميين والسياسيين العرب لهذه المسلمات التاريخية أو التقليل من أهميتها الاستراتيجية على المدى البعيد ، يترجم حتما على هيمنة مضامين الشعارات والقوالب الإيديولوجية والتي أثبتت أحداث المشرق العربي منذ منتصف هذا القرن ، على مدى ضبايتها وعدم استشرافها للواقع التاريخي للبلاد العربية ، هذا فضلا عن أن المنادين بتلك الشعارات ، لم يكلّفوا أنفسهم مبدأ مواكبة وقبول نتائج البحوث والدراسات الموضوعية التي قام بها ، ليس فقط المؤرخون العرب ، ولكن أيضا الأجانب (7) .

Inalcik, Halil, "Biases in Studing Ouoman History" in Studies on Turkish Arab (6) Relations (S.O.T.A.R.),t. 2, p. 9.

(7) نعلمي نموذجا لهذه الكتابات المتبادلة والمتطرفة قوميا :

حسن طوي ، التاثيرات التركية في المشرق القومي العربي في العراق ، ص 151 . منشورات دار الزوراء ، لندن ، 1988 ، حيث ذكر بالحرف الواحد أن التخريب والتدمير الذي أحدث في انشخصية العربية وفي الفكر القومي سهل للفزاة (كدا) الاتراك أن يسقطوا نغما بعد بغداد وبنها العصور العربية لتك الحضارة ، أو قول نفس المؤلف في مكان آخر ، نفس المصدر ، ص 24 : " لقد تحول العرب من حاكمين الى محكومين ومن سادة الى رعايا ... وهي خسارة قومية تمت تماهليها واقمت حججها على امنية الإسلام " . أو قوله نفس المصدر ، ص 161 : عاش العرب كمواطنين من الدرجة الثانية في انتسل القومي حيث الاتراك سادة الدولة وعانوا من تمييز قومي شديد عُشكروا الطرف المضطهد ، محرومين كعرب حتى من حق التمثيل في السلطة حسب النسبة السكانية والتي كانت (5 عرب الى 2 اتراك) ولم تكن لهم حقوق قومية في اللغة العربية والتعليم العربي...

أما اشاعر العراقي : جميل صدقي الزهاوي فقد وصل به الامر ، أن يطلب من اشعب العراقي مناصرة الانليز ضد الاتراك:

تجرس أيها العرب واترك ولاء التورك من قوم لنا
ووالي الانليز رجال عدل وصدق في الفعال وفي الكلام

راجع نفس المصدر ، ص 84 .

إن مثل هذه المواقف القومية المتطرفة وانغير عنمية ، لا تخدم في شيء التوجه الموضوعي للبحث التاريخي ، وهي تسيء حتما..

ثالثا إن بعض المؤرخين العرب خلال هذا القرن ، حاولوا اسقاط الدولة العثمانية من تاريخنا القومي (8) بل وذهب بعض الغلاة أمثال د. محمد أنيس الى القول بأن العثمانيين لم يدخلوا أي تغيير ذا بال على مصر وهذا بسبب عدم تمتعهم بأي رصيد حضاري حتى يؤثروا على الحياة الفكرية المصرية (9) . وهناك من المؤرخين العرب من أطلق على الحكم العثماني في الولايات العربية مصطلحا جديدا عندما نعته ، سكونية العصور العثمانية ولا ظلاميتها (10) و مصطلح غير واضح تماما ولا يأخذ بالإعتبار كل النتائج العميقة التي يسعى البحث التاريخي العربي منذ عقدين الوصول إليها .

ومن جهة أخرى ، فإن الأتراك الكماليين هم الآخرون الى وقت قريب جدا ، كان قد سيطر عليهم التوجه الإيديولوجي المتطرف والقاضي بعدم ذكر الدولة والسلطنة والخلافة العثمانية ، وإن فعلوا ذلك في بعض الاحيان ، فباحثشام كبير، وهو بالقدر الذي لا يسيء، أولا الى الإختيارات الكبرى للدولة الكمالية المنظرة ولا يثير جدالا حول اختياراتها الفكرية ، وثانيا قاموا بذلك مجاراة وتماشيا للإهتمام الزائد - في نظرهم - والذي أظهره المؤرخون العرب والاجانب لدراسة الدولة العثمانية وولاياتها ثم دورها البارز في إنشاء هذه الامبراطورية والحفاظ عليها طوال أكثر من خمسة قرون . إن هذه الامبراطورية التي ادارت واحتضنت تقريبا كل الشعوب الاسلامية ، كانت تتمتع بمكانة متعظمة في الشؤون ليس فقط الأوروبية بل والعربية والبلقانية وشكلت اهم محاور

...إلى مجهودات المدرسة التاريخية العربية اليوم والتي تسعى الى التقيد بالمنهجية التاريخية في بعوثها الاكاديمية وهي انبثقت التي لم يطلع عليها انقوميون المنظرون والسياسيون والصحفيون العرب والذين يجهلون كل المعطيات التاريخية من طبيعة الحكم العثماني ولو توقفوا قليلا لدراسة 'وضع بعض البلدان العربية الشرقية اليوم ، بعد حصولها على استقلالها السياسي من العثمانيين والغربيين على حد السواء ، نتأكد لدى كل منصف محايد ، أن حكم الدولة العثمانية للولايات العربية كان حتما أكثر عدلا وانسانية و على الخصوم أكثر أمنا وطمأنينة . ولا شك أيضا ، أن هناك تجاوزات خطيرة جدا قد مارسها الولاة العثمانيون العسكريون ضد ، نيس فقط الشعب العربي ، ولكن أيضا الأناضولي والبيقاني وإن الثورات التي هزتها الساحة الأناضولية ضد السلاطين والصدراء اعظام وكبار رجال الدولة ، الذين قدموا حياتهم ثمننا لذلك ، لم تعرفها ساحات الولايات العربية بنفس العدة والخطورة والنتائج .

(8) د. عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم ، الربيع المصري ، من تقديم د. عزت عبد الكريم ، من ح ، منشورات جامعة عين شمس ، القاهرة ، 1974 .

Abul-El-Hadj, Rifat, "The Social Uses of The Past : Recent Arab Historiography (9) Ottoman Rule" in, International Journal of middle East Studies, Vol. 14, Mai, of 1992, 2, p. 193.

(10) د. جميل السيار ، حصار الموصل ... الصراع الإقليمي ، من 27-28 .

تحركها السياسي والعسكري والاقتصادي طوال العصر الحديث .

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن: ماهو موقع العرب من الاتراك - العثمانيين ومؤسستهم الادارية والاقتصادية ورصيدهم الحضاري عامة ؟

تؤكد الدراسات التاريخية ان العلاقات العربية التركية لم تبدأ بفتح السلطان سليم الاول لبلاد الشام ومصر سنة 1516 - 1517 ، بل هي أقدم من ذلك بكثير ، حيث سجل وجود العنصر غربي في الجيش العثماني منذ عهد اورخان عندما تسرب العرب في الممتلكات التي استولت عليها الدولة العثمانية حتى أقصى غرب البلقان ، عاملين في حقل نقل الحاجيات والتجهيزات اللازمة بوجودهم ... وكانت هناك جالية كبيرة من العرب الرحّل موجودة دوما في غربي وجنوبي انطوليا. في القرن الرابع عشر... (11).

كذلك كانت بورصة ، عاصمة العثمانيين قبل القسطنطينية ، قد أمها المشارقيون والمغاريون (12) قصد الاتجار ومواكبة الاحداث السياسية الهامة جدا يومئذ . فضلا عن ذلك فقد تمتع المسؤولون العثمانيون والماليك قبل عقدين من فتح القسطنطينية ، بعلاقات طيبة ان لم تكن جيدة ، ويرجع من ذلك تبادل السفراء وتعدد المهام المختلفة وظاهرة الزواج وتبادل الهدايا والمعلومات بينهما (13) . وازدادت تلك العلاقات متانة وعمقا بعد سقوط القسطنطينية حيث أظهر السلطان محمد الفاتح اهتماما خاصا بنوعية العلاقات المستقبلية مع العرب وعلى الخصوص مع شرافة مكة عندما وجه مبعوثين الى زعماء المسلمين يومئذ كانوا قد حملوا رسائل حررت باللغة العربية (كذا) الى شريف مكة وعلماؤها (14) . على أن الذي يجب التوقف عنده لدى المسؤولين العثمانيين الاول هو ولا شك الطابع التديني للإسلام السني الذي أظهروه في سلوكهم ومعاملاتهم وممارستهم للسلطة العليا في الدولة . ومن هذه الزاوية احتلت ثقافة وحضارة ودين العرب ، مكانة

(11) د. خليل انالبيك 'سانقو الجمال العرب في انطوليا في القرن الخامس عشر' في الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني' ج 3 ، ص 573 ، منشورات المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، 1984 .
Inalak, Halil "Arab Camel Drivers in Western Anatolia in the Fifteenth Century" in Les provinces arabes ... op.cit., pp. 257-270. Tunis 1984.

(12) د. خليل الساحلي 'من سجلات محاكم الشرع في بورصة : ملابرة في تركيا في اواخر القرن الخامس عشر وارايل القرن السادس عشر' في المجلة التاريخية المغربية ، عدد 2 ، ص 47 - 50 ، تونس ، 1975

(13) د. عبد الجليل التميمي ، العلاقات العربية - العثمانية بعد فتح القسطنطينية سنة 1453* راجع الدراسة التالية المنشورة أسفله ، ص 23 - 46 .

(14) المصدر نفسه .

كبيرة من نفوس السلاطين والعلماء ورجال الدين العثمانيين عموماً (15) .

وفضلاً عن ذلك ، فإن المسؤولين العثمانيين يقرّون بأن الفضاء الجغرافي العربي من حدود الجزائر الى الخليج العربي ، هو الذي منح الإمبراطورية العثمانية مكائنتها الاستراتيجية الخطيرة ووزنها الدولي الفريد ، كما يقرّون بأن الحضارة العربية كانت جزءاً من العالم التركي وبنفس الدرجة من الحضارة التركية التي ترجمت عنها التأثيرات البينة للقيم العربية التي تبناها العثمانيون دون تردد⁽¹⁶⁾ .

وفي هذا السياق ، نذكر بان عدداً من علماء السلاجقة ثم الأتراك قد تلقوا دراساتهم العليا في مدارس سوريا ومصر (17) ، باعتبارهما منارتين من أهم منارات الفكر الاسلامي يومئذ ، وهذا ما يفسر كيف أن اللغة العربية كانت اللغة الرسمية للدولة السلجوقية والدويلات التي تأسست في الأناضول حتى القرن الثالث عشر الميلادي (18) . كما تمتعت القاهرة ، على الخصوص ، باحترام كبير جداً في نفوس العثمانيين لمكائنتها المتميزة ، وان السلاطين كثيراً ما استنجدوا بالعلماء العرب وعينوهم في مناصب عليا في الدولة (19) ، بل ان احد السلاطين وهو عثمان

(15) A. Raymond "Les provinces arabes XVIè- XVIIIè siècles" in l'Histoire de l'Empire ottoman sous la direction de R. Mantran, p. 685.

(16) Mustapha Asula, "Turkish-Arab Relations in Historical Background" in S.O.T.A.R. t. 1, p. 21.

مازال موضوع التأثيرات العربية المختلفة على أنظمة الدولة العثمانية ومؤسساتها وحضارتها بصفة عامة ، لم يقع الاهتمام به ، وهو لعمرى موضوع دقيق سيبرز حتماً كيف أن التأثير العربي كان حاسماً وبنينا في هدى كبير من اليادين .

(17) د. صالح طوع نظرة الى العلاقات التربوية التركية - العربية في : S.O.T.A.R. عدد 1 ، ص 312 - 313 . وقد قدم المؤلف عدداً من تلك الاسماء والاعلام التي تلتقت تعلمها بالقاهرة :

- الشيخ شرف الدين داود القيصري (توفي سنة 1350 م)

- الشيخ بدر الدين محمود (توفي 1420 م)

- الشيخ خضر بك (توفي سنة 1459 م)

- الشيخ صالح الخندي جلال زادة (توفي سنة 1565 م)

(18) د. ابراهيم الداوقتي ، التأثير المتبادل بين الثقفتين العربية والتركية في العهد العثماني في الحياة الاجتماعية في الولايات العربية ، ص 346 ، منشورات سيرمدي - زفوان ، 1988 .

(19) المصدر نفسه ، ومن جهة اخرى كان الجبرتي قد استهواه الطابع الديني البارز في سياسات الدولة العثمانية حيناً تكلم بإعجاب وفي عبارات مشجعة من اهتمام السلاطين العثمانيين بإقامة الشعائر الاسلامية والسفن المحمدية وتعظيم العلماء واهل الدين وخدمة الحرمين الشريفين والتمسك بالاحكام والنقائح والقوانين والشرائع . غتحصنت دولتهم وطانت مدتهم وهابتهم .

الثاني بن السلطان احمد (1618 - 1622) ، عندما تبين له فساد الانكشارية ، وانهم لم يعودوا صالحين للحرب ، فكر ان يتصنع الازهاب الى الحج وهناك يجمع جيشا من العرب ليقضي به على الانكشارية (20) .

لقد كانت اللغة العربية قبل الفتح العثماني للبلاد العربية وبعده ، تعدّ أحد القنوات التعبيرية عن الثقافة والادب ، وان اصطلاحات العلوم العثمانية أغلبها بالعربية (21) وهذا ما يترجم عن مدى عمق التداخل العضوي للوجود العربي في ذهنية وسلوك العلماء الأتراك وتقديرهم للغة العربية ، باعتبارها لغة القرآن الكريم . و من هذا الباب كان تعلم اللغة العربية احد الشروط الاساسية لتولي المناصب الدينية العليا للدولة وعلى الخصوص منصب الإفتاء والقضاء والتدريس ، بل وجب التذكير هنا أنه ، نتيجة للاستعمال المطرد للغة العربية لدى الطبقات النيرة ، فإنه يرجع للعثمانيين - الأتراك ولهم وحدهم وحتما لم يكن للعرب لا المشارقيين ولا المغاربيين ، فضل اكتشاف العلامة العربي ابن خلدون . ومعنى هذا أن العثمانيين هم الذين قاموا باكتشافه ونقل معالمة التاريخية الخالدة عن طريق الترجمة و بالتعريف به للغرب وحيث قام هذا الأخير بالتبويه بعبقريته المعرفية الخالدة (22) ، وهذا ما جعل المؤرخ هامر (Hammer) يصفه بموتسكيو العرب (Montesquieu arabe) (23) . إن القول بأن العثمانيين حموا اللغة العربية ودافعوا عنها واستعملوها كوسيلة لانتاجهم الفقهي والتاريخي (24) ، أمر لا نزاع فيه البتة . لنذكر هنا بأن مكاتب تركيا تضم اليوم أكثر من 300 ألف مخطوطة باللغة العربية ، وهو ما يشكل أهم رصيد حضاري للامة العربية على الإطلاق في العالم (25) . بل إن اللغة التركية وقعت تحت تأثير اللغة العربية ، وهذا ما يترجم عن وجود أكثر من ثلاثين ألفا كلمة عربية متولدة أو منحوتة عنها في

... التوك وانقاد لهم الملك والمتموك... راجع د. عبد العزيز الشناوي دور الازهر في الحفاظ على الطابع العربي لمصر ابان العصر العثماني في ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، ص 677 . منشورات مطبعة دار الكتب ، القاهرة . 1970 .

(20) د. حسين مؤنس ، اطلس تاريخ الإسلام ، باب الدولة العثمانية ، ص 360 . منشورات دار الكتب القاهرة 1970 .

(21) د. محمد حرب ، العثمانيون في التاريخ والحضارة ، ص 424 ، منشورات دار القلم دمشق ، 1989 .

(22) Bernard Lewis, "Ibn Khaldoun in Turkey" in, S.O.T.A.R, T 3. p. 107.

يعتق المؤلف بقوله : إن ابن خلدون قد عمل وتوسى من طرف شعبه حتى اكتشفه من طرف العلماء الغربيين . وإذا كان هذا الأمر صحيحا بالنسبة لشمال افريقيا ، فإن الأمر غير صحيح بالنسبة للعثمانيين الذين اكتشفوه بالفعل وقراءه وترك ذلك تأثيرا عظيما جدا عليهم .

(23) Hammer, Histoire de l'Empire Ottoman, t.6, p. 282

القاموس الطبي التركي وأن قاموس شمس الدين سامي المشهور ضم 13 ألف كلمة عربية وقاموس علي نظيما ورشاد الذي نشر سنة 1901 ، قد ضمّ هو الآخر ثمانية عشر ألف كلمة عربية (26) . ويذهب بعض المهتمين بهذا الحقل من الدراسات ، أن الالفاظ العربية كانت تمثل 30% من مجموع الالفاظ العثمانية المتداولة ، وسيادة اللغة العربية على اللغة التركية استمرت رغم محاولات التريك ، بحيث نجد في قاموس مصطفى نهاد أوزون الصادر عام 1952 ، وجود 19 ألف لفظة عربية من مجموع 40 ألف (كذا) ، وأن المعجم العثماني - التركي لفريد ده دوللي المطبوع سنة 1970 ، سجل وجود 20 ألف من مجموع 50 ألف (27).

إن الالتحام والامتزاج اللغويين بين الامتين ، يعدان دليلا مكملًا على عمق التداخل والترابط اللغوي والحضاري المتبادل بينهما. وقد تفرع عن ذلك ، ولا شك ، مدى تأثير الفولكلور التركي بالفولكلور العربي في العديد من مقوماته وأسسها الجمالية والفنية كنوعية الرقصات والإيقاعات الموسيقية واستعمال معظم الآلات العربية ثم مجال الخط العربي الذي برع فيه العثمانيون واثروه جماليا وفنيا حيث يشهد لهم به المتضلعون في هذا الفن . كما ان العثمانيين تبينوا العديد من جماليات الهندسة المعمارية المحلية في محاولة منهم لجعل العرب اكثر اريحية في التعامل معهم (28) . كما نؤكد على تبني الأزياء والحلي العربية واستعمال الأشغال اليدوية وحتى المطعم التركي - العثماني ، فهو الآخر قد تأثر بالعديد من الاكالات العربية . الخالصة (29) . وهذا إلى درجة أن أي زائر عربي اليوم لتركيا يستهويه هذا الموروث الحضاري والذي مازالت وسوف تبقى بصماته منحوتة في سلوك وعقلية ونفسية الأتراك ، إذ العصرية والتحديث لا تعني حتما محاربة ماكان ايجابيا من هذا الموروث التاريخي الحضاري للامة التركية ، باعتبار أن هذه التأثيرات والمعطيات والشواهد على غناء الموروث الحضاري العربي وتفاعلها ايجابا لدى الأتراك - العثمانيين ،

(24) القائمة طويلة في هذا المجال نذكر بعض الرموز التي عززت أهمية ومكانة اللغة في الكتابة التاريخية :

- الشقائق النعمان في علماء الدولة العثمانية نشاط كبرى زاده وكشف الظنون لعاجي خليفة وجامع الدول لنجم باشي، راجع بهذا الخصوص أيضا : M.F. Koprulu, "Othmanli" in Encyclopédie de l'Islam : p. 221, Leiden, 1993.

(25) د. آمال دفراماجي ، الجمهورية التركية ومكانة اللغة العربية في : S.O.T.A.R ، عدد 1 ، ص 41 .

(26) د. ابراهيم الداغوتقي ، نفس المصدر ، ص 345 .

(27) المصدر نفسه ، 346 .

P. Ellis "Beit et Ivan. Les salles de réception des maisons ottomanes" in La vie sociale des provinces arabes à l'époque ottomane, p. 136.

(29) د. ابراهيم الداغوتقي ، نفس المصدر ، ص 352 .

سوف تبقى رغم التباعد والجفوة السياسية المسجلة في الماضي ، كإحدى المرتكزات الثابتة والفاعلة للشعب التركي تجاه الشعب العربي ، اليوم وغدا .

أما إذا تناولنا موقع الأتراك - العثمانيين من العرب ومدى تأثير الموروث الحضاري العثماني على البنية الفكرية والاجتماعية والسياسية والسلوكية للإنسان العربي اليوم ، فسيراينا مدى التباينات الجوهرية الصارخة التي ميزت مواقف العرب تجاه مسألة الحكم العثماني بالولايات العربية وفرقتهم شيئا وأحزابا ومآزالت مع أسفنا الشديد ، تؤثر سلبا على غاية العلاقات العربية-التركية . ذلك أن النظرة التجزئية للأحداث العربية السلبية فقط أثناء الحكم العثماني والمسجلة على مستوى الولايات العربية ، ثم اضفاء الطابع التعميمي والشمولي والإصداغ بمقولات وأحكام جائرة وغير مدعومة بالوثائق الجديدة ، عربية او تركية ، هي نظرة أحادية قاصرة وغير موضوعية ولا تخدم تاريخنا ولا واقعنا السياسي والحضاري والمستقبلي وحتما تتسلف كل الجهود التي ترمي الى إقامة الحوار المتكافئ بيننا وبين الأتراك اليوم .

لنقرّ الآن بأن العثمانيين قد احتلوا مركزا فريدا في تاريخ العرب الحديث ، لم تحتله أي دولة أخرى في التاريخ على الإطلاق ، وقد نتج عن ذلك بروز آثار عميقة جدا على كل المستويات الاجتماعية والإدارية والاقتصادية لم تتحد بعد حتى اليوم ، كل اشكالياتها التاريخية العديدة . ومع هذا فإن الواقع الحضاري يستمد شرعيته من مختلف رموز ودلالات التعايش والالتحام السياسي والإداري بين الشعبين حيننا وأحيانا أخرى في طبيعة المواجهات العسكرية ونظام الحكم الاستعلائي الطبقي الذي مارسه الولاة العثمانيون ليس فقط في الولايات العربية بل أيضا على مستوى الأناضول نفسه ثم في مركز السلطة وكذلك في الولايات البلقانية . لناخذ بالاعتبار مدى المسؤولية الإدارية الدقيقة التي أنيطت بعهدة الدولة العثمانية لإدارة امبراطوريتها الشاسعة جدا والتي تجاوزت الستين من الاجناس والشعوب والاقليات (30) ذات الأديان المختلفة والمذاهب غير المسالمة بينها ، وهو الأمر الذي لم يتح لأي دولة عربية - اسلامية على الإطلاق قبل ذلك . وكان على الدولة العثمانية أن تشرع وتطوع القوانين وفقا لخصوصيات وملابسات كل ولاية على حدة . إن قوانين نامة مصر (31) وبلاد الشام والعراق والتي تبنتها الدولة العثمانية لحسن تسيير شؤون هذه الولايات، احتراما لتقاليدها واعرافها وخصوصياتها الاجتماعية والإدارية ، يمثل نموذجا ذكيا

Leiden, Kamal Karpat, The Ottoman State and its Place in World History, Preface, p. 2, (30) 1974.

(31) د. عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم ، دراسة من ضوابط قانون نامة مصر ومدى تطبيقها مع النص الذي ترجمه د. خليل الساطني أوغلو : الدراسة والنص - في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، عدد 1 ، ص 251-285 ، منشورات سيرمدى - زهوان ، 1990 .

للإقرار بالإختلاف وأخذه بالإعتبار في ديناميكية التسيير الناجع . ومعنى ذلك أن الدولة العثمانية لم تفرض نظاما اداريا عثمانيا واحدا ، جامدا ومركزيا في الولايات العربية ، بل على العكس من ذلك اخذت بالاعتبار الموروث الاداري في أهم مراكز الثقل الحضاري العربي : مصر وبلاد الشام والعراق ومنحت للولايات العربية بذلك وحدتها الترابية الإدارية وأمنت بسهولة حركة تنقل البضائع والأفكار والأشخاص (32) . على أن طبيعة الحكم عموما قد أتاحت قسطا كبيرا من الحرية والقدرة على التحرك وتكييف الأوضاع الاقتصادية والثقافية طبقا لما ألفه العرب من تقاليد وعادات وباعد بينهم وبين الخضوع للمؤثرات العثمانية على اختلاف صورها وأشكالها (33) . بل إن العثمانيين كانوا وراء كثرة المنشآت الدينية والثقافية والمدارس وعموما انتشار أملاك الاحباس التي وظفوها في المشاريع والمؤسسات الخيرية والدينية ، وهو الامر الذي لم تقم به أية دولة عربية - اسلامية بهذا الانتشار الكبير قبل ذلك (34) . ومن هذا المنطلق إذن كان العثمانيون قد احتفظوا لانفسهم بالمناصب العسكرية والإدارية وهذا ما يمكن تعليقه وحتملا لا نبرره ، فإنهم اسلموا قيادة الولايات العربية الدينية والعلمية والثقافية للإنسان العربي (35) . وحتى الصحية ومختلف المرافق الاجتماعية ، فقد أنيطت عهدها الى الاعيان الإداريين العرب (36) . والاسرة الجليلية مثلا بالموصل مسكت الحكم أكثر من قرن وكانت تعبيريا واضحا على قدرة القوى المحلية واستقلالها في ادارة الشؤون الداخلية وقد باركتها الادارة العثمانية المركزية بادئ الامر ، وهناك قوى محلية عديدة في بلاد الشام قد تولت لفترات معينة تسيير البلاد وسعت من خلال كل ذلك الى توظيف (37) اللغة الوطنية على مستوى المرافق العامة ما عدا الشؤون العسكرية والمالية التي كانت على العموم بالولايات العربية بيد الولاة العثمانيين . وهذا ما يؤكد أن العثمانيين لم يفرضوا اللغة التركية

Raymond, André, "Les provinces _ op.cit." p. 367. (32)

(33) راجع : د. روبر منتران العلاقات بين القاهرة والأستانة خلال العهد العثماني في ابحاث ندوة القاهرة ، ص 674 .

(34) د. عبد العزيز الشناوي ، الدولة العثمانية ، دولة اسلامية مفتوحى عليها ، ج 1 ، ص 11 ، القاهرة .

(35) د. أحمد المرسي الصفصافي ، الدولة العثمانية والولايات العربية ، في الولايات العربية ... نفس المصدر . ص ، 343 . راجع ايضا : د. اكمال الدين احسان اولطو : ترواة لتاريخ الدولة العثمانية وملاقاتها بالعالم العربي من خلا كتب التاريخ في S.O.T.A.R ، عدد 1 ، ص 101 ، ذاكرا انه اقتصر الحكام العثمانيون على السيطرة العسكرية وايسوا مرافق البلاد الأخرى ، فإنهم تركوا للعصبيات المحلية وللطوائف الدينية قدرا كبيرا من الحرية .

(36) 'aesar E. Farah, "Arabs and Turks : Commun Heritage, Commun Destiny" in, (36) .O.T.A.R, t. 1, p. 63.

(37) د. صاد عبد السلام رؤوف ، الموصل ... نفس المصدر ، ص 457 .

والدراسات اللغوية أو الأدبية في الأزهر (38) ولا في الزيتونة ، بل ان الدولة العثمانية لم تعين أي عالم عثماني ، في منصب شيخ الجامع الأزهر طوال الحكم العثماني ، وان هذا المنصب كان يشغله العلماء المصريون دون أن ينافسهم فيه علماء عثمانيون (39) . وقد منح العلماء مكانة اجتماعية وسياسية واقتصادية متميزة وحرية كاملة للتنقل في النظام الجغرافي العثماني الواسع ، وهذا يفسر مدى الانتعاش الكبير الذي شمل الحركة الفكرية والتعليمية وانتشار المدارس الذي كان وراء ازدياد احساس الانتماء الى الحضارة والامة العربية، بل إن عهد التنظيمات العثماني المطبق في الولايات العربية ، قد ساهم ولاشك في حركة اليقظة الوطنية العربية (40) . ان اللغة العربية طوال العهد العثماني ، ماعدا فترة الاتحاديين ، لم تضطهد ولم تحارب البتة ، بل على العكس من ذلك كانت لغة العلم والمعرفة والعدالة والتخاطب الشعبي ولغة الاجال والامثال العربية ، وقد بقيت لغة الكتابة التاريخية في كل الولايات العربية ، وهذا على الرغم من الطابع المهيمن للسلطة السياسية والعسكرية العثمانية فيها. وفي العراق مثلا ، بقيت اللغة العربية تمثل ثقافة الشعب من علماء وطلبة، وهو الشيء الذي جعل الباحثين يقرون بأن مدرسة أولئك العلماء كانت عربية اللغة تماما ولم تتأثر بالمؤتمرات الأجنبية ، التركية منها والفارسية (41) . وقل مثل هذا الامر بالنسبة لبقية الولايات العربية بشكل عام ، الا ان ذلك لم يمنع من قبول وتداول مئات الكلمات التركية الاصل في اللهجات العربية التي غطت على الخصوص المهن الحرفية والمطبخ والبيت (42) .

وإذا كانت مثل هذه الدلالات المعرفية ايجابية النتائج ، فإن طبيعة هندسة المدن العربية وأهمية البعض منها كالقاهرة مثلا (43) ثم تحصين المدن وإعادة ترميم أسوارها وحصونها وبناء الأبراج والمنارات وبناء التكايا والاسبله والخانقات والحمامات العامة (44) كان ولا شك عنصرا مباشرا في التوسع العمراني للمدن العربية أثناء العهد العثماني (45). أما رعاية طرق المواصلات البرية والبحرية فقد عزز هو الآخر محتوى الموروث العثماني لدى العرب واثراء إثراء حاسما وبيننا وخصوصا لكل ما يتعلق بدور الحج الهام في دعم الترابط والتلاحم السياسي والديني .

(38) د. الشناوي ، دور الأزهر ... نفس المصدر ، ص، 678 .

(39) المصدر نفسه ، ص 706 .

(40) Inalcik, Halil, "Arab - Turkish Relation in Historical Perspective (1260-1914)" in, S.O.T.A.R, T.1, P. 157.

(41) د. عواد عبد السلام رؤوف ، التاريخ والمؤرخون العراقيون في العهد العثماني ، ص 22 . بغداد .

(42) انجزت بعض الدراسات التي قامت بحصر الكلمات التركية المتداولة حتى اليوم في العراق وسوريا والجزائر وقد تمنا نحن بتكشيف البعض منها بعصر في اللهجة التونسية اليوم .

ان القنوات التعبيرية لهذا الموروث العثماني لدى العرب تتجسم في وعي وسلوك ومشاعر الفرد العربي مغربا ومشرقا. ولعل أهم مظاهر هذا الموروث ، على المستوى الاجتماعي ، هو أن آلاف العائلات العربية مازالت ليوم الناس هذا ، مشدودة الى تركيا بحكم جذورها العرقية ومنبتها الأصلي وتداخل مصالحها ، هذا فضلا عن النتائج المتولدة عن ظاهرة الزواج التي عمقت قوة الانتماء والشعور بالاعتزاز الى تركيا. بل ان ملامح هذا الاحتكاك بينة اليوم بشكل ملموس في دماء الشعبين وسمياتهم وقسماتهم الفسيولوجية وعاداتهم وملابسهم ومطبخهم وشعورهم الى اليوم بالاعتزاز والنخوة لكل ما هو تركي وعثماني (46). ومن هذا المنطلق تأثرت فلسفة هندسة البيت بالعناصر الفنية التركية البحتة حيث سجل استعمال العناصر الاثرية العثمانية في إثراء الجماليات الفنية المحلية ومدى توافقها لآخلاقيات وسلوك العرب والأتراك - الحنفيين (47). كذلك تأثر المطبخ العربي بالموروث العثماني في العديد من مميزاته وسمياته وتنوعه، وهذا نتيجة التداخل والتفاعل الاجتماعي والحضاري بين الامتين على مدى الاحقاب والاجيال ، وان دل هذا على شيء ، فانما يدل ، واقعا وحقيقة ، على مدى مختلف التأثيرات التي احدثها الحكم العثماني في المجتمع العربي، وهي التأثيرات التي مازالت بصماتها منحوتة في وعي وسلوك الفرد العربي كلما تعلق الأمر بعلاقاته بتركيا ماضيا وحاضرا . ان السعي الى نحت علاقات جديدة تنسجم بالنواصل والتلاقي الحضاري والسياسي ، انطلاقا مما يجمع بين الشعبين وهو حتما اكثر بكثير ما يفرقهما ، مع

André Raymond, Le Caire, p. 226 (43)

يذكر المؤلف انه على الرغم من المصائب التي حلت بمدينة القاهرة ، فانها ولا شك كانت خلال سنة 1798 مدينة اكثر اهمية من العصر الذهبي لعبد الناصر ا

Türkiye Desindaki Osmanlı Mimari Yapıtları (Ottoman Architectural Works (44) Outside Turkey), Publications of Ministry of Foreign Office, Ankara, 1989.

يوجد ما لا يقل عن 200 بناية عثمانية بالقاهرة و 100 مجلب و 50 بيغداد وقل مثل هذا الامر بالنسبة لسوريا والجزيرة العربية بالنسبة لتونس والجزائر او ليبيا . راجع Raymond, Les provinces ... op.cit. p. 684.

Raymond "Les grandes villes arabes à l'époque ottomane" in S.O.T.A.R. t.5, (45) 26.

(46) يذكر الاستاذ خليل انالجيك أن الموروث العثماني الثقافي قد أحدث تأثيرا وتقديرا كبيرا جدا حتى بالنسبة لغير المسلم الذين كثيرا ما عبروا عن رغبتهم في التشبه بالعثمانيين في لباسهم ونظام حياتهم ، راجع هذه الدراسة في هذا الخصوص : Halil, Studies in Ottoman Social and Economic History, p. 93 London .

Halil, op. cit., p. 136. (47)

مما لا شك فيه ان العثمانيين ابرزوا اسلوبا جديدا في العمارة ، وانجازات المعماريين العثمانيين خلال القرن الخامس والسابع عشر ليست مطلقا اقل من آثار عهد النهضة المعمارية في أوروبا . راجع بارتلد ، نفس المصدر ، ص 150 .

الآخذ بالاعتبار لخطوط التوافق والانسجام الشعبي والمصلحة العليا للآمتين ، هو رهين طبيعة حوارهما المباشر وعلى المستويات الجامعية والسياسية والاقتصادية ، وتلك أمانة دقيقة وجب تحملها بكل شجاعة وصدق ونبل وإخلاص ، اذا ما أريد لهاتين الآمتين نحت علاقات مستقبلية صلبة تنبع من احترام كليهما لموروثهما الحضاري الهام وعلى الخصوص احترام اختياراتهما الفكرية والاقتصادية والسياسية والقومية للآمتين العربية والتركية .

العلاقات العربية - العثمانية بعد فتح القسطنطينية سنة 1453 *

لم يهتم المؤرخون والباحثون بالعلاقات العربية - العثمانية قبل سنة 1516 الا نادرا، وهو الامر الذي دعاني ان افرد له هذه الدراسة التي استندنا فيها الى شبكة من المعلومات التاريخية المختلفة التركية والبيزنطية والمملوكية والغربية في محاولة منا دراسة العلاقات العربية - العثمانية على اثر فتح القسطنطينية سنة 1453 مباشرة (1). واسباس اهتمامنا بدراسة هذا الجانب التاريخي، يرجع الى اكتشافنا بالمكتبة البريطانية بلندن (British Library) لخطوطة بالقسم الشرقي (OR 61) ، حيث عثرنا على خمس رسائل موجهة من السلطان محمد الفاتح الى سلطان مصر اينال والى شريف مكة وأجوبتهما على رسالة السلطان العثماني . وهذه المراسلة تمت على اثر فتح القسطنطينية وحتى اواخر سنة 1453 .

وأثناء تحرياتنا الببليوغرافية، تاكد لدينا وجود عدة نسخ من هذا المخطوط الثمين (2) ذات القيمة التاريخية المطلقة، بل واكثر من ذلك ، تم باستانبول طبع هذا المخطوط كلية في القرن الماضي (3) باللغة الفارسية وحيث بقى مجهولا نسبيا وعلى الخصوص لم يتم توظيفه تاريخيا الى ان نشر الاستاد احمد أتش مقاله حول الموضوع لتكون لدينا فكرة شاملة عن هذه الوثائق التي تناولت العلاقات العربية-العثمانية الاولى (4).

اما د. احمد متولي فقد نشر رسالتين فقط من مجموع الخمس رسائل التي تهمننا هنا، ونعني

* نشر هذا البحث في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية عدد 1 و 2 ، ص 43 - 66 ، منشورات سيرمدي ، زفوان ، 1990

(1) ومع هذا فالاستاد خليل انالجيك لم يذكر شيئا عن هذا الموضوع في كتابه :

Inalcik. Halil, "Fatih Devri Uzerinde Tetkiler ve Vcsikaler"

(بحوث ووثائق عن فترة محمد الفاتح)، 245 ص ، انقره، 1954 .

راجع ايضا : -Salahettin Tansel " Osmanli Kaynaklarine göre Fatih Sultan Mehmed Siyasi ve Askari Faaliyeti", in Türk Tarih Kurümü, pp. 229-341, Ankara, 1953.

وقد نشر نفس المؤلف كتابا جديدا عن محمد الفاتح، الا انه لم يتعرض للعلاقات مع مصر بعد فتح القسطنطينية. Osmanli Kaynaklarine göre Fatih Ahmed'in Siyasi ve Askari Faaliyeti, 356p, Publications de Türk Tarih Kurümü, Ankara, 1985.

(2) احمد فريدون بك، منشآت سلاطين، طوب كابي رقم 1960 .

(3) المصدر نفسه، مكتبة روان رقم 1429 ، نشر باستانبول سنة 1858 .

(4) Ahmed Ates " Fatih Sultan Mehmed Tarafından gönderilen mektublar ve bunlara gelen ceablar", in, Tarih Dergisi, T. IV, n°7 (1953), pp. 11-50.

بهما رسالة السلطان محمد الفاتح الى سلطان مصر وجواب هذا الاخير عليه (5). وهو الامر الذي دعانا الى اعادة دراسة هذه الفترة الزمنية ليس فقط لدراسة العلاقات العربية - العثمانية، ولكن ايضا لدراسة موقف السلطان العثماني "ذي التوجه العربي" ومعتقداته الدينية وصدى الاستيلاء على القسطنطينية في البلاد العربية في تلك الفترة.

فالمسؤولون العثمانيون والماليك كانوا يتمتعون بعلاقات طيبة ان لم تكن جيدة. وقد ترجم عن ذلك تبادل السفراء وتعدد المهام المختلفة وظاهرة الزواج التي كانت تتم بينهما، ثم ان تبادل الهدايا والمعلومات، قد ميز ولا شك هذه العلاقات خلال العقدتين الذين سبقا فتح القسطنطينية (6). على ان الدارس لطبيعة المناخ السياسي سوف يلحظ مدى الاهتمام المشترك والحرص الذي اظهره للدفاع عن "الجبهة الاسلامية لسواحلها (7) وأسطولها التجاري والعمل على ضمان النظام والامن في الولايات التابعة لكل منهما. وقد ترجم مستوى المراسلة المتبادلة بينهما وانتظامها ومحتواها، من هذه العلاقات الطيبة "البعيدة ولكنها ودية للغاية" (8).

راجع ايضا :

Selabettin Tkindag " Fetih devrinde Osmanli Memluke munasebetleri", in Tarih Dergisi, n° 30 (1976), pp. 73-98.

" Misir, Surye ve Hicazdan Yazilmiz arabce eserlerin Osmanli Tarihi: راجع لنفس المؤلف: bakimindan önemi", in, VII. Türk Tarih Kongresi, II cilt, pp. 534-539, Ankara, 1979.

يبدوا لنا على ضوء هذه البحوث ان مقالي الزميلين التركيين قد حاولا التعريف بالخصوط الكبرى للعلاقات العربية - العثمانية، ولكن دون ان يقدموا كل المعلومات حول ذلك، ولم يعملوا على اثرائها بمصادر تاريخية اخرى.

(5) د. محمد فؤاد متولي، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، القاهرة، 1976. وقد نشر المؤلف رسالتين فقط ولكن دون أي تعليق عليهما، راجع ايضا : د. سالم الراشدي، محمد الفاتح، اذ هو الاخر قد اعاد نشر الرسائل الخمس من فريدون بك، نفس العدد، ولكن دون تحليل معمق لها، 440 ص، الطبعة الثانية، بيروت، 1969.

(6) لا شك ان نشر هذه الوثائق سيكون مفيدا جدا لتحديد خلفية محمد الفاتح ودراسة مواقفه من البلاد العربية يومئذ، راجع : د. سعيد عبد الفتاح هاشور، مصر والشام في عصر الماليك، ص 317، القاهرة، 1972.

(7) "H Turkova " Le siège de Constantinople d'après la Seyhatname d'Evliya Çelebi", (7) n, Byzantinoslovica, XIV, pp. 50-57, Prague, 1957..

حيث ذكر المؤلف ان الامبراطور البيزنطي قسطنطين قد جهز ستمائة باخرة لتفريب السواحل العربية من "هكا الي سعيد وبيروت والشام وطرابلس وقرنة والرملة حتى رأس حسن" وقد استولوا على هذه البلاد وسجنوا الكثير من المواطنين واكثر من ألف امرأة هربيات ومن الجوارى، ومن جميلات مثل هادات الجنة.

. De Hammer, Histoire de l'Empire Ottoman depuis son origine jusqu'a nos jours, (8) aduit de l'allemand par JJ. Helbert, t. 3, p. 252, Paris, 1836.

ومن جهة اخرى تميز النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي في حوض البحر الابيض المتوسط الشرقي بصعود العثمانيين المذهل وعزيمتهم السياسية للاستيلاء على كل الدويلات " الاميرية الاوروبية" في فترة زمنية اظهرت فيها بيزنطا انحلالا وضعفا في مقاومتها للعثمانيين. وقد ساعدت كل هذه العوامل العثمانيين ان يتمتعوا بسمعة المحاربين الاشداء والعنيدون، وهو الامر الذي كان له الصدى الطيب في العالم الاسلامي يومئذ وخصوصا بمصر التي اتخذت منها القوافل التجارية والحجيج منطلقا سنويا للتحويل الى الاماكن المقدسة . على أن مصر تعد بالفعل محطة تجارية وثقافية حيث تتبادل فيها كل البضائع والآراء والثقافات والمعتقدات بحرية كاملة (9). وبالإضافة الى ذلك وجب ملاحظة وجود العنصر العربي في الجيش العثماني منذ عهد اروخان ومراد (10) والدفاتر العدلية لمدينة بروسة (11) تسجل لنا عشرات المغاربة والمشاركة وحتى الموريسكيين - الاندلسيين الذين كانوا يعيشون ومستقرين بالعاصمة العثمانية بورصة قبل فتح القسطنطينية.

هل أظهر السلطان محمد الفاتح من خلال مواقفه المتعددة وتصوره للقضايا واختيارات حاشيته، اهتماما يمكننا وصفه "بالاتجاه العربي" ليرجم ذلك عن تعلقه الروحي بمصدر الوحي للدين الاسلامي، هذا الدين الذي دافع عنه بكل بسالة وشجاعة اكثر من اي شخص آخر؟ هل كانت له اطماع سياسية في المنطقة خصوصا اذا اخذنا بالاعتبار شهادة البندقي لنقوشى (Langhushi) الذي ذكر عنه " ان الامبراطورية العالمية يجب ان تكون واحدة، ولها دين واحد وشخص واحد ليحقق هذه الوحدة وأنه لا يوجد غير استانبول لتنفيذ ذلك" (12).

لا شك لدينا اننا امام سلطان شاب لم يتجاوز سنه الواحد والعشرين، طموح ومتحرك وله مشاريع عديدة ويتمتع بحس المغامرة وله معرفة جيدة بالغرب، بفضل عدد من " المتعاونين الايطاليين" الذين امدوه بشبكة من المعلومات عن " الغرب ووضعيته الجغرافية والسياسية ومعتقداته

(9) كان المؤرخون المصريون الذين عاشوا في هذه الفترة الزمنية مثل ابن التفرى والبردى والسيوطي وابن اياس، قد مدحوا بداية انشائين وقد الحوا على طابع الجهاد الذي تزعموه ونادوا به، وعلى الاخص بعد فتح القسطنطينية وحيث عد محمد الفاتح كأكبر السلاطين العثمانيين.

(10) Halil Inalcik " Arab" Camel Drivers in Western Anatolia in the Fifteenth Century" in, Les Provinces arabes et leurs sources documentaires à l'époque ottomane, t. 3, p. 269, Tunis, 1984.

(11) د. خليل الساحل، وفتو، " من سجلات محاكم الشرع في بورصة : مغاربة في تركيا في اواخر القرن الخامس عشر واول القرن السادس عشر" في المجلة التاريخية المغربية، عدد 3 ، ص 47 - 50 .

(12) د. برنار لوي، استانبول وحضارة الخلافة الاسلامية، تحرير سعيد رضوان هني، ص 49، الرياض، 1982.

وخلافاته الدينية وعساكره وفنونه الحرية (13). وعليه فلا غرابة ان كان السلطان محمد الفاتح يتابع عن كثب الوضعية السياسية للبلاد العربية، وهي المجاورة له، هذا فضلا عن منحه مكانة خاصة للاسلام، كدين للدولة الجديدة. وقد احاط نفسه بعدد من الاطباء والعلماء والفقهاء العرب وهذا ما جعله يمارس، نتيجة لذلك، سياسة صداقة وتعاون وافتتاح. ولا شك ان اتقانه * بالاضافة الى اللغة التركية، العربية واللاتينية والفارسية وحتى الكلدية (14)، قد ساعده على تحقيق تلك السياسية. فقد قام بتعيين علي العربي رئيسا لأكبر مدرسة (15) وفي مناسبتين اثبتت رفعة علاء الدين العربي الى رتبة الافتاء (16)؛ كما نلاحظ وجود احد اطباء القدس العرب الى جانبه (17)؛ ومن جهة اخرى فان احد العلماء السبع الذين تميزوا في عصر محمد الفاتح، كان عربيا وهو حكيم عرب (18)؛ وبالاضافة الى ذلك فان عددا كبيرا من المؤرخين الاتراك قد حرروا رسائلهم بالعربية او الفارسية وان احدثهم ذهب حتى الى استعمال الشعر الملحمي بالعربية ثم ليترجم بعد ذلك الى التركية (19)؛ وفي هذا السياق فان آخر صدر اعظم له، كان قد حرر * تاريخا للإمبراطورية العثمانية باللغة العربية (كدا) (20).

اما العالم اق شمس الدين الذي لعب دورا حاسما قبل وبعد فتح القسطنطينية لدى السلطان محمد الفاتح، فانه كان يتردد على حلب لحضور محاضرات الشيخ الحافي، احد اساتذتها المرموقين (21)، وهذا ما يترجم على مدى التأثير الثقافي والديني المتبادل بين رجالات الدولة العثمانية والبلاد العربية وحيث نلغسه في العديد من المستويات العربية والعثمانية.

فالنشاط الذي قام به العثمانيون الاول لفائدة الدين الاسلامي، كان حاسما على المستوى المحلي والاوروبي على حد سواء، ولم يستثن محمد الفاتح في هذه القاعدة، فتريته كانت في محيط * ديني* وهذا ما جعله * احد المدافعين المتشددين للدين الاسلامي، إن مواقفه وأفكاره ونشاطه

T. Babinger, Mehmed II, le Conquérant et son temps (1432-1581), traduit par (13)
H.C. Medico, p. 142, Paris, 1954.

(14) هامر، نفس المصدر، ج 3 . ص 293.

(15) المصدر نفسه، ص 311 .

(16) المصدر نفسه، ص 335 يهده هامر مع ابن مغبة * من اكبر علماء عصر محمد الفاتح .

(17) باينقر، نفس المصدر، ص 546 .

(18) هامر، نفس المصدر، ص 334 .

M. Maschopoulos, " La prise de Constantinople selon les sources turques", in (19)
Le cinq centième anniversaire de la prise de Constantinople, p. 24, Athènes, 1953.

(20) باينقر، نفس المصدر، ص 564 .

(21) هامر، نفس المصدر، ص 335 .

طوال كل حياته ، قد طبعت بقطاع عقيدته؛ وادارته هي الاخرى قد تأثرت مباشرة بهذا المدافع عن الاسلام وهو الذي يعتبر سندا للمسلمين⁽²²⁾ بل انه ذهب الى اكثر من ذلك بجمعه الشيوخ والفقهاء حيث كان يجد متعة لمناقشتهم حول الامور الدينية⁽²³⁾. على ان سياسته الحكيمة وقدرته على تسيير الدولة ونبوغه العسكري⁽²⁴⁾ قد ترك غيره من الحكام مجهولين من طرف معاصريه⁽²⁴⁾. الا ان الوضعية السياسية سوف تمنحه الفرصة الذهبية لترسيخ سمعته كالول منتصر مسلم على بيزنطا.

سوف لن نشير هنا كل مضاعفات فتح القسطنطينية ولا استعدادات الطرفين المتحاربين ولا الوضعية السياسية ومختلف العوامل التي ساعدت على تحقيق هذا النصر العسكري ، ذي البعد التاريخي الخطير والكبير جدا⁽²⁵⁾. الا اننا نؤكد على الصفات العسكرية لهذا السلطان الشاب ذي المشاريع العديدة والجريئة والذي لا يعرف التردد اليه سبيلا، هذا فضلا عن صفاته كشخصية طلعة ويحب الادب والذي بفضل ذكائه استطاع ان يتوفر على معلومات ثمينة جدا عن عدوه. وقد مكنته ذلك ولا شك من انضاج خطته الهجومية بدراسته لرسم اسوار المدينة وخطوطها الدفاعية والاماكن التي وجب السيطرة عليها ووضع المدافع والباطريات والالغام وقتنئذ. ويمكن ان يكون محمد الفاتح قد بدأ، قبل ذلك، بالاهتمام وبعمق في دراسة المؤلفات الغربية العسكرية والتي تناولت بناء القلاع ومواقع مدافع الحصار⁽²⁶⁾. وعليه فان الدخول في مشروع بناء قلعة جديدة على البوسفور لم يكن اعتباطيا . وقد صمم ان تكون هندسة هذا البناء على شكل الحروف العربية التي يتألف منها اسم الرسول، كما واذن ببناء⁽²⁷⁾ برج في المكان الذي يشكل فيه الحرف دائرة في الكتابة العربية⁽²⁷⁾.

ان محمد الفاتح الذي كان يشعر تماما بالاهمية السياسية والدينية والتجارية للقسطنطينية، قد وضع كل همه لتحقيق هذا النصر. وكان يعلم مسبقا ان العرب لم يوفقوا، خلال صراعهم الطويل مع بيزنطا، من فتح القسطنطينية على الرغم من محاولاتهم الاحد عشر⁽²⁸⁾، وحيث اصبحت

(22) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 146 - 147 ، من رسالة وجهها الى ابنه مصطفى.

(23) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 39 .

(24) بانقر، نفس المصدر، ص 97 .

(25) راجع الفصل الأخير من كتاب :

Ostrogorsky, Georges, Histoire de l'Etat Byzantin, pp. 490-595, Paris, 1969.

(26) بانقر، نفس المصدر، ص 106 .

(27) هامر، نفس المصدر، ج 2 ، ص 375، يذكر المؤلف ان هذين البرجين قد وضعما جنباً الى جانب في اسفل الجبل، اما

انذاك وهو اضعفهما فحط لاقامته على الجانب البحري؛ اما الحروف O.H.E.D ، فقد احترمت ابجديتها العربية بواسطة ستائر واشغال اخرى حيث كان السلطان يشرف عليها بنفسه.

(28) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، صميق د. حسان حقي، ص 164، بيروت، 1981 ، .../... .

بيزنطا * بالنسبة للعرب* ولدولة الاسلام، دار الحرب (29). ان بيزنطا والقسطنطينية تحتلان بالفعل في كتب التاريخ والتراجم العربية مكانة واسعة خاصة وان مؤرخي العصور الوسطى ، قد اهتموا بذلك دون استثناء. بل ان الاسطورة ذهبت الى ذكر عدد من الاحاديث المنسوبة الى الرسول (صلعم) حول سقوط القسطنطينية نذكر منها : * ان افضل الامراء من يحقق هذا الفتح وجيشه سيكون احسن الجيوش* (30). ثم ان موت ايوب احد اصحاب الرسول، قرب القسطنطينية، قد منح هذه الاحاديث شيئا من القدسية والاحترام، خاصة اذا رافق ذلك نيا اكتشاف قبره ايام الحملة. وهو الامر الذي جعل الشيوخ يعملون على شد أزر المقاتلين في المعسكرات * وتذكيرهم بواجب القتال دفاعا عن الدين. ولا شك ان الدور الذي اداه شمس الدين من خلال خطبه، حاثا الجنود على مزيد من البذل، كان حاسما في هذه المعركة التاريخية (31)؛ والذي يؤكد هذا التوجه هو وضع السلطان محمد الفاتح * حجر الاساس لمسجد ايوب* (32) في هذه الفترة الزمنية بالذات.

وبعد استيلاء العثمانيين على القسطنطينية ، اصبح السلطان * اصغر فاتح جلس على عرش القياصرة : وانتصاره في هذه الحرب المقدسة تجاوز كل الخلفاء والامراء المسلمين من قبله ، واصبح بذلك يتمتع بسلطة مطلقة (33). ووفقا لذلك فان عهدا جديدا فتح في العلاقات بين الدولة العثمانية الناشئة والدول العربية التي تشكل بالفعل قلب العالم الاسلامي.

فانجازات السلطان محمد الفاتح بعد انتصاره، كانت ذات دلالات كبيرة، وقد تحدث كاتب جلبي عن الخطة التي وضعها لاعادة تعمير القسطنطينية والتي تركها الاهالي اثناء الحملة . وقد اطلق

.../... راجع ايضا : هامر، نفس المصدر ، ج 2 ص 394، ذكر بالمحاولات السبع، حيث استمرت احداهما سبع سنوات اضطر الجيش الاسلامي ان يقوم بحراة الاراضي المجاورة ليم زرعها وحصاد منتوجها بعد ذلك. وانشاء هذه الحملة هلك الصحابي ايوب، حامل لواء الرسول .

Bernard Lewis " Constantinople and the Arabs, in, The Fall of Constantinople, (29) p. 12, Londres, 1955.

(30) هامر، نفس المصدر، ج 3 ، ص 394.

(31) خليل انالچيك، نفس المصدر، ص 217، راجع الرسالة المعرودة باللغة التركية والتي حررها اق شمس الدين ووجهت الى السلطان لمعرفة مدى الدور الكبير الذي اداه في الحياة السياسية والدينية للدولة العثمانية. راجع ايضا ، هامر، نفس المصدر، ج 2 ، ص 414 حيث الح المؤلف على دور الشيوخ وعلى الخصوص اق شمس الدين لعث * المسلمين باسم الرسول وحامل لواء رايه ايوب ، ان يعرفوا رايات الاسلام على شرفات مدينة الكفار*. راجع كذلك، توركوفا، نفس المصدر، ص 69، مذكرا ان اق شمس الدين هذا، قد وضع على رأس السلطان قنزعة بها ريشتان سوداء وبيضاء مخاطبا اياه * يا سلطاني، لقد اصبحتم اليوم فخر السلالة العثمانية، فحاربوا باسم الله من اجل اعلاء العقيدة الاسلامية.

(32) هامر، نفس المصدر، ج 2 ، ص 17 .

(33) Halil Inalcik, The Ottoman Empire: The Classical Age (1300-1600), p. 26.

عليها رسميا ابتداء من الآن استانبول اي " قبله الاسلام". وقد خصص احد الاحياء لكل الاقليات ومنها الاقلية العربية التي جاءت من عكا والرملة وحيث استقرت في دائرة ما اطلق عليها " تحت القلعة" (34)، وان النساء العربيات اصيلات " عكا وغزة والرملة والحران تزوجن الجنود المسلمين لغرض تعمير مدينة استانبول" (35). بل ان محمد الفاتح قد وجه مبعوثين الى كل زعماء المسلمين يومئذ (36) ، أحاطهم فيها علما ليس فقط بفتح القسطنطينية، بل قدم لهم معلومات متنوعة ومفيدة جدا تستحق ان نتوقف عندها لدراسة التوجهات الكبرى لسياسة محمد الفاتح وخلفية تحركه السياسي نحو سلطان مصر اينال (37) وخاصة نحو شريف مكة.

ففي رسالته للسلطان اينال، استعمل السلطان الشاب محمد الفاتح اسلوب التحريرات الديباجية التي كثيرا ما تستعمل في مثل هذه المناسبات وهو الاسلوب الذي يترجم، في حالتنا هاته، عن كثير من التقدير والاحترام نحو مصر ذات التاريخ العريق ، والتي كانت تتمتع بعلاقات طيبة مع السلاطين العثمانيين الاول. وقد بدأ محمد الفاتح كأحد المسؤولين المواكبين للساحة السياسية العربية وعلى الاخص للوضع الداخلي المصرية . على ان ارتباطه بالدين الاسلامي سوف تعكسه رسائله التي وجهها الى رؤساء العالم الاسلامي والتي عكست مدى حرصه على تأمين حركة " الجهاد" التي بدأها اجداده ومن سبقه من السلاطين (38) وان الوضعية التي سوف يجابهها سوف تعرضه، أكثر من اي مسؤول آخر، الى ادراك ذلك. على ان العرض الذي قدمه في رسائله لفتح القسطنطينية يستحق منا ان نوليه اهتمامنا. فبعد ان استعرض الاستعدادات العسكرية الضخمة التي اتمها والمعارك الحربية التي خاضها الجيشان، يعترف بشجاعة وبسالة جيوش الاعداء للدفاع، وبشراسة من مدينتهم وتراثهم ودينهم خلال اربع وخمسين يوما وليلة :

(34) توركوف، نفس المصدر ، ص 71 ، فان تحت القلعة جبارة من " شارع قرب البازار المصري بين الجامع الجديد وجامع السليمانية.

(35) المصدر نفسه .

(36) هامر، نفس المصدر، ج 3، ص 146 ، قدم الرقم: 25 رسالة ومنشورا سياسيا منسوبة الى السلطان محمد الفاتح، والتي نشرها فريدون بك، رئيس افندي بادئ الامر ثم رئيس قسم الاختام. وقد جمعها بعد قرن من الزمن . والملاحظ ان خمس او ست رسائل فقط هي التي حررها السلطان بنفسه. والبقية فقد حررها كيراني احد كبار علماء مصره، راجع ايضا، باينقر، نفس المصدر، ص 146 .

(37) وجب ملاحظة الفرق الكبير بين سن محمد الفاتح الذي لم يبلغ بعد 21 سنة والسلطان اينال الذي اشرف على 73 سنة.

(38) المكتبة البريطانية OR, 61 ، نص الرسالة الاولى الموجهة من السلطان محمد الفاتح الى سلطان مصر اينال، راجع الوثيقة رقم 1 اثر هذه الدراسة.

وَحَارِبْنَاهُمْ وَحَارِبُونَا وَقَاتَلْنَاهُمْ وَقَاتَلُونَا وَجَرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَهُم الْقِتَالُ أَرْبَعَةَ وَخَمْسِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً (39). وقد لمح السلطان محمد الفاتح للاعانات الأوروبية التي وصلت، ذاكرا اصلها ومصادرها قصد مساعدة البيزنطيين ضد هجوم الجيش العثماني. ثم تعرض في رسائله الى موقف اهالي قلعة والذين طلبوا قبل الحرب، عقد الصلح معهم وقد وافقهم عليه محمد الفاتح . الا انهم اثناء العمليات العسكرية، خانوا عهدهم وانضموا الى الجيش البيزنطي، وعلى الرغم من هذا الموقف المتلون، فان السلطان الشاب بدا متسامحا وعفى عنهم (40).

ان محمد الفاتح الفخور بهذا الانتصار العسكري الحاسم، كان يعده اهم انتصارات المسلمين على الاطلاق، وعلى إثر ذلك قام باعلام سلطان مصر بأن " صيرنا معابد عبدة الاصنام، مساجد اهل الاسلام، وتشرفت تلك الخطة بشرف السكة والخطبة (41). ولاداء هذه الوظيفة اختار : " ناقل ورق الدعاء، فخر الاماجد المجاهد امير جلال الدين القابوني" (42) راجيا " طيبات أدعية تلك المساكن الطيبة" وتمتين العلاقات بين الدولتين.

الا ان الذي شد انتباهنا في هذه المراسلات على الصعيد التاريخي، هي رسالة محمد الفاتح الى شريف مكة والمدينة (43) والتي بالاضافة الى نبأ فتح القسطنطينية الهام، كانت تهدف الى الاعتراف بهذا السلطان الشاب على المستوى الديني - الاسلامي. ولعل هذه المرة الاولى التي يوجه

(39) راجع النص الاصلي لهذه الرسالة التي اكتشفناها في المكتبة البريطانية، وحيث نلاحظ وجود بعض الاختلافات من حيث الاستعمال النحوي وقد لحنا الى ذلك في تحقيق هذه الرسالة.

(40) جاء النص الاصلي لهذه الفقرة بما يلي : " ومنها قلعة افرنجية جنوزية وهي المحصنة المدومة بقلعة غطة، وهي جارة لها متسقة النظام مملوءة من المشاركين القيام. فلما حاصرها قسطنطينية جانا اهل تلك القلعة وشددوا بنا ميثاقهم وجددوا وقامهم وقتنا لهم كونوا كما كنتم واثبتوا على ما انتم عليه بشرط ان لا تدينوا، فقبلوا شرطنا واطاعوا امرنا. فلما وقع ما وقع على قسطنطينية وجد بين القتل والأسرى من اهل قلعة وهم حاربونا. وبدا انهم نقضوا ميثاقهم وظهروا نقاقهم. فغردنا ان نفل بهم ما نغفون بالآخرين. فبينما هم جازوا مبتولين ومتضرعين وقالوا ان كم ترحمنا لتكونن من الخاسرين. فغفونا عنهم إنه العفو الفغار (كذا)".

(41) المصدر نفسه، راجع النص لهذه الرسالة المنشورة اثر الدراسة .

(42) لم نشر حتى معلومات بيبيوجرافية حول هذه الشخصية في المصادر العربية والتركية التي بحوزتنا . ويبدو انه عسكري وساهم في العمرة على انقسطنطينية. ولا شك ان الهدف من اختيار احد العسكريين كمبعوث ، يعكس حرص السلطان على نقل صورة تقريبيه للمعارك الطاحنة التي دارت رحاها، وهذا هو الامر الذي سر له السلطان اينال حيث اكرم وفادة المبعوث العثماني وجره عن سروره لذلك.

Rentz 6, " Barakat" in, Encyclopédie de l'Islam, T. 1, p. 1064. (43)

حيث تقدم المؤلف معلومات من عائلة مجلان التي كانت تتمتع بامتياز الاشراف من الحرمين الشريفين ثم من هلاقتها مع انسلطين المماليك، راجع ايضا Islam Ansiklopedisi . (باللغة اتركية) ج 4 ، ص 148 ، مقال من تاريخ مكة .

فيها سلطان عثمانى رسالة الى مسؤول عربي هو شريف مكة خلال سنة 1453 وحررت بالعربية وفي اسلوب ادبي رائع ، وهي رسالة تترجم بدقة عن هذه الخطة القاضية ليس فقط بالاتصال بشريف بل ايضا بالشيوخ والعلماء والزهاد والنظار وخدام الحرمين الشريفين وكذلك الفقراء والمعوزين.

وقد وصف السلطان محمد الفاتح شريف مكة في هذه الرسالة " بامير المسلمين وولي المؤمنين" و " سلطان بيت الله" و " علاء الله والدين" وهي صفات تمنح عادة الى اعلى سلطة دينية في العالم الاسلامي. ويمكن تفسير هذا التحرك على مدى ارتباطه الديني والروحي للاسلام وحرصه على ارضاء الاوساط الدينية المكية ودعمهم وتأييدهم لشخصه وسياسته؛ وبالإضافة الى ذلك كان محمد الفاتح يسعى ايضا الى تقنين نشاطه وفعالياته في اعين المسلمين الذين يلتقون بمناسبة الحج. ولنا ان نتساءل هل كان محمد الفاتح يخطط لتقلد مسؤولية دينية على مستوى العالم الاسلامي ونعني بذلك الخلافة؟ اتنا نذهب الى هذا الاعتقاد. على ان الذي يؤكد هذا التوجه " هي مجموعة من الاشارات الدالة عليه". ومن ذلك حرصه ان يجعل من استانبول مقر الخلافة وهي : " مهيأة بأمر الله لمقر الخلافة الاسلامية كما جاء ذلك في رسالته الى شريف مكة (44).

فبعد ان قدم صورة مؤثرة لفتح القسطنطينية والتضحيات الكبيرة التي تحملها العثمانيون لتحقيق هذا النصر، احاط مخاطبه الحجازي، شريف مكة، انه اختار الحاج محمد الزيتوني (45) كسبعوث اليه، حاملا له : " هدية لكم خاصة الفلورى من الذهب الخالص التام الوزن العيار، والمأخوذ من تلك الغنيمة وسبعة آلاف فلورى اخرى للفقراء منها الفان للسادات والنقباء والى للخدام المخصوصة بالحرمين والباقي للمتمكنين المحتاجين في مكة المعظمة والمدينة المكرمة زادهما الله شرفا. فالرجو منكم التقسيم بينم بمقتضى احتياجهم وفقهرهم واشعار كيفية السير الينا وتحصيل الدماء منهم الينا باللطف والاحسان...." (46).

وقد قام شريف مكة بتحرير رد على رسالة السلطان محمد الفاتح، تتوقف عنده قليلا لدراسة خليفة موافقه، ورأيه تجاه هذه الدولة العثمانية - الاسلامية الصاعدة وعلى الخصوص تجاه السلطان نفسه وحيث وصفه بأنه " معين الاسلام والمسلمين، وسلطان الملوك والسلطين، ونور هيون المجاهدين، ونور حدائق لطف الله في الارضين ... محيي الشريعة المحمدية، منجي الملة الاحمدية،

(44) كما يبدو لنا من كل هذه القرائن ان فكرة الخلافة قد جالت في ذهن هذا السلطان الشاب قبل دخول العثمانيين بلاد الشام ومصر في اوائل القرن السادس عشر.

(45) هل هو احد اقطاب الشافعية بمصر (1425 - 1518) الف كتابا حول الفقه والشعر، راجع صر كحالة ، معهم المؤلفين ، ج 11 ، ص 218 .

(46) راجع النص الاصيل للرسالة، المنشورة اثر الدراسة .

الفائق على اسلافه بالغزو والجهاد، المباهي بين اقرانه بالفتوح وتسخير البلاد... (47).

وحتى يكسب هذه المهمة قيمتها الرمزية والتاريخية، فان شريف مكة فتح رسالة السلطان محمد الفاتح ' بالاجلال والتكريم' وفتحناها بكمال الادب وقرانها مقابل الكعبة المعظمة بين اهل الحجاز وابناء العرب ...' (48). بل ان الشريف عجلان اطرى في رده، متحدثا عن القسطنطينية وضواحيها وحيث 'متانة حصنها مشهورة بين الانام وحصانة سورها معروفة عند الخواص والعوام وحمدنا الله بتيسير ذلك الامر العسير وتحصيل ذلك المهم الخطير ...' (49).

وقد تعرض شريف مكة الى المبلغ المالي الذي اهداه السلطان محمد الفاتح من غنيمة الفتح واحاطه علما بأنه عمل ' حسب الاشارة الشريفة فقبض كل واحد من المستحقين كل القبض' (50). وحتى يظهر اخلاصه واستقلاله النسبي، كلف شريف مكة احد المبعوثين هو نجم الدين السيوطي للتحويل الى استانبول ' لتقيل سادتكم السنية وتلثيم هتبتكم واتحفنا لخدمتكم برقع باب مكة المكرمة والاقمشة الهندسية المتنوعة سبع طقوزات وعشرين شاشة المبلولة بماء زمزم' (51). على ان الذي يلفت انتباهنا في هذه الرسالة هو عدم ذكر سلطان مصر ولو مرة واحدة، مع العلم ان الحجاز يعتبر اداريا وسياسيا تابعا لسلطان الممالك بمصر. ومن جهة اخرى فان ردي سلطان مصر اينال على رسالتي محمد الفاتح، يعدان مهمين جدا حيث عكستا اعجاب اينال للانجاز الذي حققه محمد الفاتح. فعندما وصلتته انباء الانتصار العسكري على القسطنطينية، بدت 'البشائر بالقلعة ونودي في القاهرة بالزينة' (52)، بل ان الشعب في عموم مصر قد اظهر السرور والابتهاج واقام الحفلات خلال ايام عديدة. ولا شك ان صدق هذا الحدث الخطير قد دوى صدهاء في كامل البلاد العربية وخصوصا في القاهرة حيث تحدث عنه كل المؤرخين باعجاب ونخوة وتمجيد.

اما السلطان اينال فقد استعمل في رده ديباجة ادبية وصيفا بلاضية ترجمت من اعجابه بهذا السلطان الشاب وقد تخلل رده، ذكر لايات قرآنية واحاديث الرسول واييات من الشعر، وهو ما يترجم من فرط سعادته. بتحريير رسالة مطولة، استعرض فيها العلاقات الطيبة بين البلدين وكيف ان تعاونهما يفرض عليهما واجبات جديدة تجاه المجموعة الاسلامية. هذا وقد استقبل السلطان

(47) المصدر نفسه .

(48) المصدر نفسه .

(49) المصدر نفسه .

(50) المصدر نفسه .

(51) المصدر نفسه .

(52) ابي اياس، بدائع الزهد في وقائع الدهور، ج 2، ص 316، طبعة ثانية، القاهرة 1984.

اينال المبعوث العثماني بحفاوة بالغة وبالغ في اكرامه ووفادته احتراماً لرتبته ومقامه . وفي نفس الوقت اخبر السلطان العثماني بان الاموال الموجهة الى الحجاز قد سلمت الى القافلة المصرية المتجهة الى الحرمين الشريفين .

وبالاضافة الى ذلك شكر السلطان اينال السلطان محمد الفاتح للهدية التي وجهها اليه . وقد امر ان يرسل مع المبعوث العثماني البرسباى الاشرفى ، هدية ثمينة جدا كتعبير للتقدير والاعجاب الذي يكنهما له . وفي نفس الوقت هبر عن الرغبة للمحافظة على حسن العلاقات وتمتينها ودعمها في جميع المجالات ، وهو الامر الذي حافظ عليه السلطان محمد الفاتح طوال فترة حكمه كلها .

* * *

الرسالة الاولى

وهي رسالة السلطان محمد الفاتح الى الملك اينال ، ملك مصر

بفتح نامه ببي سلطان محمد غازى فتح وتسخير قسطنطينية عزيز مصر اينال شامه كوندومشدر خواجه سى ملاكورانى انشاء سيله :

اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير. يحمد الله ويثنى عليه عبده المستبشر بالمبشرات المتواردة المتواترة اللاتي ينبئن عن استقرار القدم المقدم المقدام على سرير السلطة السامية الباهرة بالدولة العالية القاهرة الا وهو السلطان الوالي العالمي العاملى المؤيدى المظفرى الظهيرى النصيرى العونى الفوشى الفياشى الامامى الهمامى النظامى الذى اشرقت من افق التوفيق شمس سلطنته وخفقت راية الاقبال من هبوب نسيم خلافته ويطاطا اعناق الجبابرة نحو سدته السنوية ويتكاكا اقبال الاكاسرة على عتبه العلية وبه اوضحت عقود الامامة منتظمة وامور السلطنة ملتزمة ويتفاخر بوصفه الماثر ويختال بذكره المفاخر اعنى المليكى اللطفى السلطاني الاشرفى الابوي الاعطفي ضاعف الله تعالى ملكه وسلطانه وافاض على العالمين بره واحسانه ولا برح في دولة لا تهدم دارها ونعمة لا تقصم اثارها وسعادة لا تصفر اوراقها. وما انك لا يتغير افاقها (1) وما انك بنود الدين بباهر صولته مرفوعة واسنة الحوادث في بحور اعدائه مكسورة وجماجم حساده على رؤوس الاسنة منصوبة وتحت الاقدام محفوظة، ويقول (2) لما تابعت عندنا الاخبار التي تشتمل على سعود شمس

(1) في النص المطبوع : وسيادة لا تتغير افاقها .

(2) في النص المطبوع : ونقول

السلطنة على اوج سرير الخلافة ادامة الله تعالى واعلاه وبارك فيه وابقاه ببركة نبيه المجتبى ورسوله المصطفى عليه وعلى آله من صلة الصلوات ازكاهها، ملتنا بهجة وسرورا وغبطة وحبورا وانشدنا (3) بلسان صدق :

هنيئا لمصر انت صرت عزيزه بلوغ الاماني وابتغاء المحامد
ويعتدل الايام فيها ويقتفي صنوف البرايا منه طرق الفوايد
فمنذ ظهرت فيها علايم باسمكم قد التظمت منها رسم المفاسد

هذا وان الولاء والمواصلة بين من تكفل بمؤونة احياء نسك الحج للعباد وبين من تحمل بمشاق تجهيز اهل الغزو والجهاد كما هو المتوارث من الاباء والاجداد انعمهم الله نعم الموعود في المعاد. فالقلب مصمم على تأييد تلك القديمة بسلوك طرائق تنسى لطايف آخرها بطيب نعيمها لدايد اوليها، فبهذا الحبل المتين نحن ماسكون وعلى هذا الصراط المستقيم سالكون (4)، فشددنا وثاق صدق ذلك المقر العالي اعلاه الله واسماء وفتحنا ابواب المراسلة وقدمنا اسباب المواصلة واهدنا طرائق التسليمات السليمة عن شوائب الربا والرعونات واتحفنا لطايف التحيات المنورات بنور الاخلاص المحلات بالولاء والاختصاص المزهرات بصدق الطوية رياضها المترعات من زلال المحبة حياضها ورفعنا الادعية الصالحة المستجابة والاشية الفايحة المستطابة المبالغة ذروة الكمال والاتواق المتواليه بالغدو والاصال وانهينا إلى العلم الكريم محقوفا بما يسر اليه تعالى من المطالب الهنية والمآرب السنية ان من احسن سنن اسلافنا رحمهم الله، انهم مجاهدون (5) في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم. ونحن على تلك السنة قاثمون وعلى تينك الامنية داثمون (كذا) وممثلين بقوله تعالى : " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله" ومستمسكون بقوله عليه السلام: " من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار" فهمتنا في هذا العام، عمه الله بالبركة والانعام معتممين (كذا) بحبل الله ذي الجلال والاکرام وتمسكين بفضل الملك العلام الى اداء فرض الغزا (كذا) (6) في الاسلام، مؤتمرين بأمره تعالى : " قاتلوا الذين بلونكم من الكفار" ، جهزنا عساكر الغزاة والمجاهدين من البر والبحر لفتح

(3) في النص المطبوع : وانشر

(4) تتضح لنا على ضوء هذه الرسالة الاولى الموجبة لسلطان مصر خلفية تحرك السلطان الشاب محمد الفاتح ومدى التاج العميق والعاسم الذي احده في نفسه بدايات الدولة العثمانية، وهي البدايات التي اتسمت بحركة الفترحات والمواجهات والعرد باتمساراتها واتكاساتها.

(5) اعتبار السلاطين العثمانيين الاول كمجاهدين من طرف محمد الفاتح، يترجم من " التوجهات الاسلامية التي بررت تحركه ليس فقط اثناء فتحه للقسطنطينية ، بل طوال فترة حكمه كلها والتي اتسمت بذلك وحيث لم يعد منه تماما.

(6) تنويجا للملاحظتين السابقتين، نرى كيف ان عملية الغزو والفتح اخذتا حيزا واضحا في سلوك وتحرك محمد الفاتح.

مدينة ملثت فجورا وكفرا، التي بقيت وسط الممالك الاسلامية تباهي بكفرها فخرا:

فكانها حصف على الاخذ الاغر وكانها كلف على وجه القمر

وهي محصنة صعب المرام شامخة الاركان راسخة البنيان مملوءة (7) من المشركين الشجعان (8) خذلهم الله اينما كانوا وهم مستكبرون على اهل الايمان متناصرون بالجزيرة (9) الغريبة مثل رودوس وقلتان ووناديك (10) وجنوز (11) وغيرهم من اهل الشرك والطفيان وحصن محصن مسدد مشدد مشيد منسق النظام، ما ظفروا به اسلافنا العظام، هؤلاء السلاطين الاساطين! الفخام مع انهم جاهدوا حق الجهاد ولم ينالوا بها نيلا، وهي قلعة عظيمة مشتهرة في السنة اهل الارض باسم القسطنطينية ولا تبعد من ان تكون هي التي نطق بها صحاح الاحاديث النبوية والخبار المصطفوية عليه وعلى آله ثم الصلوة (كذا) والتحية فيفتحون قسطنطينية. فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون الحديث وغير هذا من الصحاح المشهورة هي هذه المدينة الواقعة جانب منها في البحر وجانب منها في البر. فاعدنا لها كما امرنا الله بقوله: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة" كل ابهة يعتد بها وجميع اسلحة يعتمد عليها من البرق والرعد والمنجنيق (12) والنقب (13) والملاحور (14) وغيرها من جانب البر والفلك المشحون والجوار المنشآت في البحر كالاعلام من جانب البحر، ونزلنا عليها في السادس والعشرين من ربيع الاول من شهور سنة سبع وخمسين وثمانمائة (15):

فقلت للنفس جدى الآن فاجتهدى وساعدني فهذا ما تمنيت فكلما دعوا الى الحق اصروا واستكبروا وكانوا من الكافرين. فأحطنا بها محاصرة وحاربناهم وقاتلناهم وقاتلونا وجرى بيننا وبينهم القتال اربعة وخمسين يوما وليلة :

اذا جاء نصر الله والفتح هينا على المرء مسعور الامور وصعبها

(7) تؤكد المصادر الغربية والتركية ان استخبارات محمد الفاتح من اعدائه ، كانت دقيقة وصحيحة وشبكة معوماته من القسطنطينية هي التي برزت نوية الاستعدادات العربية التي امنت له النصر.

(8) ان يعترف السلطان محمد الفاتح بشجاعة جنود الاعداء، فهذا امر جدير بنعت الانتباه اليه ولا تصدر مثل هذه الاعترافات الا من خابر المعارك العربية وابطالها.

(9) هي الزحف من مدم تحديد اماكن هذه الجزر، إلا أنه يبدو ان القصد بها كل الجزر التابعة غمى فك السياسة البيزنطية.

(10) اي انبديقة.

(11) اي جنوة.

(12) وهي صارة من آلاف حربية تستعمل لذف الاحجار الكبيرة من بعد.

(13) انقب حسب بعض انقواميس في الانعام .

(14) لم نعر على تعريف لها ونحن سياقها بعد ذكر نوعين من آلات الحروب، يدل على نوع آخر من ادوات الحروب.

(15) 6 اغريل 1453 .

فمتى مطلع الصبح الصادق من يوم الثلاثاء (كذا) يوم العشرين من جمادى الاول، هجمنا مثل النجوم رجوما لجنود الشياطين سفرها الحكم الصديقي بركة العدل الفاروقي بالضرب الحيدري (16) لال عثمان، قد من الله تعالى بالفتح بكرثد قبل ظهور الشمس من مشرقه (17) فيهزم الجمع ويولون الدبر، بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وأمر" وأول من قبل وقطع راسه تكفورهم (18) اللعين الكنود فاهلكوا كقوم عاد وشمود فحفظتم ملائكة العذاب فأوردتهم النار وبئس المآب، فقتل من قتل واسر من بقي، غاروا خزائنيهم واخرجوا كنوزهم ودقائنيهم موفورا فأتى عليهم حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا" فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين. فيومئذ يفرح المؤمنون بنصر من الله ينصر من يشاء. فلما ظفرنا على هؤلاء الارجاس الانجاس الحالوس ظهرنا القوس من القسوس واخرجنا منه الصليب والناقوس وصيرنا معابد عبدة الاصنام، مساجد اهل الاسلام وتشرفت تلك الخطة بشرف السكة والخطبة (19). فوقع امر الله وبطل ما كانوا يفعلون وبعد فكانت في شط الشرم الذي يكون شماليا منها قلعة افرنجية جنوزية وهي المحصنة المدعوة بقلعة غلطة وهي جارة لها متسقة النظام مملوءة من المشركين الليام، فلما حصرنا قسطنطينية، جاءنا اهل تلك القلعة وشددوا بنا ميثاقهم وجددوا معنا وفاقهم وقلنا لهم كونوا كما كنتم، وأثبتوا على ما انتم عليه، بشرط ان لا تعينوها. فقبلوا شرطنا وأطاعوا امرنا فلما وقع ما وقع على قسطنطينية وجد بين القتلى والاسرى من اهل غلطة وهم حاربونا، وبدا انهم نقضوا ميثاقهم وأظهروا نفاقهم. فأردنا ان نفل بهم ما فعلنا بالآخرين. فبينما هم جاؤا (كذا) مبتهلين ومتضرعين، وقالوا : ان لم ترحمنا لنكونن من الخاسرين. ففعلنا عنهم انه هو العفو الغفار، ومننا عليهم المنة لله الواحد القهار، وقررنا على ملكهم، الملك لله العزيز الجبار، ولكن جعلنا حصنهم صعيدا جزرا بحيث لا يرى فيها عوجا ولا امتأ، وملكنا ارضهم وماهم وكتبنا في جريدة الجزى اسماءهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله :

سعد الزمان وساعد الاقبال ودنا المنى واجابت الامال

- (16) اي ضرب الاسود، حيث ان كلمة الحيدري معناها الاسد وهذا خلافا لقاموس محمد زكي كالين :
Tarih Deyimleri Ve Terimleri Sözlüğü
 ج 1 . ص 779 ، استانبول 1971 ، فان الحيدري هو عبارة عن لباس داخلي تستعمله غرقة الباشكاش.
 (17) 29 ماي 1454 .
 (18) الامبراطور البيزنطي.

(19) المراجع التي تناولت موضوع الفتح عديدة وكثيرة ومتنوعة ولعل من اهمها كتاب الاستاد الايطالي برطوسي :
Agostino Peitusi, La Caduta di Constantinopoli, 2 tomes, 1976.
Şmail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Tarihi, 2c edition 7560, Tarih Kürümü, Ankara, 1988.

فلما جمع الله تعالى بفضله في قلب عبده زين السرورين العظيمين احدهما : حفظ نظام سرير السلطنة وحماية البلاد، والآخر : قرة لعين الشرع باحياء فرض الجهاد وجه تلقاء الارض المقدسة التي بارك الله فيها باجراء احكام السلطنة حامل وقر الثناء وناقل ورق الدعاء، فخر الاماجد دخر المجاهد امير جلال الدين القابوني (20) وقت عودته بالسلامة بهدية يسيرة من الاساري والغلمان والاقمشة وغيرها حسبما ذكر مفصلا في كتاب غير هذا، وان كانت نسبتها الى ما وجب علينا كنسبة القطر الى البحر. فالمامل الاغضاء بحسن القبول، فاذا يسره الله التشریف بتقبيل بساط الخلافة (21)؛ زاده الله بسطه بالعدل والنصر، يتعمل ويتمنى ان ينعم بالمشرفات السادة المحتويه بسلامة النفس النفيس الطيبة وصحة الذات المطهرة ابقاها الله في دولة دينية ودنياوية وبسوانح الأخبار من مهمات السلطنة، كما نتشرف بالانتماء الى ذلك المقر الشريف وتلطف بالاعتزاز لذلك المجلس اللطيف، ونحن نترقب طيبات ادعية تلك المساكن الطيبة والله مجيبها ببركة نبيه المجتبي عليه في التحية ازكاها، الحمد لله على نواله والصلوة على محمد وآله والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب.

* * *

الرسالة الثانية

رد السلطان المملوكي اينال على رسالة السلطان محمد الفاتح :

ضاعف الله تعالى نعم المقر الشريف العالي المولى الاولوي الكبيرى العالمى العادلى المؤيدى العضدى الكهفى العونى الغياثى المكى السيدى الهامى النظامى القوامى المظفرى الذخرى المهدي المشيدى المجاهدى الثاغرى المرابطى الظهري الناصرى، معز الاسلام والمسلمين، ناصر الغزاة دخر المجاهدين ملجا الفقراء والمساكين، زعيم جيوش الموحدين ممهد الدولة، مشيد الممالك، عماد الملّة، حامى الثغور الاسلامية غياث الامة المحمدية، ظهير الملوك والسلاطين عضد امير المؤمنين، ولا زالت اخبار فتوحاته متواترة وركايب نصره في ساحة الوجود سائرة وعرصه الهيحاء قائمة، فالافلاك الدائرة تجرى بتأييده، فيجعل لاوليائه العقبى وعلى اعدائه الدائرة. اصدرنا هذه المفاوضات الى المقر الكريم مهنته له بهذا الفتح الذي ادخره الله لايام سعده وهذا النصر الذي من الله به تعالى على المسلمين، وما النصر الا من عنده ونهدي اليه سلاما طاب نشره ووضح بشره وثناء

(20) نم نشر في دور المعارف وكتب الاعلام العروغة معلومات من هذه الشخصية.

(21) ان التميم بالخلافة يرمز ولا شك الى الكانة السياسية التي كانت تتمتع بها مصر حتى صعيد البلاد الاسلامية واتقرار محمد الفاتح بدمر مصر في ذلك، وهذا على الرغم من عدم تحديد نوحية الطموحات الدينية التي كان يتطلع اليها السلطان محمد الفاتح، راجع دراستنا اعلاه.

ينشف الاسماع ذكره ونبدي لعلمه الكريم ان مكاتيبه الرفيعة التي جهز الينا على يد رسوله المجلس السامي الاميري الكبيرى الذخرى العضدى المؤتمنى، الجمال يوسف القابونى الناصرى، احسن الله وفادته ويسر بالخير اعادته، وقفنا عليها وصرفتنا وجه الاقبال اليها وسرحنا النظر في زهر الخمايل من سطورها وشرحنا خاطر ببديع منظومها ومنثورها، ووجدنا لها محلا من البلاغة عاليا، لا يدرك ثناءه الاوهام ومنهلا من الفصاحة عذبا ازدحمت فيه فرايب المعاني، واتفينا الى ما اشار اليه، فما يسر الله له من فتح قسطنطينية العظمى وما خصه الله تعالى به من آيات النصر ومنحه به من الطافه الخفية وفهمنا ذلك مجملا ومفصلا ومفرعا وموصلا. وكررنا حمدا لله عز وجل على ما من به من هذا الفتح المبين وهذه النعمة التي تتضمن تثبيت قلوب المتقين على اليقين واعلاء كلمة الموحدين على الملحددين وهذه النصره التي اصبحت بها كلمة الايمان منتشرة وجبهة الصادقين مبيضة وشفاه المسلمين بها ضاحكة مستبشرة ووجوه المشركين عليها غبرة ترهقها فترة اولئك الكفرة الفجرة. وقد اعدنا الجواب عن ذلك وعن جميع ما اشار اليه مفصلا على يد رسوله المجلس الجمالى المشار اليه اعلاه، كما سيحيط به علمه الكريم بعد ان عاملناه بمزيد الانعام ووافر الاحترام وافضنا عليه وعلى من به خلع التشريف والاكرام وانعمنا عليهم من مائدة الاحسان التام واعدناهم الى خدمتهم الكريمة على احسن الوجوه، واجمل الحالات. وجهزنا صحبتهم الواصل بهذه المكاتبه هو المجلس العالى الاميري الكبيرى المويدي الذخرى الاعزى الاخصى المؤتمنى القربى المنيقي برسباى الاشرفى احد امراتنا واوحد اخصاتنا (22)، كتب الله تعالى سلامته وادام سعادته وحملناه من السلام الوافى والاكرام الكافى ما هو اذكى من نشر الخزام وعن الحب الصافى والود الشافى ما لو تجد لكان اصفى من ماء الغمام ومن الصداقة والاخلاص والموالاة والاختصاص ما هو على ذلك شهيد وله مبدئى ومعيد، وجهزنا على يده من الهدية ما يؤكد اسباب الود والمحبة ويوثق عرى الاتحاد والصحة كما هو دأب السالفين الاقدمين من الحكام والسلاطين وهي هذه : شرح هدايا :

دبايس	نمجا	سيف سقط ذهب وبدله مكاكين
يرد غايات واطبار فولادى	سقط ذهب	من سمك وسيولق
بركسطوان	مخمل احمر بصفائح ذهب	يوقلان مخمل احمر بمسار
مخمل احمر بمسار ذهب	سقط ذهب خاص	ذهب
	قاش اسكندرى	سرج ذهب وعرقية زركش
بنديقى لهوعا	010 قطعة	خاص

(22) نم نشر على معلومات بيبيوجرافية من هذه الشخصية.

مخول خاص 3	تفاصيل اسكندري 31 رمه زجاج ضمها دهن بلسان	كمخا بندقي حجون I : افيال 2 حمار وحشي I : ضمها دهن بلسان
------------	---	---

فالمقر الكريم يأمر بتسليم ذلك وقبوله ويشمل قاصدنا المشار اليه بحسن النظر ومثوله ويواصل باخبار المسرات وما يعين له من المهمات ليستر الموافاة من الجهتين، كما كان بيننا وبين ابائه العظام واجداده الكرام اثار الله براهينهم مع الاتحاف بالمودات والاهداء بالمصافات والله تعالى يتمتع الاسلام ببقائه ويجعل قواضيه القاضية محكمة في اعدائه حتى يصبح جنود الملة المحمدية بتوالي فتوحاته منصوره الاعلام وتصير البلاد كلها بعزماته المؤدية دار السلام ان شاء الله تعالى، كتب في العشرين من شهر ذي القعدة الحرام سنة سبع وخمسين وثمانمائة من الهجرة النبوية.

* * *

الرسالة الثالثة

بوقتح نامه يبي سلطان محمد غازى تسخير قسطنطينية ده مكة شريفه صرة نى فلورى معينة برله كوندر مشدر

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ادام الله علو المقر الكريم السيدى السندى الاشرفى الشريفى الاكرمي الاعلمي الاورعي النظامي الامامي الهمامي الاوحدى العالمى العالمى الاعظمى الاولوي الاعلوي العلوي المشيدي المؤيدي النصيري الظهيري انطاھري، معلى قواعد الموسم والحرمين حامى مشاهد البقاع الشريفة والمروتين، مؤسم مراسم العظمة والجلال، مؤكد معاهد المقاصد والامال، مطلع لوامع العز والتمكين، مظهر مائر الملك والدين، فلذة اكباد الرسول، زبدة احفاد البتول، امير المسلمين وولي المؤمنين، خلاصة اولاد شفيح المذنبين وهو السيد الشريف والقوم المنيف، سلطان بيت الله تعالى، شرفه الله وحواليه، علاء الملة والدولة والدين السيد العجلاني الاحسنى زاد الله تعالى سعاده وادام سيادته ولا خلافى دولة لا ينهدم دارها ونعمة لا ينقص اثارها ولا زالت اسباب مودته ومحبه مؤكدة وهقود موالاته وهمته منتظمة منضدة مدى الدهور والايام (23) بحرمة سيد الاولين والاخرين وآله وصحبه واجمعين الطيبين الطاهرين عليه الصلوة

(23) في انص المطبوع : الاعوام .

والسلال وبعد، فقد ارسلنا هذا الكتاب مباشرة بما رزق الله لنا هذه السنة من الفتوح التي لا عين رأت ولا اذن سمعت وهي تسخير البلدة المشهورة بقسطنطينية الملاصقة بمرج البحرين وفي مقابلتها مدينة اخرى موسومة بقلطة وفي جانبها الشرقي بلدة اخرى معلمة باسكودار. اما الاولى فكانها شعبان له سبع رؤوس من قللها المشهورة او تلك القلل سبع رواسي شامخات حصينة رفيعة مهيبة بأمر الله تعالى لمقر الخلافة الاسلامية ومرزوقة بتقدير الحكم السبحانية. ولا شك انها سلطان البلاد، والاخريان من جنبيها يمينا وشمالا كخادمين في طرفي السلطان. فلما توجهنا وعزمنا عليها، هجم علينا الكفار المملوءة فيها خارجا وداخلا وحاربوا معنا فقام (كذا) المحاربة بيننا وبينهم قريب من شهرين بعد اباتهم عن اعطاء الجزية الشرعية، ثم عجزوا عن القتال وعربوا من الجدل، فأزدحم اهل الاسلام وجاهد كل من المجاهدين عن البر والبحر حق الجهاد فقتلوا من السور وصعد جمع كثير من الكماة الغزاة الموحدين فوق منافذ جدرانها المدرسة من المنجقين والعرادة، فدخلوا في نفس هذه البلدة المتبركة المنورة بقدم الموحدين بالتكبير والتهليل يوم الثلاثاء العشرين من شهر جمادى الاولى، فقطع في مبدأ الحال رأس رئيس هذه الملاعين اعنى التكفور اللعين ولحق بجهنم مع سائر المقتولين المشركين فخرجوا دورهم وكسروا صلبانهم واغاروا خزائهم واموالهم واسروا ذراريهم وصبيانهم، وجعلوا معابدهم القسيسية مساجد الامة المحمدية وجمع الملة الاحمدية، وظهر تلك المواضع عن الارجاس الرهبانية والانجاس النصرانية * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين. واما بقية السيوف فعفونا عنهم وقطعنا عليهم الجزية السنوية، سعيا لبيت المال فلما تشرف مناير الخطب بشرف القابنا العلية الباهرة وتزين وجوه الدراهم والدنانير المسكوكة بزينة اسمائنا الجليلة الطاهرة، جهزنا الى خدمتكم الشريفة فخر المقربين وزين حجاج الحرمين خواجه حاجي محمد الزيتوني (24) حفظه الله تعالى في الذهاب والاياب ورزقه الوصول والمعاودة بالخير والصواب لتبليغ الرسالة وترسيل البشارة فالمأمول من مقر عزكم الشريفة ان يبشش بقدم هذه المسرة العظمى والموهبة الكبرى مع سكان الحرمين الشريفين والعلماء والسادات المهتدين والزهاد والعباد الصالحين والمشايخ الامجاد الواصلين والايمة الاخيار المتقين والصغار والكبار اجمعين المتمسكين باذيال سرادقات بيت الله الحرام التي كعروة الوثقى لا انفصام لها والمشرفين بزعم والمقام والمعتكفين في قرب جوار رسول الله عليه التحية والسلام واعين لدوام دولتنا في العرفات، متضرعين من الله نصرتنا، افاض الله علينا بركاتهم ورفع درجاتهم بالنبي الانبيا (كذا) وآله وذويه، وبعثنا مع المشار اليه هدية لكم خاصة الفه فلورى من الذهب الخالص التام الوزن والعيار، المأخوذ من تلك الغنيمة وسبعة آلاف افلورى آخر للفقراء منها الفان للسادات والنقبا والالف للخدام المخصوصة بالحرمين والباقي للمتمكنين المحتاجين في مكة المعظمة والمدينة المكرمة زادها

(24) لم نشر على معلومات بيبيوجرافية من هذه الشخصية .

الله شرفا. فالمرجو منكم التقسيم بينهم بمقتضى احتياجهم وفقدهم واشعار كيفية السير اليها،
وتحصيل الدعاء منهم لنا دائما باللطف والاحسان ان شاء الله تعالى والله يحفظكم ويقيكم
بالسعادة الابدية والسيادة السرمدية الى يوم الدين آمين يا رب العالمين وصلى الله على خاتم الانبياء
والمرسلين وآله وصحبه اجمعين.

* * *

الرسالة الرابعة

جواب ملك مصر اينال على رسالة السلطان محمد الفاتح :

أعز الله تعالى انصار المقرر الكريم العالي الكبيرى العالمى العادلى المجاهدى المرابطى الفياثى
المهدى المشيدى الزعيمى الظهيرى الناصرى معز الاسلام والمسلمين ناصر الغزاة دخر المجاهدين
ملجا الفقراء والمساكين زعيم جيوش الموحدين، ممد الدول، مشيد الممالك، حامى الثغور الاسلامية،
فيث الملة المحمدية، ملك الملوك والسلاطين، عضد امير المؤمنين وهنا بهذا الفتح الذى جاء الاطناب
في بلاغة وجيزا (كذا) وابتهل كل موحد به واعلن بسورة الفتح وتلا " وينصرك الله نصرا عزيزا" لا
زال وجه النصر تترى في مرآة صفاحه (كذا) وثمرات النصر تجبى من اغصان رماحه محروسة
وفروض الجهاد بسيوفه المسنونة في كل وقت تقام وبلاده الاسلامية بالجناب المحمدى عليه السلام
وهمزات عوامله بصدور الكفار موصولة والسن سيوفه بثغور بلادهم من رشف ارحاق دماثهم مبلولة
وهم ابطاله منتظمة في نصرة دين الله كالعقد النظيم " وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم"
ولا برحت عزماته تجلى من اعداء الاسلام المعاهد وتحل منهم المعاهد وتحلوا عليهم مواقف الحرب
مستقرة المواقد، وتطلع في سماء النقع من سيوفه نجوما وقادة، وتشهد على الكفار في محضر
الغزو وما يعجز، وكيف لا وذاك الموطن محل الشهادة فهو بحمد الله ما سلك خلف الكفار برا " الا
قالوا لقينا من سفرنا هذا نصبا" ولا خاض عباب بحر " الا اتخذ سبيله في البحر عجباً. اصدرنا
هذه المفاوضة الى المقرر الكريم معربة عما نحن منظوون عليه من التهاني بهذا الفتح الذى وضع على
جبين الصباح بشره، ورجح ميزان على الكواكب قدره، ونخصه بسلام يتأرجح عرفا ويبتلج وصفا
ويكاد يمازج النسيم لطفا وثناء وجلل ملابس الاكرام واضفى واعذب مواد الوداد واصفى، قد اتخذ
نقحات المسك طليعة واجمل لرداء الملك توفيقه وتوسيعه وانتشر به بناء الحب الذى استودعه من
صدور الرسائل يحفظ الله هذه الوديعة. وتبدي لعلمه الكريم ورود كتابه العظيم وخطابه الذى ازرى
بالرر التنظيم على يد المجلس السامى الاميرى الكبيرى الاوحدى الاكلمى المؤتمنى القربى الجمالى
يوسف القابونى الناصرى، احسن الله وفادته ويسر الى المقرر الكريم اعادته فاكرمناه حين قابلناه
ورفعنا محله لما تناولناه واستنشقنا المسك لما فضضناه وابتهجنا ابتهاج الضمان بوروده، ونظرنا

منه الى احسن من برود الروض اذا حل الندى ازبان وروده، فشمنا مخايل النصر من سطوره ونزهنا النواظر في رياض منظومه ومنثوره ، وتلمحنا من خطه وخطابه، ما هو ازهى من زهر الخمايل عند مر النسيم ووجدناه مشتملاً على انواع البراعة مما وشى الرقيم محتويا على بديع الالفاظ التي سحبت ذيل البلاغة سبحان في الزمن القديم متضمنا بما من الله به ويسره على المقر الكريم من هذه النصره على اهل الكفر والعناد وبلوغه من ارغام اعداء الله ورسوله بنى الاصفر، اقصى المواد واتيها الى ما اشار اليه من سيرة على القسطنطينية العظمى بعساكره الاسلامية وجنوده المحمدية، وانهم احد قوامها فكانوا لها اصفادا وزلزوا ارضها بجياد خيل وقفت صابرة، فكانت اوتادا وانه ارسل اليها في البحر جوارى كالاعلام ومدنا في اللجج سواثر كأنها معلقة بالايام، وربما بفرسان من البر واقدم على منازلها بمن اطاع الله وبره وخطبها بكرا فتمنعت واطالت في التنحي، فترفعت. فلما تحققت عظم امرها في النفوس ورافت كثرة ما القى اليها من نثار الرؤوس ضجت الى الاحسان بعد النشوز وعلمت ان الامتناع من قبول الاحسان لا يجوز، فامكنت زمامها، من يد خاطبها وامتعته على رغم انف مراقبها وانشد لسان الحال :

خطبتها بكرا وما امهرتها الاقنى وقواضيا وفوارسنا
من كانت السر العوالي مهره جلبت له بيض الحصون عريسا
الله اكبر ما جنيت ثمارها الا وكان ابوك قبلك غارسنا

هذه كله بعزائم لم يشبها في الحروب نكول ولا تقصير، فكان بحمد الله جمعه جمع سلامة وجمع الاعداء جمع تكسير، فاخذهم احدى القرى وهي ظالمة واعلمهم ان السيوف الاسلامية لم تترك لهم بقوة الله يدا في الحروب مبسوطه ولا رجلا في المواقف قائمة، فزلزل بعون الله اقدامهم وازال اقدامهم ونكس اعلامهم وقابل العدو بصدرة وقاتل حتى افنى جديد بيضه وسمره، وهبت نسيمات النصر على جيوشه فقيل يا خيل الله اركبي وبايد النصر اكتبني. وقام الحرب على ساق واضحى كل من الاعداء الى حتفه يساق. وهجرت سيوفهم الاغماد واقسمت انها لا تقر الا في الرؤوس، والاسنة اسرعت وآلت انها لا تروى ظمؤها الا من دماء النفوس والسهام، قد التزمت انها لا تتخذ كتابتها (كذا) الا من النمر ولا تغوص عن جنايا القسى بخبايا الاضلع الا لترفعها، لا تحل الا في الصدور. والدرع قد لزمت الابطال قائلة لا تفارق الاعداء حتى تتلى سورة الفتح المبين والجياد حرمت وطنى الارض وقالت لفرسانها لا نطأ الا جثث القتلى ورؤوس الملحددين، فعند ذلك اثبت سيفه النصار الحق، لانه القاضي في ذلك المجال ونفذت سهامه لاجل تصميمه فلم تمهل حتى اخذت دين الأجال وهو حال.

الله اكبر هذا النصر والظفر هذا هو الفتح لان يرغم البشر

فظهر الله منهم تلك الديار وصلموا عندما ايقنوا بالدمار، وصارت بحمد الله نجوم الضلالة أقلّة ومواطن الكفر بالاسلام أهلة وعن الاذان يعرب، حيث كان لناقوس يضرب واصوات حماكم الاسلامية بالتكبير والتوحيد بها عالية. فقد فهمنا ذلك وحمدنا الله تعالى وقابلنا هذه البشارة بتكرار الشكر لله الذي جعل جيوش الاسلام، حيث سلكت ملكت واين جنحت من بلاد اسرت وفتحت، فله الحمد الذي ايدكم بنصره وجعل مهابة جيوشكم في قلوب الكفرة، تقوم مقام منزلة العدو وحصره وأظفركم على حزب المشركين الذين زرع هيبتمك دانيهم وقاصيهم وانزل الذين ظاهروهم (كذا) من اهل الكتاب من صياصهم وسدد سهم رأيكم الذي دل على هلاك العدى سرعة نفاذه ووعدكم *مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه* وحكمكم في بلاد العدو لتنتشروا بها المهابة وتطوها، وأورثكم ارضهم وديارهم وارضا لهم تطوها. ولقد ايدتم هذا الدين المحمدي الذي وضع به طريق النجاة واستتار وفزتم بقوله عليه الصلوة والسلام * ما اغرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار* وقوله صلى الله عليه وسلم * ان الجنة مائة درجة اعده الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض* رواه البخاري ومسلم رضى الله عنهما.

فله الحمد على ما انعم به عليكم من الفزوات التي سطرت اجورها في صحايفكم وصحايف اسلافكم الكرام وصار خبرها غرة في جبهة الدهر وحسنة في صحيفة الايام وهذا نشيد شاعر حضرتنا :

كذا فليكن في سبيل الله جل العزائم والافلا تجفون يجفون الصوارم
كتائبك البحر الخضم جياها اذا ما تهادت موجة المتلاطم
تحيط بمنصور اللواء مظفر له النصر والتأييد عبد وخادم
فيا ناصر الاسلام يا من بغزوه على الكفر ايام الزمان مواسم
تهن بفتح سار في الارض ذكسرى سرى الغيث يحدوه الصبا والنعائم

فعند ذلك امرنا باعلان البشائر واظهار الزينة والسرور بممالكنا الشريفة لما من الله به من هذه النصره وامددناكم بصالح الدعا مع تضاعف المسرة واضحى المسلمون مستبشرون بهذه النعمة التي تسربل كل واحد منها بأبهى لباس، وتلا كل منهم ذلك بفضل الله علينا وعلى الناس، وجهزنا اميركم مفخر الحجاج والزوار زين الدين حاجي محمد الزيتوني زاد الله تقواه ويسر مناه مع الافلوريات! المسكوكة بالسكة الجديدة الجيدة السلطانية المنبثة الى شريف مكة المكرمة وفقراء الحرمين الشريفين مع القاقله المصرية. فالمرجو من الله ان يصل الى المقصود وبالخير سيعود ان شاء الله تعالى. واما ما اشار اليه الكريم من سروره وابتهاجه بجلوسنا على سرير ملكنا الشريف وادعان

جميع الرعايا لطاعتنا وأمرنا المنيف من المشروف والشريف وأنه اخذ بالحظ الوافر من هذه البشرى التي خصت الاسلام وعمت امة سيدنا محمد عليه الصلوة والسلام وأنه امدنا بدعائه، ان الله يشد ازر سلطاننا ويشيده ويجعل الوية ملكنا الشريف مسبلة على مقامنا، ويخلده وما اشار الله من انه عاقبة هذه الغزوة الشريفة عن المكاتبه والابتداء بالمخاطبة لتحقق بخواطرنا الشريفة تأكيد اسباب الوداد وتصحيح ملك الاتحاد. فقد فهمنا ذلك وتحقق ان المحبة لنا من هذا البيت الكريم مستديمة والمودة بيننا وبينه كالاسلاف الكرام مستقيمة، وقد تواردت الخواطر منا ومنكم على عقود المحبة بجميل الاعتقاد وتاكيد المودة بعزير الخلوص والوداد. واما الهدية التي شرفنا بارسالها، فقد وصلت وبالاقبال قبولت وشكرنا صدق محبة مهديها واثينا على جميل موالاته التي لم نزل في ملئ ملكنا نبيها، وقد اعدنا المجلس السامي الجمالي قاصدكم المشار اليه بعد ان عومل بمزيد الاكرام ووافر الاحسان وغرر الاحترام وارسلنا معه احد امرائنا واعز اخصائنا المجلس السامي الاميري الكبيرى الذخرى المؤتمنى الاخصى الاكملى المقربى الاوحدى السيفى برونديق الاشرفى ادام الله سعاده وكتب سلامته بما على يده من كتابنا الشريف وخطابنا المنيف والهدايا والتحف التي تؤكد اسباب الوداد وجميل المصافات والاتحاد وحملناه من السلام للمقر الكريم ما يتبسّم ثغر الدهر عند ادائه ويسفر وجه البشر عند ادائه وسيحيط علمكم الواسع بما تحملناه من ذلك فنتحف بتجهيز رسله واخباره السارة من هناك والله تعالى يمدّه باعوانه وانصاره ويخلد نعمه عليه السلام بدوام ليله ونهاره بمنه وكرمه. وكتب في اواخر شهر ذي القعدة الحرام سنة سبع وخمسين ثمنائة من الهجرة النبوية على واضعها السلام.

* * *

الرسالة الخامسة

رد شريف الكعبة على رسالة السلطان محمد الفائق؛

الجواب من شريف الكعبة مع التحف المهتركة

يقبل الارض في حضرة السلطاني المخدمى المظفرى المنصوري المجاهدي المرابطى الاعظمى المؤيدى المشيدى العونى الغوثى النصيرى الناصرى، معين الاسلام والمسلمين سلطان الملوك والسلطين نور عيون المجاهدين نور حدائق لطف الله فى الارضين، قهرمان الماء والطين محبى الشريعة المحمدية منجى الملة الاحمدية، الفائق على اسلافه فى الغزو والجهاد، المباهى بين اقرانه بالفتوح وتسخير البلاد، الذى يفتخر بعده الشريف السوابق واللواحق من آل عثمان بتشريف أن الله يأمر بالعدل والاحسان لا زالت اولياؤه منصوره وأعداؤه مقهورة وحصورن الخصماء بصلابته مفتوحة ونواحي بلدانهم وديارهم بمهابته مضبوطة، وما برحت نواصي احباء دولته فى غداة غزوات

مبيضة، وشفائهم ضاحكة مستبشرة ووجوه المشركين عليها خيرة ترهقها فترة اولئك هم الكفرة الفجرة، وعساكره المنصورة مؤيدة من عند الله العزيز الجيب، واعلام نصره منتشرة بكتايب نصر من الله وفتح قريب ما قرت الفبراء قرارها، ودارت الخضراء ادوارها بالنيبي وآله وذويه وبعد، يبدي لعلمه العالي اعلاه الله وادامه بالدولة الابدية والسعادة السرمدية ان مشرفتمك الشريفة ومبشرتمك المنيفة وردت الى مخلصه الداعي بالاخلاص ومحبة المباهي بالاختصاص على يد مفخر الزوار وزين الحجاج خواجه حاجي محمد الزيتوني زاد الله تقواه وجعل اخره خيرا من اوليه، في احسن الاوقات واطيب الساعات، فاستقبلناها بالتعظيم وقبلناها بالاجلال والتكريم وفتحناها بكمال الادب وقرانها مقابل الكعبة المعظمة بين اهل الحجاز وابناء العرب فراينا فيها من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وشاهدنا من فحاويها ظهور معجزة رسول الله خاتم النبيين وما هي الا فتح القسطنطينية العظمى وتوابعها التي متانة حصنها مشهورة بين الانام وحصانة سورها معروفة عند الخواص والعوام، وحمدنا الله تعالى بتيسير ذلك الامر العسير وتحصيل ذلك المهم الخطير، حمدا يوافي نعمه وشكرا يكافئ كرمه. على ان اداها فريضة مشكلة واحصاءها خارج عن الطاقة البشرية، مقرين بالعدر والتقصير، راجين الاعانة منه في طاعته، انه على ذلك قدير، حسب ما ورد في الاخبار من الاحبار الاخيار. ان اعتراف العبد بقصور خدمته لمولاه عند الففلة سهوا او من عدم الاقتدار سعيًا، معدود من احسن العبادات والقبول، موقوف على رضائه حال التضرع في الخلوات (كذا)، اللهم يا رب الكعبة والعرفات ويا نور الارض والسموات (كذا) انصر من نصر الدين واحفظ من حفظ المسلمين واكتب السلامة على كافة الغزاة وعامة المجاهدين والحجاج والمسافرين في برك وبحرك، يا رب العالمين، وفرحنا بها نهاية المسرة وبششنا بذلك غاية البشاشة وابتهجنا من احياء مراسم اباؤكم العظام والسلوك بمسلك اجدادكم الكرام، روح الله ارواحهم وجعل على غرف الجنان مبانهم في اظهار المحبة لسكان الارض المقدسة من الفرق الاسلامية، عملا بمدلول الحب يتوارثواهدائكم لنا ولساير السادات والفقراء والصلحاء والعلماء المسرورين بما قال صلى الله عليه وسلم خيار امتي قوم يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم يبكون سرا خوف عذاب ربهم بالغاوة والعشى في البيوت الطيبة يدعون بالسنتهم رعبا ورهبا ويسالون بايديهم خفضا ورفعا مؤوتتهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم كثيرة الحديث. تسعة آلاف افلورية الجديدة الجيدة بالسكة المحمدية من انفال تلك البلدة العظيمة المعنية تقسيمها في مراسلتكم اللطيفة. فعملنا بحسب الاشارة الشريفة فقبض كل واحد من المستحقين كل القبض وقال الناظرون عليها : النرجس الاصفر خير من الابيض، وامتلات اكف الفقراء من الذهب الاصفر، فصاروا كطالبي الاكسير الواصلين الى الكبريت الاحمر، داعين لكم بخلوص الجنان، راجين قبوله من الله، الملك المنان كما قال عليه السلام، دعاء المحسن انيه للحسن اليه للحسن لا يرد، حامدين الله على انعمه، في الايام وساعاتها عملاً بما قال

عليه السلام : الحمد لله على النعمة آمان من زوالها. والمسؤول من فضل الله الكامل ان ينالك خير الدارين العاجل والأجل، كما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم : جنة عدن في السماء العليا لا يدخلها الا نبي او صديق او امام عادل الى آخر الحديث . والملتص من جنابكم السامي، ان يحيط علمكم على احوال فقراء هذه الديار بالاصل والفرع ويزيد لطفكم على الضعفاء للمتمكنين بواد غير ذي زرع، ابتغاء لمرضاة الله يوم معاده، كما قال عليه السلام خصلتان ليس فوقها شيء من الخير : الايمان بالله والنفع لعباده. وبعثنا مع الحاجي زين الدين المشار إليه قدوة الصالحاء المتورعين مولانا نجم الدين السيوطي زاد الله تقواه لينوب منا بنا في تقبيل سدتكم السنوية وتلثيم عتبتكم عليه واتحفنا لخدمتكم برقع باب مكة المكرمة والاقمشة الهندية المتنوعة سبع طقوزات وعشرين شاشة المبلولة بماء زمزم، ورأس ومكة (كذا) معلمة طائره في الهواء (كذا) كحماية الحرم. فالمرجو من نواب ابوابكم العالية الانعام بالقبول والعذر عند كرام الناس مقبول. ادامكم الله وايدكم بالدولة القاهرة والسلطنة الباهرة الى يوم الدين امين .

سياسة الإتحاديين ببلاد الشام والثورة العربية سنة 1916 ، محاولة جديدة للفهم (1)

قبل ان أتاول بالدرس هذا الموضوع الدقيق، اود ان اتعرض لبعض الحقائق التاريخية الثابتة في اطار المتغيرات السريعة والتي تعرفها ساحتنا الفكرية والسياسية والاقتصادية ليس فقط على صعيد البلاد العربية بل وفي تركيا ايضا .

اولا : انه على صعيد الساحة الفكرية والسياسية التركية اليوم، مازالت الصورة عن موقف العرب وخصوصا النخبة الفكرية العربية والصحفيين اثناء الحرب العالمية الاولى عن الدولة العثمانية قاتمة وسيئة، وهذا ما يفسر النزعة التحاملية التي اتسمت بها كتابات عدد من المؤرخين الاكاديميين الاتراك عن هذا الموضوع، الغائب الحاضر، في خلفية وسلوك القادة السياسيين والمؤرخين الاتراك اليوم.

ثانيا : انه في الجانب العربي نلاحظ كيف ان السياسيين يعالجون هذا الموضوع معالجة قومية (2)، مترجمين بذلك عن المرتكزات العقائدية الثابتة التي كيفت رؤيتهم، وهي المرتكزات التي ورثوها من خلال تعميم كتابات الصحافيين السياسية ثم الادبيات التاريخية والتي تحاملت بشكل عاطفي على القيادات السياسية للدولة العثمانية يومئذ، وهي الادبيات التي مازلنا نلمسها حتى اليوم في كتابات اغلب الصحفيين والسياسيين، اذا ما تعرضوا لهذا الموضوع. اما المؤرخون العرب، فقد انقسموا حيال هذا الموضوع بدورهم الى فئتين تسعى اولهما الى عقلنة معالجة هذا الموضوع الشائك من خلال توظيف جديد للمنهجية والوثائق التاريخية الجديدة ، الا ان تأثير ذلك مازال محدودا جدا. واما الفئة الثانية فيمكن وصفها بأنها مازالت ضحية الموروث الفكري والسياسي العربي الذي عاق لديها التحرر من هذه القيود (3).

(1) قدمت المصيفة الاولى لهذا البحث باللغة العربية في مؤسسة همد الحميد شومان في عمان في شهر جوان 1992 ثم باللغة الفرنسية في نطاق فعاليات المؤتمر العالمي السادس لدراسات الاقتصادية والاجتماعية للامبراطورية العثمانية وتركيا والذي عقد بباريس في 1-4 يونيو 1992. وقد نشرت باللغة العربية في المجلة التاريخية المارابية . هند 65-66 . ص 71-97 .
الات بعد اجراء بعض التحريات في ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية بباريس حول الموضوع . اكتشفنا مجموعة من الوثائق الجديدة والتي دفعتنا الى اجراء تعديل جوهري على اصل البحث .

ولا شك ان هذا الموضوع قد حظي باهتمام مركز من طرف هند كبير من انبائشمن العرب والاتراك والاجانب وانه توجد نتيجة لذلك مئات اتحراسات والتأليف حول مختلف المسائل لهذا النك التاريخي المعقد. غير ان الهدف الذي وضعناه لهذه الدراسة. هو مساهمة المتواضعة في هذا الصفاء. جديدة وكاشفة حول هند من المسائل التاريخية. ثم دراستها بفضل رصيد وثائق الخارجية الفرنسية الغنية والتي اطلنا عليها مؤخرا.

(2) راجع دراستنا السابقة : " اشكائيات البحث التاريخي العربي عن الولايات العربية اثناء العهد العثماني" المنشورة اسفله . ص 101-93.

(3) نشرت مصيفة الثورة الدمشقية بتاريخ 17 جوان 1992 . عرضا لمعملا لعنتقي الخكري الخامس المتعدد بخصم حول .../.../...

ثالثا : اننا منذ اكثر من عقدين من الزمن سعينا الى ارساء حوار المعرفة والتعاون العلمي مع المؤرخين والباحثين الاتراك والذين جمعتنا بهم في الماضي وحدوية المصير الاداري-السياسي والثقافي-الحضاري. ولا شك لدي ، اننا مقبلون خلال العقد القادم على متغيرات جيو-سياسية واقتصادية وثقافية ستجعل من قطب الامة التركية وامتدادها الجغرافي في آسيا الوسطى، دولة ذات وزن وثقل خطيرين جدا على آلية ومصيرية الشرق الاوسط برمته . ووفقا لهذه المعطيات ، لعله يكون من الحكمة والمنطق، السعي الى تجريد العلاقات العربية التركية من الابهاء والتيارات السياسية والاحكام المسبقة ، ليس فقط من الجانب العربي بل وايضا من الجانب التركي، لنعمل معا لنحت علاقات مستقبلية بناءة هادفة وواعدة .

رابعا واخيرا : اننا في هذه المحاولة التقييمية لثورة سنة 1916 ، واشكاليات سياسة الاتحاديين تجاه الولايات العربية وعلى الخصوص تجاه بلاد الشام، سعينا من منطلق تاريخي بحث، ان نكون أمناء على استقراء الحقيقة المجردة والتقدير بها مهما كانت حرجة وقاسية . فلسنا هنا لتبرير طرف معين دون آخر او تبييض موقف ما او التعتيم عليه، بل ان محاولتنا ها في هذا المسعى لعقلنة العلاقات العربية-التركية ودراسة طبيعة وخلفية الاحداث الحاسمة ا، وراء تصدع الجبهة العربية-العثمانية، ثم شرح الاسباب المباشرة التي ادت فيما بعد، الى كل طرف للآخر وتحميله المسؤولية فيما حصل للدولة العثمانية وللبلاد العربية في آن واحد. و برر مدى عمق القطيعة النفسية والفكرية والحضارية التي بعدت بين الامتين زمتنا طويلا . وعليه فان الواجب يقضي علينا نحن المؤرخين العرب وكذلك الاتراك ، العمل للخروج من هذا المأزق النفسي، وهذا لا يتم الا بفضل الحوار والتواصل والدراسات التاريخية المتأنية والمنهجية الموثقة والمتحررة من الموروث الذي كان وراء تاجيج العواطف ونزعة التحامل والتعتيم لكلا الطرفين ، العربي والتركي.

* . * *

تحوم دراستنا اذن حول عدة محاور بدء بتحليلنا لفهم آلية وغائية حكم الاتحاديين في بلاد الشام ثم الدور الذي قام به الشريف حسين في احداث الساحة السياسية العربية-العثمانية وخلفيات اعلان الثورة (4) على الاتحاديين وصدى ذلك على المستويين العربي-التركي والعالمي

موضوع : الامة العربية تحت الاحتلال العثماني (كلا) . وحيث استعرضت فيه اهم النظريات التي نادى بعد صد من اساتذنا . ولا يسع الباحث الا التعبير عن الاسف لهذه المقولات التي سمعناها منذ ثلاث عقود وتم تاخذ بالاعتبار نتائج البحوث التاريخية التي الوثائق الجديدة العربية والتركية على المستويين العربي والدولي .

(4) داب بعض المؤرخين وبعض السياسيين مؤخرا على تسميتها بالثورة العربية الكبرى. وفي ذلك دلالة على التوجه القومي لدراس العربي. راجع بهذا الخصوص مثلا وليس من سبيل العسر. كتاب العقيد مصطفى طلاس. الثورة العربية الكبرى (664ص. منشورات مؤسسة طلاس . دمشق . بدون تاريخ . او الكتاب الذي ظهر مؤخرا والذي يعج بالعديد من الاخطاء التاريخية . فندم قنجمي . الثورة العربية الكبرى 1916-1925 . 525 ص . بيروت . 1993 .

وطبيعة الاتصالات الثنائية العربية-البريطانية والعربية-الفرنسية .

ولاعطاء صورة عن المسار السياسي للشريف حسين ، نذكر بوصول الشريف الى عاصمة الدولة العثمانية استانبول سنة 1893 وسنه لا يتجاوز الأربعين ، بدعوة من السلطان عبد الحميد الثاني. وقد كانت العاصمة العثمانية التي تمثل المسرح السياسي المتحرك، قد استقطبت نخبة من القيادات الفكرية والسياسية العربية-العثمانية(5). وهي القيادات التي تطعمت بايمان النضال الفكري والسياسي العثماني الموسع، دفاعا على وحدة الدولة العثمانية من الأخطار العديدة التي كانت تحيط بها من كل جانب. واثناء ذلك عين السلطان عبد الحميد، الشريف حسين عضوا في مجلس الشورى(6). ومن الطبيعي جدا ان يكون الشريف حسين شخصية سياسية هامة . فقد كان بيته مأوى للعرب والأترك القريبين(7). ولا شك ان هذه الاتصالات لعبت لدى الشريف دورا مباشرا في هذه المواقفة الأنية للأحداث السياسية العثمانية-العربية والدولية وانضاج رؤاه السياسية لطبيعة قضايا الساعة ، بل ومعرفة خصائصها ومميزاتها واشكالياتها العديدة .

اقامته المطولة التي استمرت ست عشر سنة باستانبول ، لم يجد السلطان عبد الحميد في الشريف حسين (8). وحيث كان نموذجا للمواطن المثالي، ولم يعرف عنه تبنية لمواقف متطرفة ، قومية أو سياسية، كانت قد شددت الانتباه اليه وخاصة تجاه أمهات المسائل الجوهرية التي عرفتها الأمة العربية مثل: آلية الحركة الاصلاحية وتعثرها في الولايات العربية والأزمات المالية الخطيرة وزيادة نفوذ الدول الكبرى وضعف السلطة المركزية. ولعل شدة تكتمه وحذره جعله قليل البوح بأرائه الشخصية ومواقفه الحقيقية (9) الا ان هناك من دافع على ارائه التحررية (10). ومن جهة اخرى، وعلى الرغم من تزوجه من تركية وبقائه ست عشر سنة باستانبول، فان كل الوثائق والمعلومات التي بحوزتنا، تؤكد انه يتكلم اللغة التركية ولكنه لا يجيدها ولم يستعملها قط في اي مناسبة . الا ان هناك من اكد على ان الشريف على علم واطلاع بالحضارة الغربية (11). وبتاريخ 11 تشرين

(5) لا على سبيل الحصر نذكر المشهورين منهم محمد عبد - جمال الدين الافغاني ، خير الدين التونسي

(6) غوانمة ، فنادي يوسف ، المملكة الهاشمية الحجازية ، ص 33، منشورات دار الفكر للنشر والتوزيع ، صان 1989 .

(7) المرجع نفسه ، ص 34 .

(8) سليمان ، موسى ، لورانس العرب، وجهة نظر عربية ، الطبعة الثانية ، ص 74 - 75 ، منشورات وزارة الثقافة ، صان 1992 .

(9) المرجع نفسه ، ص 41 .

(10) ارشيف الخارجية الفرنسية : Affaires Musulmanes 1681; Evénements d'Arabie, vol 1. رسالة من (Defrance) الوزير الفرنسي المعتمد بالقاهرة الى السيد برياند (Briand) ، وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ 17/8/1916 .

(11) المرجع نفسه Affaires musulmanes 683, Evénements d'Arabie vol III رسالة بتاريخ 5/8/1916 .

الأول 1908 ، صادق السلطان عبد الحميد على تعيينه على إمارة مكة. وقد وعد السلطان يومئذ، ان يكون وفيًا للدولة وخادمها الأمين وان يكون عثمانيا متمسكا بروابط الأخوة الإسلامية وتقويتها بين الخلافة العثمانية وبين العالم الاسلامي (12). الا انه بعد ذلك بقليل، تم إسقاط حكم السلطان عبد الحميد وكانت الحركة التي اسقطته في بادئ امرها، تنعت نفسها بحركة المثقفين والتي نادت بتطبيق القانون والتشريع الدستوري على انظمة الدولة واحترام حرية الرأي (13). ان المتبع لتاثير تفاعلات هذه الحركة التشريعية على الرأي العام العربي، سوف يسجل مدى الانتعاش والامل الذي عبرت عنه الطبقة المثقفة العربية دون استثناء. ألم يكتب رشيد رضا: " ان هذا الانقلاب يمثل عيد الأمة العثمانية الذي بشر بنعمة الدستور والحرية" (14). بل ان الشعراء والكتاب العرب مشرقيين او مغاربيين انبروا يشيدون بحسنات هذا الانقلاب واعمال القاشمين عليه (15). وقد انتسب بعض القيايين المغاربيين الى جمعية الاتحاد والترقي كالشيخ عبد العزيز جاويش وسليم به الجزائري وصالح الشريف الذين لعبوا دورا مهما في الجبهات العسكرية العثمانية بالبلقان وبعض الولايات العربية (16). كذلك كان النواب العرب وعددهم ستون (17) من انصار الاتحاديين في مجلس المبعوثان، قد لعبوا هم الآخرون دورا سياسيا هاما لم تهتم به مختلف المصادر في تكييف وصنع العلاقات العربية-التركية يومئذ (18).

ان هذه الحركة التحررية في الرأي والقول وجدت متنفسا لها في عديد الدوريات العربية التي

(12) هوانمة. منادي . نفس المرجع . ص 41 .

(13) Kologlu, Orhan " Turkish-Arab relations as reflected in the Arabic Press during the period when the Ottoman Empire was desintegrating (1908-1918) and its impacts on the present day" in Turk Arab Iliskileri: Gecmiste, Bugun ve Gelecekte, p. 98, Ankara, 1979.

(14) جريدة المنار . ج 11 . 1908 .

(15) د. ياهي . اسماعيل " التنظيمات القومية العربية في بلاد الشام 1876-1916 في : الحياة الادارية وبرزق القومية ودور الاقليات في الولايات العربية اثناء العهد العثماني . ص 456 . منشورات سيرميدي . زهران . 1992 .

(16) الشهبوني . محمد . موقف البلدان المغاربية من مسألة الخلافة 1914-1926 . رسالة دكتورا نوقشت لم صيف 1992 . بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية لهامعة تونس .

(17) د. حران . تاج السر . تطور الفكر القومي العربي خلال العلاقات العربية - التركية في الفترة 1908-1914 . ص 42 . منشورات معهد البحوث والدراسات العربية . بغداد . 1983 . راجع ايضا :

Okyar, Osman " The Union and Progress Committee and Nationalism" in Actes du VI Symposium, of C.I.E.P.O, Cambridge 1-4 July 1984, Editions de Jean-Louis Bacqué-Grammont and Imeri Von Donzel, Istanbul, 1987.

وحيث قدم ص 291 . تركيبة مجلس المبعوثان في الشكل التالي : 147 من الاتراك . 60 من العرب . و 77 من الالهانيين و 26 من نيوتانيين و 14 من الارمن و 4 من اليهود و 10 من العبيد .

(18) د. حران . تاج السر . نفس المرجع . ص 39 .

بلغ عددها سنة 1909، 7 في استانبول و67 في الاراضي العربية بالشرق . كما ظهرت في نفس السنة 12 دورية عربية-تركية بعد ان كانت 7 خلال سنة 1907، وهذا في استانبول وحدها. بينما ظهرت 41 دورية عربية-تركية في الولايات العربية بعد ان كانت فقط سبعة (19) . كما برز اكثر من 377 دورية باستانبول وحدها و 85 في بلاد الشام خلال هذه الفترة الزمنية ذاتها (20)، اما بالنسبة للغة التركية، فقد تجاوز عدد الدوريات 308 (21) . والواقع لقد منحت حركة الاتحاديين آمالا عريضة ، وهذا نتيجة الثورة التشريعية العثمانية التي تبناها. إلا انه في نفس الوقت سرعان ما خيبت الآمال فيها لأسباب عديدة سنتعرض للبعض منها بالتحليل والدرس (22).

ان اعلان النمسا ضم البوسنة والهرسك اليها و اعلان بلغاريا استقلالها عن الدولة العثمانية وكريت عن انضمامها الى اليونان واحتلال ايطاليا لطرابلس الغرب وبرقة، وتوقيع ذلك باعلان بقية دول البلقان هجوما جماعيا على الدولة العثمانية في اكتوبر 1912، كانت كلها بمثابة ناقوس الخطر الذي هدد البناء العرقي والقومي للدولة العثمانية برمتها (23). بل وايقظ لدى قادة الاتحاديين نزعة متطرفة جدا للدفاع عن وحدة الدولة من خلال تبني مبدأ القترية، القاضي بخلق شعب واحد ، يتحدث ويتعامل رسميا بلغة واحدة هي اللغة التركية والتي جعلها الدستور اللغة الرسمية . بل ان قانون الانتخابات جعل معرفتها واجبة على كل النواب (24). وفي هذا الاتجاه اصدر الاتحاديون بتاريخ 23 اوت 1909، قانون التجمعات الجديد والذي حظر تكوين النوادي والجمعيات التي تحمل اسماء عرقية او قومية (25) وشجعوا حملة صحفية عنيفة معادية للعرب بهدف استشارة المشاعر القومية التركية او الطورانية واستعدادا بقية الشعوب الأخرى ذات الانتماءات القومية (26).

Kologlu, Orhan, op. cit., p.100 (19)

Ibid., p. 99. (20)

Ibid., p. 100 (21)

اثبت الباحث عدد الصحف والدوريات الصادرة . خلال سنتين 1907 - 1909 . بالنسبة لكل اللغات المستعملة يومئذ في الامبراطورية العثمانية.

Lewis, Bernard, Islam et Laïcité, p. 188, Publications Fayard-Paris, 1988. (22)

(23) المرجع نفسه ، ص 190 .

(24) د. حران ، تاج السر، نفس المرجع ، ص 33. تسجل في هذه الفترة الزمنية بالذات كيف هير الاتحاديون اسماء كل السفارات.

بعد ان كانت تسمى السفارات العثمانية. اصبح يطلق عليها السفارات التركية

(25) المرجع نفسه ، ص 32 .

(26) د. كوفراني، وجيه، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولايات العثمانية في بلاد الشام . ص 170

منشورات مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . اكتوبر . 1988 .

الا ان إعادة استيلاء الاتحاديين على الحكم في 13/1/1913، كان منعطفًا خطيرًا في حياة الدولة العثمانية، ليبدأوا في ممارسة الإرهاب الفكري على اوسع نطاق في داخل الدولة العثمانية نفسها. فقد بدأ باغتيال وزير الحرية يومئذ ناظم باشا في مدخل السراي (27) ثم تم اغتيال محمود شوكت، الصدر الأعظم فيما بعد، بتاريخ 11/6/1913. كما تم تعيين القيادات العسكرية من الأتراك، الغير الليبراليين (28). وكانت هذه الأحداث الحجة التي وظفها الاتحاديون لالغاء حرية الصحافة والفكر واغتيال اعدائهم السياسيين بدون رحمة امثال حسس فهمي احد رؤساء تحرير جريدة سربستي وهو من الليبراليين المتشددين (29). والمتبع للاجراءات العديدة التي اتخذها الاتحاديون وعلى جميع المستويات، العثمانية منها ثم العربية، تترجم عن فراغ سياسي وحضاري لفهم اشكاليات الحكم العثماني وفهم طبيعة فسيفساء القوميات التي تتركب منها الدولة، بل انهم عبروا عن قلة خبرتهم لفهم آلية الحكم والدفاع عن مصالح الدولة العليا، حفاظا على وحدتها السياسية على الاقل (30)؛ ثم حتمية الاخذ بالاعتبار لوزن وثقل اعدائهم التقليديين من الانقليز والفرنسيين والروس، وهم الذين خبروا دوايب الدولة منذ زمن، وعرفوا اسرارها وضعفها وامراضها المزمنة.

على ان الذي يهمنا في هذه الدراسة هي نوعية الاجراءات المختلفة التي تبناها الاتحاديون تجاه العرب والولايات العربية وطبقوها بكل قسوة دون الاخذ بالاعتبار لردود الفعل المحلية. فقد

(27) Lewis, B., op.cit., p. 198. راجع كذلك مقال A. Rustow من جمال باشا وانور باشا في : Encyclopédie de l'Islam, t.2, ص 544 - 545, 716 - 720.

(28) Mansfield, Peter, A History of the Midle East, p. 126. London, 1991.

(29) المرجع نفسه . ص 190 .

(30) هناك العديد من الكتابات والمقالات التي ظهرت من الخلفية السياسية الفكرية للاتحاديين ويحسر في هذه الدراسة استعراضها جميعا، ومع هذا فالتا تذكر بالعناوين التالية: Mardin, Serif, Jon Turklerin Siyari Fikirleri 1895 - 1908, 255p. Istanbul, 1983.

A. Sarrou, La Jeune-Turquie et la Révolution, 268p. Paris, 1912.

Kurkcüoglu, Omer, Osmanli Devletine Karşı Arab Bagismsezlik Hareklti (1908 - 1918), 261p. Ankara, 1982.

وهذا الكتاب التركي الاخير، هو الوحيد الذي تعرض بكثير من التفاصيل الموثقة الى العلاقات العربية - العثمانية في هذه الفترة العرجية، مؤملين ان يتم تعريب هذا الكتاب والذي اعتمد كثيرا على ارشيف الخارجية البريطانية . راجع ايضا : د. رامزو، تركية اللثاة وفردا 1908، ترجمة د. إحمد صالح العلي، 259 ص، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960 .

كما ظهر مؤخرًا الطبعة العربية لكتاب حسن كئشي، الوجه الآخر للاتحاد والترقى، ترجمة وتقديم د. محمد الزنناؤوط، 97 ص، منشورات قدسية للنشر والتوزيع، اربد، 1990. وقد تعرض الكتاب الى الخلفية الفكرية للاتحاديين وطبيعة الاتصالات التي اجروها في دول البلقان وعلى الخصوص مدى مساهمة الحركة الماسونية ودمجها لحركتهم قبل الثورة.

جعل الاتحاديون المعاملات الرسمية والقضائية باللغة التركية وكذلك التعليم (31) وعينوا موظفين اترাকা بالولايات العربية، يجهلون اللغة العربية (32). وعندما اشتكى العرب من اللجنة المكلفة بإعادة تنظيم المصالح الحكومية التي تحيزت ضد العرب، تم فصل معظم الموظفين العرب. كما سجل في سلنامة الدولة لسنة 1911، اربعة موظفين عرب صفار، في كل مصالح الدولة في حين ضمت وزارة المالية وحدها 111 تركيا و 13 من اليهود و 10 من الأرمن و 4 من الإغريق، ولا يوجد فيها ولا موظف عربي واحد (33). اما وزارة الأوقاف، والتي كان وزيرها عربي، فانها لم تعط هذه المرة للعرب. بل ان مجموعات من الاتحاد والترقي، هاجمت بعض منازل ابناء العرب المقيمين باستانبول كما تذكر ذلك المصادر المختلفة (34). ان تطبيق السياسة المركزية وتدويب ومحاربة كل العناصر الغير التركية في إطار النزعة التتريكية المطلقة، وعدم الاعتراف للاجناس الأخرى بحقها في تبني اللامركزية، واجراء الاصلاحات الادارية الضرورية، قد حملت معها بذور الانشقاق والصراعات الدموية والتي ستعرفها الساحة العثمانية والعربية على حد سواء، وهذا دون ان نثير هنا موقف الاتحاديين الدقيق من قضية فلسطين (34 مكرر).

وانطلاقا من تعيين جمال باشا حاكما عسكريا باستانبول بعد انقلاب حركة جانفي 1913، ثم وزيرا للبحرية وقائدا أعلى للقوات المسلحة بسوريا، تبنى هذا الأخير مبدأ القضاء نهائيا على كل المعارضات التركية والعربية منها على الخصوص، وسيطر على السلطة ودواليب الدولة بيد من

(31) د. حران ، تاج السر . نفس المرجع . ص 33 .

(32) المرجع نفسه . ص 35 .

(33) المرجع نفسه . ص 46 .

(34) منادي يوسف هوانمة . نفس المرجع . ص 46 .

(34 مكرر) حرثنا في ارشيف الخارجية الفرنسية على رسالة هامة . كان قد وجهها السفير الفرنسي بالولايات المتحدة الى وزيره للخارجية بتاريخ 15/8/1916 . تنكس مقابلة تمت بين السفير الامريكى باستانبول وخلفه الذي تدعى وهو على وشك التحول الى عاصمة الدولة العثمانية . وهذه هي الرسالة بعد ان عربنا نصها الفرنسي :

لقد زارني السيد الكس (Elkus) السفير الامريكى الجديد بالقسطنطينية امس في زيارة توديعية . وكان مصحوبا بسلفه السيد مورقنتو Morgenthau . وقد استلذت من وجود هذا الأخير لاثير معه الاقوال التي نسبت اليه والمتعلقة بمشروع بيع فلسطين والتي كنت قد اشرتها في مراسلاتي السابقة .

قد بين لي رده . كما كنت اتوقع . انه لا يوجد في هذه الاقوال مواقف جادة . وقد ذكر لي ان المبادرة كان قد اخلاها طلعت باشا حيث ذكر يوما وبجسوري حول احتمال تخلي تركيا بشكل مطلق عن حقوقها على فلسطين . مقابل تعويض مالي من طرف الدول الكبرى التي يهملها مثل هذا المشروع . لتكوين جمهورية هناك . ان كل السكان مهما كانت اصولهم سوف يشاركون في الحكومة . وقد تطرقنا في هذه المعادة الى كيفية الاستقلال الحديث للبلد وللأماكن المقدسة ... على ان الشيء الظليل الذي ذكر امامي . كان من السهل جدا ان استنتج ان السيد الكس من جهة . لا يعتقد في امكانية تحقيق همني للجمهورية الفلسطينية التي نادى بها طلعت باشا ... راجع هذه الرسالة في :

A. E., Turquie 874, Syrie-Palestine Vol VIII.

حديد، ومارس الارهاب تجاه القيادة الفكرية العربية التي نادت باللامركزية الحكم، خاصة بعد ان اشدت ساعد هذه المعارضة العربية والتي استقطبت نخبة فكرية، كانت قد عقدت مؤتمرا بباريس واقرت حقوق العرب في الدولة العثمانية ، وضرورة الاصلاح على قاعدة اللامركزية واحترام اللغة العربية التي يجب ان تكون معبرة ليس فقط في مجلس النواب العثماني، بل ايضا لغة رسمية في الولايات العربية، ثم العمل على الاهتمام بالشباب العربي وتكوين ملكاتهم على اساس فكرة الوطنية واثارة الشعور الوطني والتركيز على الشباب المتنور في كل حركة وطنية مستقبلية وهذا انطلاقا من بلاد الشام . وان سورية يومئذ كانت قطبا لتحرك سياسي عربي * وحيث تشكلت فيها طبقة فكرية مختارة ومستنيرة ومتأثرة بالحضارة الغربية (35).

تذهب كل الدراسات المنصفة التي عالجت هذه الفترة ووظفت المصادر الارشيفية الفنية وتقارير المراسلين الاجانب وكذلك الانتاج الادبي والصحفي العربي منه والاجنبي، ان الوضعية العامة التي كانت عليها بلاد الشام، كانت مزرية وهذا على جميع المستويات، بدءا بالمجاعة التي عمت البلاد وخصوصا بيروت، وهذا ما جعل المنظمات الخيرية الدولية والحكومات الاجنبية تسارع بتقديم مساعداتها الغذائية الى اهالي لبنان على الخصوص (36) وهو البلد الذي ينتج كميات قليلة من الحبوب، لا تكفي حتما لتلبية حاجيات سكانه . على ان هناك ظاهرة اخرى قد عمت يومئذ وتمثلت في عدم استتباب الامن والابعاد التعسفي وهذا في محاولة للسيطرة على البلاد واخماد الحركة العربية بالقوة ، ان استوجب الامر (37) . ودون ان ندخل في التفاصيل التي كانت عليها بلاد الشام يومئذ في هذه الفترة الحرجة، نذكر هنا بالمساعي الحثيثة التي قام بها الاتراك لابرز العنصر والجنسية التركية على حساب العناصر والجنسيات العثمانية الاخرى، وخصوصا منها العنصر العربي. وفي هذا الاطار تكونت عدة جمعيات اهمها : ترك اوغاقلي (العرة، التركي) وترك يوردي (الوطن التركي) وتركي كوكي (القوة التركية) كما قرر جمال باشا * فتح المدرسة التجارية ببيروت لاعطاء دروس في اللغة التركية مجانا للرجال والنساء ثلاث مرات

(35) د. حاطوم . نور الدين دمشق في العرب العالمة الاوتى 1914 - 1918 في بحوث ودراسات مهداة الى د. محمد الكريم هرايية . ص 394 . صان . 1989 .

(36) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية : A.E., Turquie 874. Syrie-Palestine Vol VIII

ترلق تعريب نص الرسالة التي وجهها وزير الخارجية الفرنسية الى السفير الاسباني بباريس : اشكر سعادتكم لفضولى المعلومات التي تلخصتم بعدي بها بتاريخ الاول من هذا الشهر والمتعلقة بالهجرة التي اخذها جلالة ملك اسبانيا لفضادة اهالي لبنان انبؤسا. ومد يد المساعدة .
نم .

(37) المصدر نفسه :

A.E., Turquie 870. Syrie-Palestine Vol IV. برفيقة من دوفرنس التي وزير الخارجية بتاريخ 1916/9/10 .

في الاسبوع * (38).

ومن جهة اخرى مارس جمال باشا تجاه المواطنين في كل من بيروت ودمشق حملة ارهابية بدأها باعتقال العشرات من الشبان العرب ورجالاتهم وايداعهم السجون والمنافي، وكان هدفه من ذلك شل الحركة العربية وابعاد كل خطر يهدد وحدة الدولة العثمانية الترابية (39). كما انه نقل بعض الفرق العسكرية التركية من الاناضول الى بلاد الشام. وفي نفس الوقت نصب اعواد المشانق للزعماء العرب المشرقيين وحتى من المغرب العربي وهم الذين قاوموا سياسة التتريك، متهما إياهم بالخيانة، لأنهم نادوا باللامركزية وتعاونوا مع الفرنسيين والانتقيل لضرب الدولة العثمانية كما هو مشاع حتى يومنا هذا (40).

على اننا لو قمنا بدراسة لحتوى الاتهامات التي وجهها الاتحاديون الى العرب ، فسوف نكتشف انها لا تستند اساسا على معرفة بالملف العربي- العثماني وبحقيقة الموقف العربي. ذلك ان العرب يومئذ لا يملكون جيشا منظما ومستقلا ولا يتمتعون بوزن سياسي او اقتصادي على المسرح السياسي المشرقي، بل على العكس من ذلك يوجد مصير بلادهم خارج ارادتهم، ومعنى هذا انهم غير قادرين على التأثير على الاحداث السياسية وبالتالي عدم قدرتهم على تجنب الاحداث الخطيرة التي سوف تعرفها الساحة العسكرية المشرقية والتي كان يسيطر عليها الحلفاء بفضل تسيق تجهيزاتهم البحرية والبرية الضخمة وطول خبرتهم العسكرية في هذا المجال؛ ماذا كان يمكن للقياديين العرب، في الحقيقة، ان يقوموا به لزعة الامبراطورية العثمانية والقضاء عليها نهائيا، كما تدعيه عديد الكتابات الصحفية والتاريخية التركية اليوم !

ان القول بخيانة العرب عندما تعاونوا مع الفرنسيين والانتقيل لضرب الدولة العثمانية من الخلف، اثناء الحرب العالمية الاولى، تعد مقولة واهية وغير مدعومة تاريخيا ولا تخضع لأبسط القواعد العلمية، وهي من الاوهام الخيالية التي لا تستند الى الحجة المقنعة ، اذا اخذنا بالاعتبار طبيعة التحديات الخطيرة التي واجهها الاتحاديون وخصوصا الموقف الذي تبناه بدون دراسة ووعي، عندما حالفوا المانيا ووقفوا معها في الحرب العالمية الاولى .

ان دراسة متقصية للفكر القومي العربي من خلال تحليل مواقف النخبة العربية، يؤكد انهم

(38) مقال من جريدة الغلم بتاريخ 1916/7/24. راجع :

A.E., Affaires musulmanes, 1683. Evénements d'Arabic vol III.

A.E., Turquie 875; Syrie-Palestine vol VIII; (39)

رسالة من السفير الفرنسي بيارن الى وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ 1917/2/5.

(40) سعيد . أمين . اسرار الثورة العربية الكبرى وماساة الشريف حسين . ص 59 . منشورات دار الكتاب العربي . دون تاريخ .

لا يرضون في الانفصال عن الدولة العثمانية ، الا ان جميعهم يأمل ادخال الاصلاحات، وهو الموقف الذي اعتبره الاتحاديون خيانة (41). وقد ذكر الجنرال الالماني فون ساندرس ، ان تأثير حكم جمال باشا الارهابي لم يحرر بلاد الشام من زعامة الثورة، بل زاد في الشعب روح الثورة (42)، وان تلك الحركة ادت الى ابتعاد العرب عن القضية التركية وبالتالي عن سياسة الاتحاديين القمعية. نذهب الى الاعتقاد ان السياسة التي تبناها الاتحاديون ببلاد الشام ، كانت سياسة مبنية على اهمال العناصر المكونة اساسا للخلفية الحضارية للانسان العربي، وهو المعتز بانتمائه الى لفته وتراثه وحضارته ودينه وترايه، وان محاربة هذه المكونات الجوهرية معناه افشال اي محاولة للحفاظ على التبعية الادارية، اذ لا مهادنة ولا أمن لشعب ما، اذا حورب في مقومات ذاتيته، وهذا ما لم تدركه قيادات الاتحاديين يومئذ ولم تفعل شيئا، في ابانه، لكسب العرب الى جانبهم وترضية مطالبهم المعتدلة، نعم المعتدلة. ان الإتهامات التي وردت في الكتاب الاحمر الذي اصدرته القيادة العسكرية للفيلق الرابع للجيش العثماني باللغة الفرنسية (43) لتبرير الحركة القمعية التي مارسها جمال باشا في بلاد الشام، تبدو لنا غير مقنعة تماما وغير سليمة.

لقد منح الاتحاديون لانفسهم اهمية وأحقية العامل الوطني في الدفاع عن وحدة الدولة العثمانية، ولكنهم انتزعوا هذا الحق عن غيرهم من الاقوام، وهذا خطأ تاريخي جسيم، كانت نتاجه خطيرة جدا على تصدع الجبهة العربية-العثمانية. وبالإضافة الى ذلك، تجاهل الاتحاديون اعدائهم التقليديين في المنطقة، وهم الذين بحكم خبرتهم الدبلوماسية الطويلة وتحليلهم لمختلف المواقف، عرفوا جيدا كيف يوظفون ذلك لمصلحتهم اولا وقبل كل شيء، مهما كانت الوسائل المؤدية لذلك. ولا شك ايضا ان انضمام الاتحاديين باسم خليفة المسلمين الى المانيا ضد الحلفاء في الحرب العالمية الاولى، كان هو الآخر احد الاخطاء التاريخية الجسيمة والخطيرة جدا والتي تم تبنيها دون معرفة دقيقة وشاملة للمف الشروق السياسي الشائك. ان التحالف التركي-الالماني قد سارع بظهور حركية التحالفات الظرفية والمستحيلة الوقوع سابقا، وهو الامر الذي دفع بريطانيا وفرنسا وروسيا قبل ثورة اكتوبر البلشيفية، ان تخطط جميعها للقضاء على الوحدة الترابية للدولة العثمانية والإستيلاء على الولايات العربية الاسوية وتقسيمها فيما بينها. ان تحالف تركيا مع المانيا برر لدى الانقليز

(41) د. زين نور الدين زين . نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية . ص 112 .
119 . منشورات داد النهار للنشر . بيروت . 1972 .

(42) A.E., Affaires musulmanes, Evénements d'Arabie vol III.,

برقية من القاهرة بتاريخ 1916/8/5 .

(43) د. قاسمية . خيرة . الحكومة العربية في دمشق بين 1916 - 1920 . ص 24 . منشورات دار المعابد
بمصر . القاهرة . 1971 .

خاصة ، توظيف كل العناصر التي تساعدهم على زعزعة موقف الاتحاديين. ومن هنا جاء اقتناعهم باستغلال تفاقم الخلاف العربي-التركي، وتوظيفه لمصلحتهم عندما تبلور لديهم الاتجاه القاضي -لتقرب من الحركة العربية الناشئة ومحاولة استقلالها (44). ان دوائر الاستخبارات البريطانية والفرنسية بالمشرق، امدتا بمعلومات اولية لفهم مواقف جميع الاطراف وخلفية تحركاتهم. وفي هذا النطاق ذكر السر هنري ماكماهون، المندوب السامي البريطاني بالقاهرة ان " الحكومة الانكليزية تبنت مبدأ عدم تشجيع الحركات، الا تلك التي ترى جدوى ونجاعة تأييدها. ولم ينكر ان الاستفادة من بعض اهالي وموظفي آسيا الصغرى ضد النظام التركي-الالمانى، يمكن ان يتم ، ولكن في حينه" (45).

تقضي الاستراتيجية الانكليزية اذن بابعاد او على الاقل تأخير اي عمل عدواني تركي-المانى ضد مصر، وان كل الطرق والوسائل المؤدية الى ذلك، يمكن تصورها وتبنيها لاجاد جبهة ضد الاتراك العثمانيين والالمان، بدء باستغلال القضب العربي وتشجيعهم للانضمام الى مجهودات الحلفاء في حركتهم العسكرية . وفي هذا السياق عبر وزير المستعمرات الفرنسي عن اسفه، عدم تشجع الحركات المنشقة ضد الحكومة المركزية (46). وقد بدأت تظهر للانكليز المنافع الكبرى التي سيجنونها من تقاربهم مع الحركة الوطنية العربية المعارضة. لنستعرض هنا خلفيات الاتصالات الاولى للشريفية-البريطانية (47) ، وسنركز على عدد من الثوابت التاريخية التي جعلت من الشريف حسين ، الشخصية السياسية التي باستطاعتها بلورة المطالب العربية الشرعية والدفاع عن مواقف النخبة الفكرية والسياسية في داخل الأرض العربية وخارجها .

لقد استطاع الشريف حسين بحكم انتمائه الى الرسول وموقع الحجاز الاستراتيجي البعيد عن مركز احتشاد القوات العثمانية، ونجاحه المتميز بادئ الامر في السيطرة على القبائل ، وبروز قوة شخصيته وحسن ادارته لشرافة مكة وحماية المقدسات الاسلامية، جعلت منه افضل مترشح للتعبير

La Vérité sur la question syrienne, publié par le Commandement de la IV^e Armée, 168p (44)
photos, Stamboul, 1916.

(الطيفة حول المسألة السورية) . 168 ص . استانبول 1916 .

A.E., Turquie 871. Syrie-Palestine vol V; (45)

رسالة من وزير المستعمرات الفرنسي الى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 5/1/1916 .

(46) المرجع نفسه .

(47) د. الروسان . مدوح عارف . فلسطين في مراسلات حسين مكماهون . 1915 - 1939 : قراءة جديدة في الوثائق والدراسات المعاصرة . ص 9 - 19 . صان . 1990 .

عن الطموحات العربية النبيلة التي نادت بها الحركات العربية (48). ألم يوجه اليه 35 نائباً عربياً في مجلس المبعوثان عام 1913، مذكرة يعترفون له فيها « بالرئاسة الدينية على جميع الاقطار العربية. » (49)، بل ان اعضاء جمعية الفتاة والعهد واللتن تمثلان ضمير الأمة العربية، قد طلبتا من الشريف ان يتولى قيادة العرب السياسية (50).

وعندما تبين للشريف حسين خطورة انضمام الدولة العثمانية الى المعسكر الالماني وقصر نظر الاتحاديين، نتيجة للسياسة التي انتهجوها ببلاد الشام والمستمدة من الايديولوجية الطورانية التي آمنوا بها، ثم سعيهم الى تغيير ميزان القوى بالحجاز بتعيين وال جديد موال لهم، جعله يسرع بايفاد ابنه الامير عبد الله الى استانبول عن طريق القاهرة، لشرح وجهة نظره الى رجال الدولة العثمانيين وموقفه من عديد القضايا التي كانت الساحة العربية العثمانية مسرحها لها. ان الانكليز الذين لم يفكروا بالاتصال مباشرة بالجمعيات العربية النشطة (51) يومئذ، لم يفوتوا الفرصة ليت اول اتصال بين عائلة الشريف والبريطانيين بالقاهرة، باعتبار ان الشريف يعد الشخصية الدينية في العالم الاسلامي يومئذ، وانه حامى الاماكن المقدسة مكة والمدينة.

وفي هذا الظرف بالذات قامت الدعاية الالمانية بنشاط واسع في اتجاه العالم الاسلامي حيث قامت باغراقه بالآف المناشير باللغات العربية والتركية والفارسية وكذلك في عديد اللغات الشرقية وحتى الصينية منها؛ وكان هذا عامل خطير جدا اذا اخذنا بالاعتبار كيف ان الدول الاوروبية قامت قبل ذلك بعشرات السنين، بالدعاية لفائدة القناصل العثمانيين باعتبارهم يمثلون السلطة السياسية للامبراطورية العثمانية (52)، وكان عليهم ان يجابهوا هذه الحملة التركية-الالمانية الدينية ونتائجها الخطيرة على المسلمين الغاضمين لبريطانيا وفرنسا.

كذلك نشط عدد من الوطنيين المغاربة امثال الشيخ صالح الشريف وعلي باش حانبة الذين

(48) د. خيرية حماسية، نفس المرجع، ص 25. راجع ذلك منادى يوسف هوانمة، نفس المرجع، ص 60.

(49) سليمان، موسى، الثورة العربية، محاولة للهم، في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، عدد 7 و8، ص 357-380، منشورات سيرمدي، زفوان، 1993. راجع كذلك بهذا الخصوص قائمة الشعراء العرب الذي ساندوا الشريف حسين: د. أبو دية سعد، الفكر السياسي في قصائد الثورة العربية الكبرى، في العمارة الفكرية في الولايات العربية الثا، العهد العثماني، ج 2، ص 23-44، منشورات سيرمدي، زفوان، 1990.

(50) المرجع نفسه.

(51) امين سعيد، نفس المرجع، ص 37. يثبت ان الانكليز كلفوا رشيد رضا صاحب مجلة النار ومؤسس مجلة الهامعة العربية، ان يقوم باتصالات مع عدد من الامراء والزهاء العرب، وقد قام رشيد رضا بتعيين محب الدين الخطيب لزيارة نجد والشيخ محمد الخفيني لزيارة بلاد الشام والشيخ عاصم رضا لزيارة اليمن.

(52) من مقال صدر في العريذة الإيطالية Idea Nazionale بتاريخ 1916/6/28 بعنوان: ايطاليا والبحر الاحمر.

وجدا في ألمانيا ارضية لتحرك سياسي من اجل انشاء لجان تعمل لاستقلال الجزائر وتونس والتخطيط لزيارة مصر. والعمل كما يبدو على التنسيق مع الحزب الموالي للاتحاديين بمصر وفي نفس الوقت القيام بدراسة الرأي العام واعداده للقيام بنشاط فكري وديني ضد الحلفاء؛ الا ان السلطات الفرنسية بالقاهرة، سرعان ما تدخلت لدى السلطات البريطانية والحيلولة دون هذا النشاط بعد ان وفرت كل المعلومات عنهما بما في ذلك صورهما الشمسية .

ومن جهة قام ابنا الشريف فيصل وعبد الله بعدد الزيارات الى بلاد الشام ومصر واتصالهما بالنخبة العربية المتحركة، وهي التي فوضت الشريف، زعامة الحركة ومنحته احقية الدفاع عن مطالبها الشرعية ، واصبح بذلك الفضاء الحجازي مركز الثقل للتحرك العربي . وهذا ما برره فيما بعد، انطلاق الثورة العربية منه . على ان هناك عاملا جديدا اثر بشكل مباشر على ميزان القوى المتصارعة وتمثل في اصدار السلطان الخليفة العثماني ، فتوى الجهاد ضد الاعداء بتاريخ 1914/11/14، وهو ما عد بمثابة ناقوس الخطر لبريطانيا التي تخشى عواقب ذلك على مسلميها بالهند، وفرنسا بالنسبة لمسلمي افريقيا الشمالية والغربية (53). وهو ما جعل بريطانيا خاصة تركز اساسا على اقناع الشريف حسين وابنائيه ، باتخاذ موقف مضاد لكفير الاتحاديين وعدم شرعية هذه الفتوى. وهذا ما يترجم على الاهمية البالغة التي منحها الحلفاء لهذه الحملة الاعلامية التي قام بها الاتراك العثمانيون والالمان والتي هزت الساحة المشرقية ، وجعلهم يدركون جيدا مدى الاهمية الاستراتيجية القصوى للتعامل مع المعارضة العربية وعلى الخصوص مع الشريف حسين، رمز الشرعية الدينية الاسلامية وهو الامر الذي دفع بالبريطانيين لوضع مخطط للاتصال به .

وقد كتب دوفرنس الوزير الفرنسي المفوض بالقاهرة الى وزيره حول السياسة البريطانية في المنطقة : " منذ عدة سنوات حرصت بريطانيا على تطوير وجودها في شبه الجزيرة العربية من خلال قنوات عديدة. ولا شك انها تخطط لوضع هذه الانظمة بطريقة او بأخرى، تحت تأثيرها المباشر والوحيد، وهذا ما جعل الشريف حسين يقع تحت تأثيرها خاصة وانه يتمتع بصفات الخليفة ؛ وعليه أمكن لانكلترا دراسة اقامة شريف مكة كخليفة بدل سلطان القسطنطينية .." (54).

يمكن اذن من خلال هذه التصريحات والمواقف ، ان ندرك استراتيجية التحرك البريطاني في هذه المسألة . ألم يصرح بشكل واضح المندوب السامي البريطاني بالقاهرة للوزير الفرنسي المعتمد

Yapp. M.E., The Making of the Modern Near Yeast 1792 - 1923, p. 272. Forth (53) impression, London, 1990.

A.E., Turquie 871. Syrie-Palestine Vol V (54) رسالة من دوفرنس الى وزير الخارجية بتاريخ 1916/1/3 .

بمصر قوله : " ان الهدف السريع والمباشر لبريطانيا هو العمل لكسب العرب ومنعهم ان يبيعوا او يكتروا او يمدوا الالمان والأتراك بجمالهم الضرورية لتنظيم الحملة على مصر ... " (55) وقد اضاف ان : " العرب الذين يرتابون كثيرا في الأتراك سوف يقبلون بطواحية وعود الحلفاء المحدودة عن وعود الالمان اللامحدودة ... " (56). وفي هذا الاطار، اوفد الشريف حسين محمد بن عريفان الى القاهرة عديد المرات للاتفاق مع السلطات الانكليزية ؛ وقد نتج عن ذلك ما يعرف تاريخيا بمحادثات الشريف حسين-مكماهون السرية (57) والتي اقرت باستعداد البريطانيين للوقوف مع الشريف ضد الاتحاديين ومدعم له بالمساعدة العسكرية وتحقيق انشاء دولة عربية مستقلة بقيادة الشريف حسين، اذا ما اعلن الثورة على الاتحاديين وساند الحلفاء. وقد جاء في احد التزاماتهم للشريف : " ان بريطانيا مصممة على ان تقف بجانب الشعوب العربية في جهادها حتى تبنى عالما عربيا يسوده القانون والشرع بدل الظلم العثماني ... " (58).

ادخل هذا الوعد على الشريف حسين وبقية القيادات الوطنية ارتياحا. ومما لا شك فيه ان المندوب السامي البريطاني بالقاهرة قد تبنى موقفين متعارضين تماما، احدهما تمثل في طمأنة الشريف وتشجيعه للوقوف الى جانب الحلفاء، مانحا اياه الوعد تلو الآخر، لانشاء الدولة العربية المستقبلية تحت اشرافه ؛ غير انه من جهة اخرى ذكر لدوفرنس : " ان الحكومة البريطانية قد سعت جاهدة، ان لا تبرز علاقاتها مع الشريف حسين، وخصوصا ان لا تمنح هذه العلاقات الموجودة حاليا ، اي صبغة سياسية او رسمية ... " (59).

ومن جهة اخرى اكد الجنرال كلايتون Clayton ، مدير الاستخبارات البريطانية بالقاهرة ، الطابع الشفاف والغير الرسمي للالتزامات البريطانية : " ان الشريف قد تلقى وعدا بسيطا للاعتراف باستقلاله واستقلال بقية الزعماء العرب الآخرين عن تركيا .. وان بريطانيا بعيدة كل البعد عن فكرة انشاء الدولة العربية الكبرى والتي دار حولها الحديث، وان انشاء مثل هذه الدولة في رايه دوما، ليس فقط غير مرغوب فيه، بل مستحيلا .. " (60).

ان هذا الرأي يترجم بكل وضوح عن الموقف البريطاني الحقيقي تجاه محادثاتها مع الشريف حسين ، عندما عبرت فرنسا عن قلقها العميق وعدم موافقتها على انشاء الدولة العربية التي

(55) A.E; Turquie 871-Syrie-Palestine vol V ؛ رسالة من دوفرنس الى وزير خارجيته بتاريخ 3/12/1915.

(56) المصدر نفسه ؛ رسالة من دوفرنس الى وزير خارجيته بتاريخ 12/11/1915.

(57) المصدر نفسه ؛ رسالة من الاميرال هوقو ، قائد الفرقة البحرية للشرق الاقصى ومصر بتاريخ 30/10/1915 .

(58) سعيد . امين . نفس المرجع . ص 232 .

(59) A.E., Affaires musulmanes 1684; Evénements d'Arabie Vol IV ؛ رسالة بتاريخ 30/8/1916.

(60) A. E., Affaires musulmanes, Evénement, d'Arabie Vol I ؛ رسالة من دوفرنس الى وزير خارجيته بتاريخ

1916/6/24.

شمل جميع اراضي بلاد الشام ، وقد صرح المندوب السامي البريطاني الي الوزير الفرنسي المفوض بالقاهرة : ' استحالة تكوين دولة مستقلة تضم كل الاراضي العربية : وقد اعاد القول ان 'انشاء مثل هذه الدولة ، لا يمكن ان يكون في الوقت الحاضر، الا حلما ' (61).

* * *

لقد نشرت مراسلات الشريف حسين-مكماهون وهي في متناول الباحثين (62)؛ وقد كانت وراء العديد من البحوث والدراسات على المستوى العربي والغربي طوال العقود الماضية. ويمكننا ان نوكد اليوم ان هذه الحادثات غير متكافئة في الاهداف والغايات والوسائل المتبعة وكلا الطرفين البريطاني والعربي يمثل نموذجين لعقليتين مختلفتين . ففي حين كان الانكليز قد احسن اتقان اللعبة السياسية باعطاء الشريف حسين الوعود تلو الوعود بانشاء دولة عربية مستقلة تحت قيادته، بعد طرد الاتراك -العثمانيين من اراضي الولايات العربية الآسيوية ، واعطائه الضمانات الشفوية الشفافة والتي لم توظر في صيغة معاهدة تستجيب لمبادئ وقواعد أساسية محددة ومرسومة وواضحة ومتفق عليها (63) ، وكان موضوع اختلاف عميق وجوهري جدا (64) ، نرى الشريف حسين يجهل كل شيء عن فلسفة الحكم البريطاني وتاريخهم وتجربتهم السياسية الطويلة بالخليج العربي والهند، وانه نتيجة لذلك انساق بآريحية العقلية 'البدوية' المحافظة والتي لا تعرف المجاملة وانصاف الحلول ولا تكذب ولا تدارى وتمسك بما تعتقد انه الحق ، وهذا مع صلابة في الرأي وتحفظ شديدتين نحو الاجانب، معزوج بقللة الثقة فيهم (65). بل ان زعماء الحركة الوطنية الشامية وحتى المغاربية، أخذوا الشريف حسين بساطة وسرعة معالجته للقضية العربية واستثثاره بالموضوع وتشددة وعدم اصفائه للنصائح وعدم استشارته لهم واطلاعهم بمجريات وتطور الحادثات السرية مع البريطانيين، وهي الحادثات التي ستلزم ليس فقط الشريف بل مصيرية العرب في بلاد الشام

(61) المصدر نفسه : 1 : Affaires musulmanes 1681. Evénements d'Arabie, vol 1 : رسالة من دوفرنس الي وزير خارجيته بتاريخ 1916/6/24 .

(62) راجع على الخصوص :

Kokayem, Antoine et Biltar, Marie Claude, L'Empire Ottoman, les Arabes et les Grandes Puissances, 1919-1920.

(الامبراطورية العثمانية والعرب والقوى العظمى) . وحيث نشرنا جزئا هاما من هذه المراسلات . كذلك راجع موسى. سليمان. المراسلات التاريخية . جزيان ، همان ، 1973 .

(63) امين سعيد ، نفس المرجع ، ص 65 .

(64) Yapp, op. cit., P. 281

(65) امين سعيد ، نفس المرجع ، ص 159 .

والعراق والجزيرة العربية برمتها (66). بل أن تصلب رأيه وتشدده فوت عليه الفرص للخروج سالماً من الانتقادات العديدة التي وجهها إليه زعماء الحركة العربية (67). ومع هذا فقد انفتحت أمام الشريف حسين مجالات جديدة للعمل السياسي العربي، وكانت مساعيه تحوم حول الاعتراف به كملك على الدولة العربية الجديدة، وحيث قام برسم حدودها وتحديد قطاعاتها الجغرافية، واعتبر ذلك من المسائل الحيوية وهي الحدود التي لم توافق عليها بريطانيا بشكل صريح ونهائي، على الرغم من الحاح الشريف حسين على ذلك. بل ان بريطانيا اعطت الشريف وعوداً غامضة وضبابية بالنسبة للحدود العربية. أما فرنسا فقد حاولت ابقاء الثورة ضمن نطاق الحجاز فقط.

ان النتيجة الحتمية لهذه المحادثات العسيرة والطويلة، هو اعلان الشريف حسين عن ثورته في 10 يونيو/جوان 1916، وهو الإعلان الذي اعتبر كإعلان استقلال البلاد العربية عن الامبراطورية العثمانية. وقد استقبلته الدوائر الموالية لتركيا بامتعاض في حين استقبله العرب بسوريا والعراق وبعض القوميات والاجناس الغير عربية الأخرى، في ايران ودول البلقان والشرق الأقصى وفي أفريقيا، باهتمام. الا انه من جهة أخرى، اعتبره الاتحاديون ضربة خنجر من الخلف. ان محتوى بيان الثورة العربية الأولى قد ترجم بأمانة وبشفافية، عن التوجهات الفكرية والسياسية والدينية للشريف حسين، كما وعد بمثابة وثيقة اتهام ضد الاتحادين عندما اثبت فيها كل المآخذ ضد سياستهم في اطار مركز السلطنة اولا ثم في بلاد الشام والعراق، وكيف انهم كانوا السبب المباشر لتصدع الجبهة العربية-العثمانية، واصفا اياهم بأشنع الأوصاف (68). وفي هذا الغرض ولتبرير موقفه، طالب الشريف حسين من الرأي العام الاسلامي مساندة في مساعيه السياسية.

صدى اعلان منشور الثورة في العالم :

هذا الموضوع لم يثر اهتمام الباحثين به الا لماماً، وهذا على الرغم من أهميته يستحق ان نخصص له دراسة، تتمحور حول صدى اعلان المنشور الاول، في خارج الأراضي العربية. وبالفعل لقد تم توزيع هذا المنشور بشكل موسع، واطلع عليه الرأي العام الاسلامي المثقف من خلال قنوات عديدة بدءاً بجريدة القبلة التي انشأها الشريف ثم بواسطة قوافل الحج،

(66) د. خيرية قاسمية . نفس المرجع . ص 29 . راجع ايضاً الشموهني . سعد . نفس المصدر . ص 72 . ان محمد باش حامية احد قيادي الحركة الفكرية التونسية، قد قام في مجلته المغرب Le Maghreb التي انشأها في جنيف، بحملة ضيقة ضد الشريف حسين واعتبر عمله حركة غير مسؤولة . كما عارض ادعائه للخلافة ورأى ان كل المبررات التي قدمها لكسب الرأي العام الإسلامي . مرفوضة...

(67) أمين . سعيد . نفس المرجع . ص 365.

(68) د. ابو دية . سعد والنمسة . هيد المجد مهدي، مع الحسين بن علي : مبادئ ومواقف ... من خلال الوثائق المنشورة في صحيفة القبلة التي اصدرها المفلح له الحسين بن علي 1916-1924 . ص 9-15 . صان . 1991 .

اشاء هذا التجمع الاسلامي العالمي الغير الرسمي، وكذلك بواسطة وسائل الصحافة الغربية المسيطرة على الساحة الدولية في زمن الحرب . وحيث كانت المعلومات تلعب دورا هاما لدى الاطراف المتحاربة . وعليه قامت وكالة رويتر من لندن بتاريخ 1916/8/25 بتوزيع ملخص على الصحافة الغربية * لهذه الوثيقة الهامة، وحيث لوحظ حسن ديباجتها .. انه من الافضل للشريف حسين ان يعطى اشهارا كبيرا لاقواله ووجوب وضع النص العربي في متناول مسلمي العالم اجمع...*(69). كما اثار هذا المنشور في بدايته اجماع القيادات الوطنية العربية الذين عبروا عن تأييدهم لمحتواه، وهذا ما جعل عدد من الشخصيات والكتاب العرب، يتحولون الى الحجاز وينظمون الى الشريف لتقديم خدماتهم له ، امثال عبد الرحمن الشهبندر وفوزي البكري ورشيد رضا وفؤاد الخطيب وغيرهم ... (70).

ومن جهة اخرى، نسجل ارتياح طلبة البوسنة والهرسك المسلمين بجامعة جونيف بسويسرا، وحيث اعلنوا في بيان نشر باللغة العربية عن تأييدهم للشريف * وجميع الابطال القائمين لنصرة كيان الدين. وعليه نرى من الواجب اظهار اخلاصنا وعواطفنا للذين يبذلون اثمان ما عندهم للدفاع عن مبادئ حرية الاديان والشعوب ..*(71).

(69) A.E., Affaires musulmanes 1685. Evénements d'Arabie Vol V. رسالة من قصل فرنسا بزنجبار الى وزير خارجيته بتاريخ 1916/9/12.

(70) A. E., Affaires musulmans 1568; Evénements d'Arabie Vol IV. : رسالة من دوفرنس الى وزير خارجيته بتاريخ 1917/1/22. ان النشاط الذي قام به رشيد رضا بالحجاز يستحق التوقف عنده . ولدينا رسالة في منتهى الامة صادرة من فؤاد الخطيب وحيث صرح :

* لقد هاجرت بلادي وتركت هائلتي واحبائي بسبب المبدأ الذي اعتنقته والتمثل في تحرير البلاد العربية. لقد حاربت الاتراك بقلمى خلال خمس سنوات في مصر، وقد وصلت الى الحجاز على امل تحقيق حلمي، وما هو الآن يسعون لضرب الاستقلال العربي ، لن اوافق مطلقا حول هذا الترتيب، ولو وافقت على ذلك ، لكنت خائنا في نظر الجميع. وهذا ما يعد امانة حقيقية لي شخصيا. اني احلف بكل حال وعين لدي. انه في اليوم الذي يخرب فيه الاستقلال العربي ، سوف اترك الشريف لايديهم في مكان اخر ... رسالة من ريمون، رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في الحجاز بتاريخ 1917/1/10.

راجع هذه الرسالة في :

(71) A.E; Affaires musulmanes 1684, Evénements d'Arabie vol IV.

برقية من سفير فرنسا بلندن الى وزير خارجيته بتاريخ 1916/8/28 وهذا هو النص العربي الموزع :

مشكور الشهبنة الاسلامية ببوسنة وهرسك

نحن معشر بوسنة وهرسك المسلمين بالاجماع وراضين من همل الشريف حسين امير مكة المكرمة ونهرد قيامه بالهون تترك الذين سبوا خراب البلاد الاسلامية وهلاك اهلها في سائر الاتحاف. باتخاذهم سياسة هوجاء. تنخر بمصالح الدين الاسلامي وكافة الموحدين .

وبما اننا نحن مسلمين مخلصين لديننا وملتصقين بشريعتنا المحمدية، رأينا من الواجب بيان اعتقادنا وإظهار مرافقتنا لجميع الوسائل التي يتخذها سيادة الامير لتحقيق شعارنا الدينية وحفظ كيان الاسلام التي يتلاعب بها ظلمان الاتراك وجعلوها آلة خرقا. من دون .../...

كما قرئ هذا المنشور في أهم المساجد بالصومال وتم عرضه في المدينة ليحدث تأثيرا طيبا (72). أما الحاكم العام بمادغشقر، فقد طالب بارسال هذا البيان الى عدد من الشخصيات المرموقة بالبلاد (73). أما حاكم افريقيا الوسطى الفرنسية، فقد طالب هو الآخر بارسال المنشور الى ثمانية عشر شخصية بالبلاد (74)، ونفس هذا الأمر تم بالصين حيث ترجم المنشور الى اللغة الصينية وتم توزيعه بشكل موسع بعد ان كتب في اعلاه وباللغة العربية الجملة التالية: ' هذا منشورنا العام الى كافة اخواننا المسلمين' وفي اسفل المنشور الكلمة التالية: ' ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين' (75).

أما وزير المستعمرات فقد نصح بتوزيع هذا المنشور في ' يونان Yunnan وحيث يوجد المسلمون بكثافة... (76). أما قنصل فرنسا بمندشوري Mandchourie والذي استلم نسختين من المنشور العربي مع ترجمة، فقد اعلن انه سوف يسلم ذلك الى مساجد المسلمين Moukden, les

.../.. هل وادمان . فترى أنه من العار والسفر ما أتى بعمله الاتحاديون المارقون من الدين الاحمدي لشذازر ومعاونة الدولتين التوتونيتين ألمانيا والنمسا . وليس لتركيا ادنى حظ تبرر به تهورها باعلان الجهاد في مصلحة الدولتين الجرمانيتين اللتين هما هدوتان للاسلام . فهي اذا مسؤولة عن سياستها العوجاء . أمام سيادة الشريف والعالم الاسلامي ونحن نعلم أساليب حكومة الجرمانية انتي تحكم بها رهاياها ونعرف ما تجره في حقوقنا وتلاهبها بامورنا الدينية .

فلا يسعنا الا التحالف للامة العربية التي نهضت للدفاع عن حرمة الدين القويم والاهامة المسلمين . نسأل الله أن يوفق الشريف حسين وجميع الأبطال القائمين لنصرة كيان الدين . فعليه نرى من الواجب اظهار اخلاصنا وهو اطفا للذين يبدلون أمن ما صنعهم للدفاع عن مبادئ حرية الاديان والشعوب .

الشبهة الاسلامية

بوطة ومرسلة

(72) المصدر نفسه . Affaires musulmanes 1689. Evénements d'Arabie vol IX . برقية من وزير المستعمرات

الى وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ 18/11/1916 .

(73) المصدر نفسه . رسالة بتاريخ 16/8/1916 .

(74) المصدر نفسه . رسالة بتاريخ 6/9/1916 .

(75) المصدر نفسه . Affaires musulmanes 1691. Evénements d'Arabie vol XI, p. 55 . وقد احتوت هذه

الثلاثة على الاسماء التالية:

1) سلطان دودوره . 2) شريف هديجة . 3) محمد نهار الفندي وثلاثتهم يقطنون بطورلامي . 4) سلطان عبد الرحمن بلامورانق . 5) سلطان باكرمي بهاسانيا . 6) فاكهيس هسان مصطفى . 7) سي محمد الحمي والاشان يقطنان بهما . 8) مانون محمد بلانيفانطا من طريق ملو . 9) الحاج طيراز . بمعسكر حسونه دوباهاريت بهما . 10) فانهي اوا من قبيلة زايا داس ياتي . 11) يكهوب مانك من سيلا بلوزينا ملتي . 12) سلطان حسن من مانا بنياري من طريق اياش . 13) فقيه عبد الله بشاكويان من طريق اياش . 14) زين العابدين فقيه عبد الرحمن والاشان يقطنان بياش . 16) سي محمد عبد الرجال ببيرون الكبيرة . 17) سي عبد الرحيم خلائف . تاجر . 18) الشيخ

سولو مولدن من تاكازاس (منطقة موارتا من طريق فادا) .

(76) المصدر نفسه . رسالة بتاريخ 3/12/1916 .

Arons Wang Tchao-Kouci, Liou Yong-Khoux et Tie-Tch'Ouen-Heng (77). اما حكومة بانكوك، فقد ابلغت بمنشور الشريف الذي اعلن عن استقلال البلاد العربية (78). وحتى في ايران، فقد وجه احد المتفكرين وهو الحاج مبرزا حسن رشيد باه ، رسالة تأييد الى الشريف (79).

ومن جهة اخرى كانت مواقف اغلب المسلمين بالهند والمغرب العربي ومصر وطبعا مركز السلطنة، ضد منشور الشريف والذي اعتبرته هذه الاخيرة غير شرعي ومن شأنه ان يمس بوحدة العالم الاسلامي. وعليه اصبحت هذه الثورة اهم مشاغل حكومة الاتحاديين (80). وقد ثارت ثائرتهم وقاموا بإعداد طائفة من الفتاوي الدينية (81) بتكفير الشريف حسن وابنائه واعتبارهم مارقين عن الإسلام ويجب على كل مسلم ان ينهض لقتالهم بحجة انهم خرجوا على الخليفة وتعاونوا مع اعداء الإسلام (82). وقد قام الاتحاديون بحملة ديبلوماسية وصحافية لكسب الراي العام الاسلامي من خلال مردييه وانصاره والمدافعين على وحدة الدولة المركزية الترابية، بدء بتوجيه وفد من اعيان دمشق الى الشريف حسين للعمل على إعادة حسن العلاقات والثقة. الا ان هذه الاجراءات المتأخرة ، لم تعط اية نتيجة وان الشريف رفض حتى استقبال الوفد (83).

اما حملة الاتحاديين الصحفية، فقد قاموا بها من خلال قنوات السفارات العثمانية في الغرب وكذلك الصحافة المحلية ؛ ففي برلين نشرت السفارة العثمانية التوضيح التالي : " اننا نعد انتشار هذه الاخبار من قبيل الكذب المتعمد، وقد تم ذلك بغرض تضليل الراي العام وعلى الخصوص منه ما كان محايدا . اننا نعلم ان الانكليز كانوا دوما يسعون الى اضعاف وحدة سلطة الخليفة المتمثلة في السلطان، في حين انهم يمنحون هذا اللقب للشيوخ الذين لا يملكون الحق في ذلك، لقد وجد خلفاء، كاذبون ليس فقط على صعيد مصر، ولكن ايضا في بقاع اخرى عديدة ، الا انه لم يحالفهم النجاح قط. ان الاخبار المتعلقة بعصيان بعض القبائل العربية، هي بالنسبة الينا، اخبار صيبيانية وخيالية،

(77) رسالة بتاريخ 12/9 /1916 .

(78) المصدر نفسه . Affaires musulmanes 1692. Evénements d'Arabie Vol XII : رسالة بتاريخ 1916/11/25 .

(79) المصدر نفسه . رسالة بتاريخ 15/1 /1917 .

(80) Dumont, Paul et Georgeon, François "La mort d'un Empire (1908-1923)" in, Histoire de l'Empire Ottoman, sous la direction de Robert Mantran, p. 625, Publications Fayard-Paris. 1989.

(81) د. فاسيمية خيرية . نفس المرجع . ص 30 .

(82) امين سعيد . نفس المرجع . ص 155 . كيف يسرادن تعاون الاتحاديين مع المانيا يومئذ

(83) A. E ; Affaires musulmanes 1684. Evénements d'Arabie Vol IV. -

برقية من دولفرنس الى وزير خارجيته بتاريخ 1916/9/23 .

ونحن على استعداد لتكذيب هذه الاساطير عن طريق الصحافة بشكل قطعي .. (84).

اما السفارة العثمانية بلاهاي ، فقد نشرت هي الاخرى التصريح التالي : " ان موظفا لدى الحكومة التركية، حاد عن اداء واجباته نتيجة طموحه الشخصي والذهب الانكليزي . ان تاريخ الامبراطورية التركية (كذا) قد سجل مغامرات العديد من المتسكعين، والذين كانوا دوما في حالة هيجان تحت تأثير المشاعر المعادية الخسيصة والمستوردة من الخارج، ليطالبوا اما الامامة او الامارة او الخلافة .." (85). اما الصحف التركية الصادرة في هذه الفترة، فقد نشرت العديد من المقالات التي كانت تترجم من خلال المصطلحات المستعملة يومئذ، عن المناخ الفكري للمسؤولين الاتحاديين وعميق غضبهم ومرارتهم . ألم يكتب رئيس تحرير اقدم ما يلي : " هكذا كان الشريف حسين باستنجاهه لدولة دخلت العرب لتدمير الاسلام واعلان هدفه رسميا وقيامه بالثورة على خليفته الشرعي، قد وضع نفسه خارج العائلة الاسلامية واصبح نتيجة لذلك، قاطع طريق مبتدل، وعليه فقد وجب قتله ." (86). اما محيي الدين باي ، رئيس تحرير جريدة طنين ، فقد كتب حول هذا الموضوع : " ليس لسوريا في الوقت الحاضر الا جرحا واحدا : تمثل في هذا الغم والاسف التي اصابها نتيجة الموقف الملعون لهذا الخائن الذي باع بمكة، ضميره مقابل الذهب الانكليزي" (87) : ومن جهة اخرى كان الوالي العثماني بمكة قد وجه الى الراي العام الاسلامي المكي رسالة مطولة ضد الشريف حسين (87 مكر). .

نشر وتوزيع المنشور الاول خارج الحجاز :

للجابة على هذا السؤال، نؤكد اولا ان هذا المنشور كان بمثابة وثيقة اتهام ضد سياسة الاتحاديين وبالتالي ضد الخليفة العثماني، وهذا ما جعل السلطات البريطانية لا تشجع على نشره بالهند " كما جاء في صيغته الاولى محررة من طرف الشريف حسين، وهذا نظرا لعطف مسلمي الهند (على الخلافة) وبالتالي فان نشره، سوف لن يعطى اثرا طيبا" (88) .

وانطلاقا من ذلك، كان المندوب السامي البريطاني بالقاهرة يرى ان نشر المنشور الشريف

Affaires musulmanes 1681; Evénements d'Arabie vol 1.

(84) المصدر نفسه .

(85) مقال صدر بتاريخ 1916/8/5 .

(86) مقال صدر بتاريخ 1916/10/14 .

(87) مقال ظهر بتاريخ 1916 / 12 / 19 . ان موضوع الاتاج المصطفى الخضم المؤيد للاتحاديين او خدمهم وبعده لعات، يحتاج

بالفعل من يدرسه حتى تتم دراسة الدوافع الحقيقية وخطايا كل الاطراف، وهي المقالات التي بعثت اشارة بين الطرفين .

(87 مكر) راجع نص هذه الرسالة اسفله . ص 000 .

(88) A.E; Affaires musulmanes 1683. Evénements d'Arabie vol III . رسالة من دوفرنس الى وزير خارجيته

بتاريخ 1916/7/28 .

كاملا او موجزا عنه، لا يمثل فائدة تذكر الآن (89). الا ان الشريف وحرصا منه على تبرير موقفه ، سعى الى تعميم هذا المنشور على الراي العام العربي-الاسلامي بمصر، وكان يعلق أهمية كبيرة على نشره في صحف القاهرة. إلا ان السلطات البريطانية التي عطلت بادىء الأمر نشره اكثر من شهر ونصف ، قبلت بنشره اخيرا في مصر يوم 29 اوت 1916 * مشوها مبتورا وبعد حذف نحو نصفه وتحرير وتعديل معظم جملة* (90).

ونفس هذا الموقف تبنته فرنسا، التي لا تستطيع ان تقبل بتوزيع هذا المنشور في صيغته الاولى الكاملة. ولو تم ذلك لاثار هيجانا خطيرا ، وهي غير مستعدة للسيطرة عليه . مع العلم ان قسم المراقبة بالجزائر قد منع نشر هذا المنشور (91). وقد اقترح وزير الشؤون الخارجية الفرنسي والذي عرف جيدا ملف الشرق الأوسط على المقيم الفرنسي بالمغرب الأقصى، نشر صيغة موجزة عنه نظرا الى : * انه من المؤكد ان هذه الوثيقة سوف تصل كاملة الى علم مواطني ممتلكاتنا، وازاء هذه الظروف ، فإن توزيع هذا البيان في صيغتين اثنتين، تكون احدهما من اعدادنا واقل اكتمالا من الاولى، وهو من شأنه ان ينزع الثقة في صحة هذه الوثيقة ، بل ويخطر ان يتحول هذا المنشور الى سلاح ضدنا ..* (92). وهناك تدخل فرنسي اكتسى أهمية خاصة، تمثل في تدخل فرنسا لدى السلطات البريطانية بالقاهرة، باقتراح من ليوتي Lyautcy * حذف فقرتين اساسيتين من البيان* (93). وبالفعل تم توزيع هذا المنشور بعد ان حذفت منه الشعارات التالية : وقوة الثورة، جمعيتهم الثورية، ثورة الامة ، ثورة الدولة، التنكيل بالعرب، من قتل اللغة العربية قتل الاسلام، ما خصوا به العرب ولغتهم من الاضطهاد فهو اعظم ما جنوه على الدين والدولة من الفساد، صلبوا زعماء العرب حتى لا يطمح هربي بأن يقول ان لفتنا هي الاسلام، اذا ذل العرب ذل الاسلام* (94).

(89) المصدر نفسه . Affaires musulmanes 1682; Evénements d'Arabie Vol II . رسالة من وزير الخارجية

الفرنسية الى السفير الفرنسي بلندن بتاريخ 1916/7/21 .

(90) امين . سعيد . نفس المرجع . ص 163 .

(91) Affaires musulmanes 1681; Evénements d'Arabie Vol I . برفية بتاريخ 1916/6/23 .

(92) A.E. Affaires musulmanes 1683. Evénements d'Arabie Vol III : رسالة من وزير الخارجية الفرنسي الى

المقيم العام بالرباط بتاريخ 1916/7/23 .

(93) A.E. Affaires musulmanes 1682; Evénements d'Arabie Vol II : برفية من وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ

1916/7/18 .

(94) قارن بين نمي المنشور الاول في كل من : سليمان موسى . المنشور ... نفس المرجع . ص 109 - 111 والنص الكامل

المنشور في: د. سعد ابو دية وهدد المجيد مهدي انعمه . نفس المرجع . ص 9 - 15 .

ان موضوعنا يتناول خلفيات نصوص المناشير الثلاث . العربية الصادرة في جريدة القبلة . ثم الصادرة بالقاهرة واخيرا الوز في شمال افريقيا . سيكون مطيحا جدا .

على ان صيغة هذا المنشور قد ابقت على نقطة هامة تناولت سياسة الاتحاديين القاضية بالتنكيل بالعرب احياء وامواتا، وذلك عندما نبشوا قبر الامير عبد القادر الجزائري ، وفي ذلك اكثر من دلالة ومعنى بالنسبة للجزائري والمغربي والعربي، باعتبار ان الامير عبد القادر يعد شخصية عربية نضالية ومعروفة على مستوى البلاد العربية والإسلامية جميعها ، وكان الهدف من ذلك هو تكثيف اثاره غضب مشاعر الناس ضد الاتحاديين

ومما لا شك فيه ان صيغة المنشور الموزع على القيادات السياسية الرسمية والدينية بالمغرب العربي وافريقيا الغربية "الفرنسية"، كان قد اعدتها دوائر الاستخبارات الفرنسية بالقاهرة، وهذا مراعاة لمصالحها الحيوية في المنطقة، وهو ما يفسر الطريقة التي اتبعتها السلطات الفرنسية عندما افرغت هذا المنشور من محتواه الفكري-السياسي والعقائدي الذي تضمنه بادئ الامر، كما يترجم ايضا عن خلفية الاهداف الحقيقية للحلفاء والتي كان من المستحيل على الشريف حسين استكناها يومئذ او حتى توقعها منهم .

ان اهداف السياسة الفرنسية في مستعمراتها كانت تقضي بالحصول على موافقة وتأييد رجال الدين والوجهاء والشخصيات الهامة لهذه الحملة التي نادي بها الشريف حسين . وعليه تم تبني فكرة توزيع هذا المنشور بشكل موسع جدا. وقبل ان يمنح هذا المنشور مزيدا من المصادقية الممكنة، ذكر دوفرنس الى وزير خارجيته : " انه فكر بادئ الامر ان يلتمس من قسم الاستخبارات البريطانية ان يتم توجيه هذه الرسائل مباشرة من مكة او المدينة متضمنة منشور الشريف . وقد وجب ارسالها على يديه بوضع طابعه الجديد عليها. وكنت اعتقد ان وضع هذا الطابع البريدي بمكة من شأنه ان يضفي على الرسائل الموجهة ، صفة الشرعية والمصادقية في أعين الاشخاص الذين سوف يستلمونها .." (95). وقد تم اختيار الاسماء من طرف السلط الادارية الاستعمارية يومئذ في الجزائر (96) وتونس والمغرب الاقصى وموريتانيا والنيجر والسنغال وغانة وساحل العاج

(95) A.E. Affaires musulmanes 1686; Evénements d'Arabie Vol V : رسالة بتاريخ 3/9/1916 .

(96) اليكم قائمة اهم الشخصيات ورجال الدين الجزائريين والذين اترحت السلط الفرنسية اسماهم : (1) سي محمد التيجاني . شيع زاوية التيجان بعين مهدي . هن طريق لغواط . ولاية الجزائر ؛ (2) سي محمد الهاشمي بن ابراهيم . شيع زاوية القادرية هن طريق الواد . ولاية فسنطينة ؛ (3) العروسي شيع زاوية التيجاني بشار هن طريق الوادي . ولاية فسنطينة ؛ (4) سي احمد الشريف تكوك . شيع الطريقة السنوسية . ولاية وهران ؛ (5) سي عبد القادر بن سي الدين بن حمزة . الها اولاد سيدي الشيخ . ولاية وهران ؛ (6) سي بو هزوز بن احمد بن ملانة . الها بسكرة ؛ (7) سي الحاج بلقاسم بن الحاج احمد . شيع الطريقة الرحمانية بوسعادة ؛ (8) سي هيرة بن سيدي بن هاجر . شيع الزاوية الرحمانية بطولقا . بسكرة ؛ (9) سي محمد اللير بن الشيخ مختار . شيع الزاوية الرحمانية . اولاد جلاب . بسكرة ؛ (10) سي اليسوم عبد الرحمن بن الشيخ اليسوم . شيع الزاوية الشاذلية ؛ (11) سي الطاهر رجب بن الشيخ الحسين . شيع زاوية فسنطينة ؛ (12) سي باش طارزي . عبد الكريم . المني الحنفي . فسنطينة ؛ (13) سي ميلود بن اليهوب . المني المالكي . فسنطينة ؛ (14) سي محمد الرزقي . المني المالكي بالجزائر ؛ (15) سي محمد بن قندورة . المني الحنفي بالجزائر ؛ (17) سي محمد لغول .../.../...

والهند الفرنسية وغينيا الفرنسية ومدغشقر وأفريقيا الاستوائية الفرنسية (97). ووفقا لهذا المسعى، قامت مصالحي الاستخبارات الانكليزية بإرسال ستة عشر نسخة من منشور الشريف محررة بخطه وتحمل خاتمه وهي موجهة الى عدد من الشخصيات التونسية والمغربية. أما الانكليز، فقد درسوا توزيع المنشور في كل من عدن ومصر والسودان (98)؛ ولا بد ان نذكر في هذا السياق لاتحة التأييد والموافقة التي وجهها عدد من الشخصيات الفكرية بأم العساكر بالجزائر الى الشريف حسين (99).

* * *

لا نستطيع في هذه الدراسة استعراض نتائج هذا المنشور على مستوى البلاد العربية، فهذا موضوع يستحق لوحده ان يخصص له كتاب بحاله، ولكننا اردنا، نتيجة المعلومات الجديدة التي تحصلنا عليها، ان نبرز توجه البحث حول هذا الموضوع ودعوة المؤرخين للاستفادة من ارسدة المعلومات المتوفرة في الارشيفات الفرنسية الغنية.

 .../... مال الله هدة . شيع الطريقة الدرقاوية . زاوية اولاد الاخضر من طريق تيارت ؛ 18) سي مولاي بن احمد بن يوسف . الما تيوت من طريق من صلالة ؛ 19) سي محمد بلقاسم بن الاحرش . الما بجللة ؛ 20) سي محمد بن شريف بن الاحرش / الما بللوات ؛ 21) سي بوطيبة بن يامين . الما خنيس يتس ؛ 22) سي الصعراوي بن محمد . الما جبل ناظور . تيارت ؛ 23) سي الطاهر الراهي . قايد بطنابة ؛ 24) سي شبيب قاضي مدينة تلمسان ؛ 25) سي محمد بن حنيس . قاضي Orleanville ؛ 26) سي احمد بن الشريف بن علي الشريف . قايد ورنيس زاوية شلالة بمنطقة ايكو . نقلنا هذه الاسماء . من قائمة حررت باللغة الفرنسية وتوجد في :
 A.E., Affaires musulmanes 1683, Evénements d'Arabie

من بريقة وجهت الى وزير خارجية فرنسا بتاريخ 1916/8/7 .

(97) سوف نقوم بنشر كل اسماء الوجهات الذين اقترحتمهم فرنسا، في كتابنا المزمع نشره قريبا . وراجع نص المنشور الموزع في المراسم العربية : موسى سليمان - المنشور الاول للثورة العربية الكبرى وتوزيعه في شمال افريقيا في المجلة التاريخية المغربية، عدد 7-8، ص 106 - 11 . تونس . 1977 .

(98) المصدر نفسه . Affaires musulmanes 1686. Evénements d'Arabie Vol V ، بريقة من الملحق العسكري بالقاهرة الى وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ 1916/10/4 .

(99) A.E; Affaires musulmanes 1687. Evénements d'Arabie Vol VII ؛ رسالة من الحاكم الفرنسي العام بالجزائر الى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 1916/10/26 . ضمت هذه القائمة الاسماء التالية :

- 1) شتوف عبد القادر بن عبد الله ، صاحب الشروع ؛ 2) محمد بن محمد ، قاضي ام العساكر ؛ 3) عبد القادر بن الكي . امام سعيدة ؛ 4) العروسي البشير بن الحسين ، مدرس ؛ 5) مصطفى بن عبد الجبار . قاضي سعيدة ؛ 6) عبد القادر بن الصديق . مفتي ام العساكر ؛ 7) محمد بن الحاج محمد . مدرس بام العساكر ؛ 8) محمد بن الطيب . مفتي ام العساكر ؛ 9) بوعمران بو عبد القادر . شيخ الطريقة الشاذلية بام العساكر ؛ 10) بو زار محمد بن علي . قاضي فرنندا () ؛ 11) بن ابراهيم محمد بن مصطفى . رئيس الدرقاوية ؛ 12) بو دويعة بن ابراهيم ، ابن الشيخ الهودالي . رئيس ؛ 13) بن شان محمد . المندوب المالي .

في اخر هذه القائمة يطلب الحاكم الفرنسي العام بالجزائر من وزير الخارجية الفرنسية . ارسال هذه القائمة الى الشريف بن حسين . وراجع : A.E., Affaires musulmanes 1687., Evénements d'Arabie Vol VII.

لا شك ان طموح الشريف حسين، كان عاملا مهما في هذا التحرك السياسي، فقد سعى بادئ الامر مع الاتحاديين للفوز باستقلال الحجاز وجعل إدارته وفقا عليه وعلى ابنائه. وها هو امام تحولات تاريخية لتحقيق حلم الجيل العربي فيه والقاضي بالوحدة و بروز الدولة العربية المستقلة. وقد كتب " ان اعمالنا لم تكن لغايات وميول شخصية، بل ان كل شيء كان نتيجة مطالب ررغائب شعبنا، واننا لسنا سوى ناقلين ومنفذين لرغائبه ... (100) بل ان الشريف تبنى في هذه الرحلة لغة القومية العربية وكان فخورا باعلان الثورة (101). وفي الرسالة الهامة التي وجهها الشريف حسين الى رئيس الجمهورية الفرنسية ريمون بوانكري ، كتب الشريف ما يلي : " ان املنا وطميد بأصالتكم وحسن مقاصدكم الجليلة، بانها ستبذل كل ما في وسعها من المساعي الودية لتعزيد نهضتنا المنبعثة من مبدأ الدفاع عن الحق والكيان الاسلامي .. وان تكون الامة الفرنسية وحكومتها المبجلة، ستكون من خير الاعوان لهذه المملكة العربية الجديدة (102). مؤكدا ايضا العمل على استخلاص سائر الاقسام العربية التي لم تزل الى الآن تحت اشغال العدو المشترك (كدا) . وبالطبع فان هذه المملكة ستكون مع حلفائها العظام (كدا) على طريق الود الدائم وتبادل المنافع المشتركة (103).

ان المؤرخين والباحثين سوف يجدون في هذه الرسالة وغيرها من المعلومات عددا من الدلالات التاريخية من خلال المصطلح الذي استعمله الشريف حسين والذي يؤكد على مدى القطيعة السياسية والحضارية مع الاتحاديين . اما نعت الحلفاء بالعظام، ففيه اكثر من مؤشر على التوجه العام للشريف للعمل على تكثيف التعاون مع فرنسا وانكلترا حتى يقفا مع الدولة العربية الموعودة باستقلالها .

ومن جهة اخرى اثار مسألة لقب الشريف كثيرا من اللغظ والاحتجاج والاخذ والعطاء . ففي برقية وجهت الى وزير الخارجية الفرنسية، ذكر الشريف عبد الله وزير خارجية الدولة العربية الناشئة ما يلي : " اني سعيد ان احيطكم علما ان الوجهاء وعلماء البلد وكل طبقات الشعب المجتمعين اليوم، قد اعترفوا بالاجماع وبجلالة على ان يكون حسين بن علي الشريف، ملكا على الامة العربية . ان الامة العربية تأمل كثيرا ان يعترف بها عضوا عاملا في جممية الامم، وانها ستكون عند حسن الظن في المستقبل بدعم من العلي القدير .. (104).

(100) سعيد . امين . نفس المرجع . ص 78 .

(101) Yapp. op. cit., P. 285.

(102) راجع دراستنا التالية المنشورة اسفله ص 81-87 . ولزيد التيق في الموقف الفرنسي تجاه الثورة العربية راجع حكمت ياسين.

السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية . منشورات النار التونسية للنشر . تونس . 1981 .

(103) المرجع نفسه .

(104) وزارة الخارجية الفرنسية Affaire Musulmanes, Evénements d'Arabic برقية بتاريخ 1916/10/31/...

وقد أكد دوفرنس في برقيته من القاهرة الى وزير الخارجية * لقد تم هذا الصباح 31 أكتوبر 1916 حفلة المبايعة والاعتراف بجلالته كملك على الأمة العربية وكرئيس دين في انتظار اتفاق المسلمين حول هذا الامر واخذهم قرارا بشأن خليفة المسلمين ... (105). كما احاط دوفرنس، فيما بعد وزير خارجيته * ان هذا الاجتماع نظمه عبد الله بمنتهى السرية للوصول الى السلطة في المستقبل . لقد اضيئت الانوار ونودي بالفرح الا ان فرنسا لم تقبل بلقب ملك العرب او سلطان العرب ولا ملك البلاد العربية، بل اقرت مع بريطانيا الاعتراف بالشريف ملكا على الحجاز فقط . وقد استلم الشريف رسالة محررة باللغة العربية من رئيس البعثة العسكرية الفرنسية بالحجاز جاء فيها : * اتشرف باعلام جلالتم بأن حكومة الجمهورية بعد الاتفاق مع حليفها بريطانيا العظمى وروسيا قد كلفتني اعترافها اياكم ملكا للحجاز . وترجي حكومة الجمهورية الفرنسية من جلالتم في هذا الاقرار دليلا جديدا على علو اهتمامها بدعوتكم ورغبتها في ان تحصل بلادكم الحجازية غاية مرادها ... تحت لواء دولتم الهاشمية (106) .

وفي رسالة اخرى اكدت الحكومة الفرنسية اعتراضها على تسمية الشريف ملكا على الأمة العربية : * ... ان الحكومة الفرنسية ودولتي بريطانيا وروسيا يعتبرن (كذا) في الحاضر وسيدا ومن (كذا) على اعتبار جلالتم رئيسا .. على الامم العربية في نهضتها على الحكومة التركية .. ويسرهن (كذا) ايضا الاقرار كون جلالتم زعيما مستقلا حقيقة على الحجاز، الا ان الدول المذكورة لا يتيسر لها في الحاضر ان تعترف بأي لقب يحتوي على معنى الملك قد يكون سببا لتشتيت شمل العرب في هذه الظروف وربما اصبح مضرا للفصل الانتهائي (كذا) للمسائل العربية على دعام مرضية .. (107) .

ومن جهة اخرى استلم الشريف رسالة من الحكومة الايطالية باللغة العربية تعترف به: جلالة ملك الحجاز (108). وانطلاقا من ذلك سوف يعرف الشريف حسين كثيرا عن الحقائق المؤلمة والمخيبة للأمال عن موقف الحلفاء الذين نعتهم بالعظام في رسالته لرئيس الجمهورية الفرنسية.

.../... في نفس هذه الفترة الزمنية . ارسل وزير خارجية الشريف حسين هذا من الرسائل الى الحكومات الأوروبية يخبرهم جميعهم بالمبايعة ويتأخدهم الاعتراف بوالده كملك على الأمة العربية . وانطلاقا من ذلك سجلنا هذا من ردود الفعل العربية الراضة صوما لالك كموقف الحكومة الدانماركية الفاضح : راجع :

A.E., Affaires musulmanes 1691;

رسالة من سفير فرنسا بالدانمارك الى وزير خارجيته بتاريخ 1916/12/21 .

(105) المصدر نفسه . برقية بتاريخ 1916/10/30 .

(106) A. E; Affaires musulmanes 1691. Evénements d'Arabie Vol XI (106) ، رسالة بتاريخ ربيع الاول 1325.

(107) المصدر نفسه . رسالة بتاريخ 1916 / 12 / 10 .

(108) المصدر نفسه . رسالة بتاريخ 1917 / 1 / 6 .

فبعد اعلان روسيا البلشفية عن سرّ اتفاقية سايكس-بيكو القاضية بتقسيم المنطقة العربية - بريطانيا وفرنسا، تساءل الشريف حسين حول حقيقة ذلك. وقد ردت عليه بريطانيا بانّه تنكّر الاتفاق جملة وتفصيلا . وعلى الرغم من المقابلة التي اجراها كل من سايكس وبيكو بالشريف حسين بجدة، حول عديد القضايا المتعلقة بخصوص طبيعة الجبهات العسكرية في العراق وسوريا ومصر ، بدأت تظهر للشريف خيوط اللعبة السياسية البريطانية-الفرنسية في المنطقة وعدم اخلاصهما ووفائهما للعهد التي قطعت له. وكان عليه ان ياخذ بالاعتبار ذلك ويسعى من منطلقات ومساع جديدة التذكير بذلك عن طريق الاحتجاج الكتابي وارسال البرقيات تارة وتوجيه ابنه فيصل وعبد الله في مهمات جد عسيرة بل ومستحيلة الوصول الى نتائج. ان المهمة التي اداها ابنه فيصل في مؤتمر السلام بباريس، كانت تمثل المحاولة الأخيرة لتذكير بريطانيا وفرنسا بان والده لا يطلب ضم شبر ارض واحدة الى مملكته. ولكنه يطلب للعرب حق تقرير مصيرها بحسب نظام التوكيل الدولي الذي يعتقد ان البريطانيين مستعدون لتطبيقه ... (109).

وبعد انتصار الحلفاء وانكسار الدولة العثمانية في كل الجهات العربية، نتيجة الخطط العسكرية البريطانية ، وحيث بلغ عدد جنودها العاملين في الشرق الاوسط المليون جنديا ، ثم قيام اول حكومة عربية بدمشق لمدة وجيزة، بزعامة فيصل والتي سرعان ما قضى عليها، لتحل فرنسا بلاد الشام برمته، كان على الشريف حسين ان يتراجع على تحقيق الطموحات العربية التي هزت ضمير الامة العربية بالشرق، وحيث اوكلت اليه شرف زعامتها وقيادتها منذ اللحظة الاولى، واضطر مكرها ان يقبل بمصيره ملكا على الحجاز لا غير، وليرى فيها مأساة تقسم الاراضي العربية بين فرنسا وانكلترا وضياع فلسطين وذهاب مساعيه واحتجاجاته وبياناته وشكاويه الى الامة البريطانية ومجلس الامم يومئذ، ادراج الرياح ولم تات بنتيجة تذكر. بل ان بريطانيا التي اصبح يزعجها هذا العذر المخلص ، كافاته شر المكافاة بنفيه فيما بعد الى قبرص .

ان الفترة الزمنية القصيرة التي قضاها الشريف حسين ملكا على الحجاز ترجمت من الرحد- الدولة ، الذي تبني علما جديدا وضرب عملة باسمه وكان له هوى في تقليد الخلفاء بتنكره في بعض الليالي وطوفه الأزقة والاسواق، بل كان يدور على لسانه دوما اي من القرآن والاحاديث النبوية . وف انشا جريدة القبلة التي اولى احد رئاسه تحريرها الى رجل عالم مغربي هو الشيخ الطيب الساسي. وهو ما يترجم عن انفتاحه على الطاقات العلمية العربية انى كان مصدرها (110) .

* * *

(109) سيد، امين . المرجع نفسه . ص 344.

(110) د. سعد ابو نية . نفس المرجع . ص 149

لقد كان الشريف حسين احد رموز الحركة العربية، وقد اجتهد مخلصا ان يكون وفييا لطموحاتها ونبيل اهدافها السامية، الا ان النجاح لم يحالفه للأسباب العديدة التي ذكرناها سابقا. ويكفيه نبلا وقوفه بحزم امام بريطانيا التي خانتة ، وحيث اداه ذلك الى التضحية بكل شيء.

اننا نذهب الى الاعتقاد ان الشريف حسين مازال يحتاج الى تاثير تاريخي اكاديمي جديد، اذا تمكنا مستقبلا من توظيف أرصدة الوثائق الفرنسية والعثمانية والأرشيفات الخاصة وهي التي تحتاج الى جهود المخلصين من الباحثين والمؤرخين لجمعها وابرازها ونشرها لتوظف من أجل معرفة اشمل وانصف للملف الشرق الاوسطي اثناء الحرب العالمية الأولى .

* * *

وثيقة رقم 1

بيان الشريف علي حيدر الى الراي العام الاسلامي (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا خطابنا الى اهل وطننا الحجاز ومن يليهم حاضرمهم وباديهم وقاصيهم ودانيهم اننا نحمد اليكم الله الذي انبتنا واياكم في عهد الاسلام واعزنا جميعا بمحمد عليه الصلاة والسلام وجعلنا واياكم من جيرة البيت الحرام واوجب لنا ولكم ما اوجب للجار من الحق والذمام حمدا لايفي بعشر معشاره الكلام ولا ينهض به القلم ، ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام ونصلي ونسلم على سيدنا وجدنا خير الانام المنتخب من صميم العرب في ألسنام الذي قرن طاعة الله بطاعة الامام عملا بقوله تعالى (واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) نصا تبين فيه الحلال من الحرام والنور من الظلام وعلى آله البررة الكرام واصحابه الذين بلغوا بطاعته اسنى ومقاما .

وبعد فلا يخفى عليكم انه مضى على ظهور الاسلام ثلاثة عشر قرنا، تقلبت عليه فيها احوال كثيرة وادوار مختلفة من بسط وقبض ... وخفض وزلزال وتمكين في الارض وجرى له يخسر كثيرا من ممالكه ويستردها ويفقد جما من اسباب قوته ويستجدها ولم يدع الآن بلدا للاعداء ولا الاعداء بلدا للاسلام ، الا عالجوا اجتياحه واجالوا قداحه الا بلدنا الحجاز الشريف حماه الله ، فلم يذكر

(*) مرثنا على هذا البيان من الشريف علي حيدر في A.E.; Guerre 1914-1918; N. 1681; Affaires musulmanes: Evénements d'Arabic: quant à sa Traduction en français, elle figure in, pp. 9-17.

التاريخ فيما بسط ولا ارتنا العبر فيما غير انه ارتقت اليه لعدو الدين همه ولا المت به من غير ملة الاسلام ملمة، بل بقي الحجاز رغم جميع الغوائل وما تعاقب على البلاد من الدول الدوائل بكرا من الممالك لم يطنها فاتح ولا امتدت اليها يد طامح حرمة من الله لبيته المعظم ومعجزة لصفه صلى الله عليه وسلم . وقد وطئ العدو مصر وسودانها والهند وبنجابها ونجف واحقا ... وعمان واطرافها. وهذه المرة تعرض للبصرة واهوازها ، ولكنه لم يجسر يتعرض لمكة وحجازها بمكان الحجاز من حرمة المسلمين وهوى افئدة المؤمنين ، ومكان ابائنا امراء الحجاز من المحافظة والمناصحة تكفي عناية الخلفاء والسلاطين ، وما زال كذلك حتى نشبت هذه الحرب العامة وقامت الدولة العثمانية فيها باخذ منارات الاسلام المقام الباهر الذي اعاد الاسلام سيرته الاولى ، فلم يكن للعدوان ان يتمنى من الحجاز ما وجد في غيره محالا، ولا ان يرجو في جوار الحرمين الشريفين مجالا وهو لم يجد فيما هو ايسر مجالا فاذا بالشريف حسين بن عون هو نفسه يواطى العدو على الحجاز ويحاول ان يجعل بيت الله الحرام وقبلة الاسلام ومرقد الرسول عليه الصلاة والسلام ، تحت حماية دولة مسيحية محاربة للدولة العلية باذلة قصارى جهدها في اذلال جميع الملة الاسلامية وجميع ما يموه به الشريف المشار اليه ، تبريرا لخروجه على الدولة وتخريجا لقضية ضربه المسلمين بعضهم ببعض لا يفيد شيئا امام الله الذي يعلم السرائر وامام رسول الله الذي شرعه مثل الشمس ظاهر ، ولا امام الامة الاسلامية التي تعلم الانكليز وما يصنعون وما مثله ومثل ما يدعيه الا كما قل الله تعالى (يحرفونه من بعد ما عقلوه وهو يعلمون) . ولن يغلب الشريف حسين حقيقة ولن يخفي واقعا ولن يقنع احدا ، انه يقدر ان يكون اميرا مستقلا بنفسه وان يخاصم الدولة العثمانية فضلا عن ان يلبي شؤون الاسلام ويدعي لنفسه الكفاية اللازمة لحمايته . فلا بد له اذا حتى يتمكن من مناصبة دولة عظيمة كالدولة العثمانية من ان ينضوي تحت جناح دولة اجنبية عظيمة ، وهذا ما فعله الان باتفاقه مع دولة انكلترا التي تخدعه وتزين له امانيه وتخرجه من طاعة الدولة التي تحميه ، حتى اذا تمكنت من الامر لا قدر الله كان ماله معها كمال خديوي مصر وسلطان زنجبار وامير الحج وامراء الهند وسائر الحكومات الاسلامية التي وقعت في حبال الانكليز ومن راي العبرة في غيره فليعتبر. وكان على الشريف حسين قبل ان يجعل الضرغام صيدا لبازه ان يفكر بان انكلترا لا تمد بصبعه الا لكي تحل بربعه وانها متى دخلت اصبعها في الحجاز لم تبرح تتمكن شيئا فشيئا حتى تستصفيه وتلحقه بغيره مما اخذته اختلافا . فليسال اولئك الامراء الذين تقدموه وليتصفح تلك المعاهدات التي امضتها انكلترا معهم ومع غيرهم . يعلم كيف صاروا بعد الوجود الى العدم ، وكيف عادوا قارعين سنى الندم ومهما غالط الشريف حسين في كونه لا يستطرق الحجاز لجنود مسيحية وانما تمدّه انكلترا بجنود مسلمين ، فان الجند الذي ياتي من قبل الانكليز مسلمين كانوا او نصارى ، فما داموا خادمين دولة مسيحية مقاتلين في صفوفها متقلدين لسيوفها يحاربون بامرها ايا كان حتى

ابناء دينهم كما لا يخفى . فلم يبق فرق بين المسلم والنصراني اذ ان النتيجة على الاسلام واحدة ، والاصل هو الرأس والأت تابعة وما من مكابر في كونه لو فاز هولاء الجنود المسلمون يُزعم الشريف على العساكر العثمانية ، وكانت العاقبة هي فوز الكثرة المسيحية على الدولة العثمانية الاسلامية ، بل كانت النتيجة والعاقبة بالله استعلاء النصرانية على الاسلام في مهد الاسلام ودار محمد عليه الصلاة والسلام ، وسواء كان هؤلاء الجنود المسلمون الذين هو في خدمة النصارى او نفس الشريف حسين الذي انضم اليهم ، فانهم شرعا في حكم الاسلام قال الله تعالى (ومن يتولهم منكم فانه منهم) واحتجاجة بكون الدول العلية حالفت الالمان وهم نصارى فجاز له هو ان يحالف الانكليز . فالدولة العلية حالفت الالمان لتضرب بهم دولا مسيحية ثانية ولتستقيم بهم على الاخذ بثأر الاسلام من اعدائه منتهزة فرصة اختلافهم لتزيدهم انشقاقا . وهكذا توفقت الى ان رات بعضهم معذبا بايدي بعض جزاء اعانتهم للمسلمين ، وفاقا على ان الالمان وان كانوا نصارى فلم يملكوا شبر ارض من ديار المسلمين ولا ضربوا الذلة والمسكنة على 150 مليون مسلم نظير الانكليز الذين استرقوا اجل بلاد الاسلام واسترقوا اهلها وصار قصارى همهم ان يلاشوا للاسلام كل قوة سياسية وان يجردوه من كل سلاح حتى لا يحدث المسلمون انفسهم في يوم من الايام بالخروج عليهم واول شيء يبادرون اليه ، ان تم لهم من الامر شيء في الحجاز لا سمح الله هو تجريد العرب من اسلحتهم اولا بصورة الشراء كما فعلوا بعشائر العراق وعمان وجنوبي اليمن . وكانت فتنة مسقط المعلومة بسبب اخذ السلاح وثانيا بصورة التجريد بالقوة كما فعلوا بعشائر مصر والسودان حتي اذا ارادوا ان يجولوا خلال الديار لم يقدر العرب دفعهم عنهم وعليه فلا مناسبة بين مخالفة الالمان ومخالفة الانكليز ولو كانوا من مذهب واحد والله تعالى يقول (لا ينهاكم الله عن الذين يقاتلكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهرنا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم منكم فاولئك الظالمون) والانكليز اخرجوا بلاد الهند الطويلة العريضة ومصر والسودان وزنجبار والصومال وقسما من جزيرة العرب وغيرها من ملك الاسلام وملكوها واعادوا اعزة اهلها ادلة ، ولم يكتفوا بذلك حتى ظاهروا الفرنسيين على تملك المغرب الأقصى واواسط افريقية وظاهروا الطليان على طرابلس والروس على فارس ، واتفقوا مع اعدائهم على المسلمين ولم يبق شيء الا فعلوا ، لا لطمس معالم الاسلام واتيان بيته من القواعد وكان باقيا عليهم الحجاز لم يفرعوا عذره ولا رقوا ذروته فوجدوا طلبتهم ويا للاسف عند من كان اولى الناس بالمحافظة على الحجاز لكونه هو الذي استودعته اياه الدولة العلية وامتدته لحفظه بالمال والرجال ولكوننا نحن آل البيت الموكول الينا صيانة هذا البيت ، ونحن الذين نزل في حقهم قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) وقد علم الناس كيف ان جدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما قد نزل

على الخلافة كلها حقنا لدماء المسلمين واشفاقا على هذا الدين ، فلا يكون منا الذي في ايامه تيسر دول النصارى ايديها الى الحجاز لاول مرة في الدهر ولا نكتب هذه السيئة العظمى في تاريخنا بعد ما سبق مواقفنا الكريمة امام هذه الملة (ولا يكون كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا) ولذلك ودرا بالحسنة السيئة واقتداء بالسلف المجاهدين رحمهم الله ، عندما توجهت ارادة امير المؤمنين مولانا السلطان محمد الخامس لنا بامارة مكة وكان قد بلغ السيل الزبى واصبح الحجاز على شفا (؟) استخرت الله تعالى في قبول الامارة ، لا حبا بالامر والنهي وهذا الامر كما تعلمون هو من عتبنا درج (؟) وهذا النور هو من افقنا انبلج ولكن اشفاقا على الحرمين الشريفين من لوث مداخلة الاعداء الذي ليس بعده لو تركوا وشأنهم الا الدخول بالانفس والدوس بالاقدام ترابا بقي طاهرا اكثر من الف وثلاثماية عام ، وما كان لنا اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لنا الخيرة من امرنا وتعين النهوض والجهاد ووجب ان نيسر لكم واقع الحال وان نصرح لكن يكون تواطى الشريف حسين مع النصارى هو عبارة عن وضع الحرمين الشريفين تحت سلطتهم والعياد بالله ، ولا يلدغ المؤمن من حجر مرتين فكيف تراه يلدغ مرارا ولا ينتبه وبيناه لكم لكي لا يفتر الضعفاء منكم بما يزينه بعضهم من الاباطيل وبما يتفننون به المساكين من اهل البادية من زخرف الاقاويل ولثلا يضطرننا بعض الجهلة الذين رانت العلالة عليهم ان نرهف فيهم حدا شهيرا بدعوة القرآن ودعوة السلطان ودعوة اجدادنا ذوي زيد الذين لهم امر الحجاز دون غيرهم من قديم الزمان ان تتفروا خفافا وثقالا لمقاتلة العساكر المنفذين من قبل النصارى الانكليز ومن تجرا مظاهرهم من البغاة الظالمين وان تكونوا عضدا للعساكر الشهانية الزاحفة من المدينة الى مكة ، تطهيرا لها من المارقين فمن يختلف عن اجابة داعي الله ورسوله فقد باء بغضب من الله ومن رأى الاجنبي قد بدأ بعد يده الى حرم الله وروضة رسوله وهو راض قاعد عن النصره فقد اظهر برائته من رسول الله ومن تجرا على مناصرة الاجانب اعداء الدين ومحالاتهم او مكاتبهم او موافقة اي شقي شاق لعصا الطاعة فقد عرض نفسه لنكال الدنيا قبل الآخرة وانتي احاشي اهالي هذه البقاع المقدسة من ان يوجد فيهم من يختار طاعة الشيطان على طاعة السلطان ومن يرضى بالكفر بعد الايمان واربا ببيع بعض ابناء الوطن والاخوان في الدين عن ان يصيروا جزرا للسيوف التي عرفوا مواقعها من اعدائهم الانكليز والفرنسيين ، عندما حشدوا على جنات قلعة وجاوا اشد قوة وآثارا في الارض ورد الله الذين كفروا بغيظهم ولهم خيرا ولا شك عندنا في كون الله يحمي هذه البقاع التي فيها حرمة والروضة التي فيها خير من دفنت في القاع اعظمه ويوفقكم في هذا الجهاد الاقدس الى الضرب بالسهم الذي لكم فيه العظوظ الوافرة والوجوه السافرة وحسنات الدنيا والآخرة وجاهدوا حتى تكون كلمة الله هي العليا ويكون لكم نظم حاشيتي الدين والدنيا وبيوء البغاة المتلاعبون بحرم الله المقدسة وحرماته بالذل والمهين والاجانب الذين قر استنصروهم بالخراب المبين وحتى تدخلوا

لم يجد فيها هو ايسر مجازاً فاذا بالشريف حفي بن عون هو نفسه
 يواطى العدو على الحجاز ويجادل انه يجعل بيت أمه الحرام و قبلة الاسلام
 و مرقد الرسول عليه الصلوة والسلام تحت حماية دولة مسيحية
 محاربة للدولة العلية باذلة قصارى جهدها في اذلال جميع الملة
 ايسودية وجميع ما يمونه به الشريف المشار اليه تبريراً لخروجه على الدولة
 و تخريباً لقضية ضربة المسلمين بعضهم بعضاً لا يفيد شياً امام الله
 الذي يعلم الصائر و امام رسول الله الذي شرعه مثل الشحن ظاهر
 ولا امام امة الاسودية التي تعلم الاكلير و ما يصنعون و ما فعله ^{مثلاً} كما
 يدعيه او كما قال الله تعالى (يجوزونه من بعد ما عقولهم وهم يعلمون)
 ولن يغلب الشريف حين حقيقة ولن يخفى واقعاً ولن يقع
 احداً انه يقدر ان يكون ايسراً مستقلاً بنفسه وان يخاصم الدولة
 العتانية فضلاً عن ان يجي شؤون الاسلام و يدعي [وتتخير له لانيه
 بمخبره عن طاعة للدولة التي تحبه حتى لنفسه الكفاية اللازمة
 لحمايته فوديه له اذا حتى يتمكن من مناصبة دولة عظيمة كالدولة
 العتانية من ان ينضوي تحت جناح دولة اجنبية عظيمة وهذا
 ما فعله الان باتفاقه مع دولة اكلترة التي تحمعه وتبرين له
 امانه و تخبره من كطاعة الدولة التي تحبه حتى اذا تمكنت من
 ايام لا قدر الله كان ماله معاً كمال خديوقه هر و سلطان
 زنجبار و امير الحج و امراء الهند و سائر الحكومات الاسودية التي
 وقعت في حياثي الاكلير ومن راي العبرة في غفه فليقتبر وكان على
 الشريف حين قبل ان يجعل الضغام صيداً لباريه ان يفكر ان اكلترة
 لا تمد بضعه الاكلير نحن بربيه وانرا حتى ادخلت اصعرا في الحجاز
 لم تبرح تمكن شائفاً حتى تصفيه وتحمه بغيره ما اخذته
 اختلافاً فليسال اولئك الامراء الذين قصصوه وليتصفح تلك
 المعاهدات التي امضت اكلترة معهم ومع غيرهم يعلم كيف صاروا به
 الوجود الى العدم وكيف عادوا قارعين سن الدم ومها غالط الشريف
 حين في كونه لا يتطرق الحجاز لجند مسيحية واما تحمة اكلترة بجند
 مسلمين فان الجند الذي ياتي من قبل الاكلير مسلمين كانوا او نصارى
 فما داموا عاديين دولة مسيحية متقاتلين في صفوفها فتفيلين لسيوفها
 يحاربون ابرها اياً كان حتى ابنا دينهم كما لا يخفى فلم يبق فرق بين المسلم

احدى صفحات بيان الشريف علي حيدر

المسجد الحرام قريبا ان شاء الله امنين محلقيين رؤوسكم ومقصرين فلا يفرركم بغي اهل البغي
وفساد اهل الفساد ولا يهولنكم تمردهم وتقلبهم في البلاد فان العاقبة للمتقين (ان الالين يحادون
الله ورسوله اولئك في الالين كتب الله لاغلبن انا ورسولي ان الله قوي عزيز) والله يكتبكم في خيرة
جنده ويويدكم تعالى بنصر من عنده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الشريف علي حيدر

Signe: Cherif Ali Haidar 1224 / 10 في شوال

Cachet (en turc): Emirats de la Mecque

العلاقات الجزائرية - الفرنسية على ضوء رسالة من شريف مكة وأميرها الحسين بن علي الى رئيس الجمهورية الفرنسية ريمون بوانكيري *

اثرنا في الدراسة السابقة كل عناصر ملف الصراع العربي - الاتحادي الفكري والقومي والديني ومدى عمق التصدع الذي كان وراء القطيعة بين الفريقين ، وهو الشيء الذي قنن لكل واحد منهما ، استعمال كل الوسائل للإطاحة بخصمه . وقد سجل في هذا الظرف الدقيق اتفاق شمولي لزعماء الحركات القومية العربية على وضع ميثاق يتضمن الشروط الأساسية للقيام بالثورة ضد الاتحاديين بزعامة الشريف حسين وعلان استقلال البلاد العربية عن الدولة العثمانية (1) . وعليه قام الشريف حسين امير مكة والحجاز باعلان الثورة بتاريخ 10 جوان 1916 على الدولة العثمانية باسم جميع العرب الاسيويين من أجل تحقيق استقلال البلاد العربية (2) وعلان نفسه ملكا عليها (3) . وكان القصد الاساسي من ذلك هو العمل على إفشال مخطط الجهاد المقدس (4) الذي نادى بها الاتحاديون قصد اثاره الرأي العام الإسلامي (5) في كلا الامبراطوريتين الفرنسية والبريطانية

* كان ذلك قبل اثني عشر سنة عندما انتقلت بالرحوم محمد الصالح مزالي ، الوزير الاكبر في اواخر عهد الحماية الفرنسية على تونس ، وحيث كتبت بحكم المجاورة ازوره من حين لآخر لاستزيد من معرفته الواسعة بالبلاد وبرجالاتها ، وبطبيعة النظام الإداري للحماية التي خبرها من موقع اطل سلطة فيها . ولقد شدني ان الرحوم ثقافته الواسعة ودكانه العاد ورؤيته القدرية للانسان وقبوله لمسيرته بكثير من الكرامة والسمو والنبل . وكان رحمه من حين لآخر يحدثني عن الصلح خير الدين وابنه الطاهر الذي كان كاتب سره ، عندما كان وزيرا للعدل ، وكيف آلت اليه كل رطل الصلح الكبير . وهي الوثائق الاصلية التي شرفني بايادها لدي . لتكون في مامن من الضياع . وفاء ، منه لروح مصلحنا الكبير . على انه في احدى هذه الزيارات الودية ، سلمني الرحوم نسخة من رسالة من الشريف حسين بن علي ، امير مكة الى رئيس الجمهورية الفرنسية ريمون بوانكيري وهي نسخة فتوغرافية ولم يعدني الرحوم بأي معلومات عن كيفية حصوله من الوثيقة ولا من الظروف التي حفت بذلك . الا انه اثار اجرائنا بعض التحريات في ارشيف الخارجية الفرنسية . ثمنا على الرسالة الاصلية المحررة العربية ونص ترجمتها الى اللغة الفرنسية من طرف الادارة الفرنسية . نعيد اليوم نشر هذه الرسالة مع تعليقنا عليها .

نشرت هذه الدراسة بادئ الامر في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية . عدد 3-4 . ص 41-48 . سيوردي - زهران 1991 .

(1) د. خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق بين 1918 - 1920 . ص 28 . مطبوعات دار المعارف . القاهرة 1971 .

(2) سليمان موسى : المنشور الاول للثورة العربية الكبرى وتوزيعه في شمال افريقيا في المجلة التاريخية المغربية . عدد 7 - 8 . ص 106 . تونس 1977 .

(3) يوسف الحكيم . سورية والعهد الفيصلي ، ص 13 ، منشورات دار النهار . الطبعة الثانية ، بيروت . 1980 .

(4) د. خيرية قاسمية . نفس المصدر . ص 30 .

(5) Charle Robert Ageron , Les Algériens Musulmans et la France, 1871-1919, t 2, pp. 1174-1175.

وهذا لعلمهم مسبقا ان سمعة فرنسا كانت سيئة جدا ، نتيجة سياستها القمعية في كل من تونس والجزائر والمغرب الأقصى ، خلافا لسمعة بريطانيا (6) . ولا شك ان المحادثات السرية التي اجراها الشريف حسين مع البريطانيين من خلال ما عرف بمحادثات الشريف حسين-مكماهين ، ترجمت عن مخطط سياسي ، بريطاني بادئ الامر ثم بريطاني-فرنسي لاحتواء المنطقة العربية برمتها بعد ذلك ، وتشجيع المعارضة العربية ، كل المعارضة ، ضد الاتحاديين الذين انساقوا وايدوا المانيا . ونظرا للخبرة السياسية البريطانية بالمنطقة ، فقد نجحت تماما في جر القيادة العربية اليها في الحرب مقابل منحها وعودا بالاستقلال . وهذا ما جعل الزعامة العربية يومئذ ، تسعى الى كسب فرنسا الى جانب هذا المشروع الغائب-الحاضر في ذهن ومشاعر ووجدان العربي وهو المشروع المتمثل في الوحدة العربية (7) .

ولا شك ان فرنسا كانت تتابع باهتمام بالغ ودقيق المسرح السياسي الشامي خاصة والمشرقي عامة ؛ بل أنها بحكم هيمنتها على الجزء الغربي من العالم الاسلامي وطموحها المتزايد في احتواء بلاد الشام ، قامت بكل المساعي لاحتضان المعارضة الفكرية العربية ضد الاتراك ، وهي المعارضة التي نظمت مؤتمرات هامين بباريس ، ونشطت من خلال نشرها العديد من الصحف والكتب ، وهو الامر الذي أزعج كثيرا السلطات العثمانية يومئذ وجعلتها تتبنى كل المواقف لواء الحركة العربية المعارضة . بل أن الدعاية الفرنسية كانت تعتبر العثمانيين مسلمين سيئين وهم قساة (8) ، وان وجب تأييد حقوق الشريف حسين الذي انتزع منه العثمانيون حقوق الخلافة الإسلامية الشريفة وتقديم الدعم واصباح الصفة العربية على الثورة ، دون الإنسياق وراء دعم بروز تيار الخلافة الإسلامية في العرب انفسهم (9) . وهذا ما سيشكل خطرا لاستراتيجية أمن فرنسا في المغرب العربي برمته ، خاصة وأن الحاكم الفرنسي بالمغرب الأقصى المرشال ليوتي (Lyautey) ، كان قد تبنى منح مبدأ الخلافة الإسلامية لملك المغرب (10) .

ومن هذا المنطلق ، بدأت تتضح ملامح السياسة الفرنسية للعمل على جلب الرأي العام المغربي للشريف حسين في ثورته ضد الاتحاديين ، وتأييد حركته الاستقلالية العربية من خلال اقتراح

(6) مصطفى طلاس . الثورة العربية الكبرى . ص 149 . منشورات مؤسسة طلاس . دمشق (بدون تاريخ) .

(7) كتبت عشرات الكتب ومئات الدراسات حول هذا الموضوع ولا سبيل الى استعراضها هنا .

(8) Gilbert Meynier, L'Algérie réveillée, La guerre de 1914-1918 et le premier quart du XXe siècle, p. 536. Publications Librairie Droze Geneva, 1981.

(9) المصدر نفسه .

(10) المصدر نفسه . ص 537 .

السلط البريطانية على الشريف حسين ، تعميم توزيع منشوره الأول للثورة ، على القيادات الدينية بالمغرب العربي وافريقيا الخاضعين للنفوذ الفرنسي . وقد وفرت السلط الفرنسية ثلاث قوائم بالشخصيات المرموقة (11) وحيث طلب المعتمد البريطاني ولسون بالحجاز ، من الشريف ارسال نسخ من منشوره : 'الى زعماء شمال افريقيا' (12) وهو الطلب الذي تقدم به وطالب بتحقيقه الجنرال جلبرت كلايتون ، مدير الاستخبارات البريطانية بمصر ، باعتبار انه من غير المناسب ان تقوم حكومات مسيحية بتوزيع هذا المنشور الشريف رسمي على الشخصيات الاسلامية المرموقة . ومع هذا فان القيادات الوطنية المغاربية على الرغم من عدم اطلاعها على خلفيات الملف المشرقي بكل تفاصيله ووقائعه الخطيرة ، فقد اتخذت منه موقفا مبدئيا تمثل في معارضتها العمل على تصدع الجبهة الإسلامية ، وهذا ما جعلها تعارض موقف الشريف حسين بل اعتبرته طعنة في ظهر الدولة العثمانية(13) .

ولتأكيد هذا التوجه السياسي الفرنسي ، قامت الحكومة الفرنسية بتوظيف موسم الحج لسنة 1916 ، عندما وجهت بعثة يديرها العقيد بريمن (Bremond) والقاضي الشريف وقد قام هذا الاخير بمقالة الشريف حسين . ومن جهة اخرى كانت السلطة الفرنسية تسعى باقتراح من ليوتي توفير حبس على شكل نزل بجدة يخصص للحجاج المغاربيين ، الهدف الحقيقي منه هو حسن مراقبة جميع الحجاج الخاضعين للسلطة الفرنسية . وقد عهدت بهذه المهمة الدينية الى رئيس الوفد السيد عبد القادر بن غبريط ، احد الموظفين السامين بالجزائر وهو تابع للحكومة الشريفة المغربية . وقد ضم الوفد يومئذ 660 شخصية (14) .

وبالفعل حمل رئيس الوفد السيد عبد القادر بن غبريط رسالة باسم رئيس الجمهورية الفرنسية ريمون بوانكري الى الشريف حسين . وهي المناسبة التي اتاحت لأمير مكة والحجاز توظيفها لتحرير رد على رسالة رئيس الجمهورية الفرنسي بتاريخ 14/12/1916 ، ان الرد الذي نشره

(11) سليمان موسى ، نفس المصدر . ص 106 اثبت اسما . 49 شخصية .

(12) المصدر نفسه .

(13) Ali Mahjoubi, Les origines du Mouvement National en Tunisie, 1904-1934, pp. 195-196, Tunis, 1982.

Ageron, op.cit., 1871-1919, t. 2, pp. 1174-1175.

راجع ايضاً بالنسبة لموقف الجزائريين :

وحيث نثار المؤنذ المناسمي التي قام بها الاتحاديون والامان بالاستعانة بالمهاجرين المغاربيين ، هي اشارة الخلال والاضطرابات للفرنسيين واستماتة الرأي اعدام الإسلامى بالمغرب العربي الى جانبهم .

Giibert Meynier, op.cit., p. 539.

(14)

اعتزفت الحكومة البريطانية من هذا العدد واعتبرته مخالفا لروح اتفاقية سايبكسيكو التي تمنع مثل هذه انتظارات من كلا الطرفين .

اسفل هذه الدراسة اذ هو يترجم عن اهم الثوابت السياسية التي كانت وراء تحرك الطرفين العربي والفرنسي على حد سواء . وقد استمرت نتيجة لذلك ، توارد الوفود المغاربية على الشريف حسين ، حيث استقبل هذا الاخير سنة 1917 ، وفدا من العجيج ضم فقط هذه المرة 92 شخصية برئاسة مصطفى الشرشال (15) والتي حرصت فرنسا على ايفاده ، لتأكيد عطفها الظاهر للمطالب الشرعية باستقلال العرب وسعيها لتحقيق ذلك .

ان نص رسالة الشريف حسين الى رئيس الجمهورية الفرنسية من خلال قراءة معمقة يفيدنا في اكثر من موقع تاريخي :

- فقد القى الاضواء على الثوابت السياسية التي كانت تحرك الطرفين العربي والفرنسي . فالشريف حسين سعى الى كسب تأييد فرنسا اولا في انتفاضته ضد الاتحاديين ، وبالتالي ضد هيمنة الدولة العثمانية على مصيرية العرب . وثانيا على حرص الشريف حسين لتتويج حركته السياسية باعلان الدولة العربية المستقلة الكبرى ثم وعرضه التعاون مع فرنسا لاقامة علاقات سياسية ، ودية وتجارية معها .

- ان فرنسا كانت حريصة على توسيع وتثبيت قاعدة مؤيديها من النخبة الإسلامية الدينية والسياسية بالساحة ، ليس فقط المغاربية والإفريقية ، بل ايضا والمشرقية لتمكن على اثرها في تحقيق احتوائها السياسي لبلاد الشام باقل الخسائر.

- ان الشريف حسين شانه في ذلك شان بقية الزعماء العرب بالمشرق العربي ، سياسيين كانوا أم رجال فكر وادب ، يجهلون تماما الاوضاع الحقيقية السيئة التي كان عليها المغرب العربي وعلى جميع المستويات ، وهذا نتيجة النظام القمعي الذي سلطته فرنسا على شعوبها . بل على العكس من ذلك ، ترجمت هذه الرسالة عن تقدير الشريف حسين : " لما قامت به فرنسا من المساعي المشكورة والأعمال المبرورة نحو الإسلام والمسلمين " (16) ، وان الوفد الاسلامي الذي ارسلته فرنسا ساهم في تبييض هذه الصورة بحمله : " آيات الثناء على حكومته الفخيمة وما لها من الايادي البيضاء على البلاد المغربية من جلب الخير لها ونشر لواء العدل في ربوعها ، وذلك مما ضاعف اعجابنا بتلك الامة الراقية النجبية وحكومتها السامية المعظمة " (17).

- أن الشريف حسين اخبر في هذه الرسالة بأن العالم عبد القادر غبريط ، قد حظي بعناية

(15) وليد العلم : سورية 1916 - 1946 . ص 67 . منشورات طلاس . دمشق 1988 .

G. Meynier, op.cit., p. 539

راجع ايضا :

(16) راجع نص الرسالة اسفله .

(17) المصدر نفسه .

وعطفه وانه قدم له كل التسهيلات اللازمة للعثور على دار لإقامة الحجيج المغاربة او كما جاء في رسالته بالحرف : "الدار المناسبة لفقراء حجاج المغرب وأن الشريف يدعو فرنسا الى تقديم دعمها ومساعدتها .. (الودية) "تعضيد نهضتها المنبعثة من مبدأ الدفاع عن الحق والكيان الإسلامي .." (18) بل أن الشريف لا يشك لحظة في ان فرنسا ستكون من "خير الاعوان لهذه المملكة العربية الجديدة" وسوف تساعده ... في استخلاص سائر اقسام البلاد العربية التي لم تزل الى الآن تحت اشغال العدو المشترك .. وهي دعوة واضحة للعمل على توسيع قاعدة هذه الدولة العربية لتشمل جغرافيا ، سائر البلاد العربية المشرقة ، من بلاد الشام الى شبه الجزيرة العربية .

- أن الشريف حسين عبر عن مدى حرصه الشديد للتعاون المشترك مع فرنسا وأن مملكته الجديدة سوف تكون مع "حلفائها العظام" على طريق الود الدائم وتبادل المنافع المشتركة ، معربا عن الأمل ان يجعل "النصر حليفة جيوش حلفائنا المظفرين لتتأيد بهم المدنية والحقوق الانسانية" (19) . ان هذه الرسالة لم تغد الشريف حسين في قليل او كثير ، بل انها افادت السلطات الفرنسية بالمغرب العربي ، وحيث عملت على تعميم محتواها على القيادات الدينية الادارية على اختلاف مواقعهم وأماكنهم ، وهذا ما كان له من جهة اخرى ، أثره الواضح على ظهور تيار معارضة الشريف حسين في مخططة للقضاء على الدولة العثمانية .

* * *

تلك هي أهم الثوابت التي بدت لنا أهميتها من هذه الرسالة التي تنشر نصها العربي أسفله ، مؤملين ان نكون قد القينا بعض الاضواء على هذه الفترة الحرجة جدا من تاريخ العلاقات العربية-العثمانية والتي مازالت تحتاج الى تظافر جميع الجهود لدراستها دراسة علمية وموثقة .

(18) المصدر نفسه .

(19) المصدر نفسه .

رسالة من الحسين بن علي شريف مكة المكرمة وأميرها
الى حضرة صاحب الحشمة المسيو ريمون بوانكري رئيس الجمهورية الفرنسية
حشمة الرئيس المحترم والصديق العظيم

احمد اليك الله ذا النعمة والطول واصلي واسلم على انبيائه المصطفين الاخيار . أما بعد
فاني اهديكم سلاما يعطر الأرجاء واقربكم تحية الصداقة والولاء على ما أبدىتموه لهذا الجانب من
الحبة الثمينة عندنا والمودة التي أوجبت شكرنا . وقد وصل الينا برسومكم الكريم ، فاذكرنا للامة
الفرنسية العظيمة في الحديث والقديم من المساعي المشكورة والأعمال المبرورة نحو الإسلام
والمسلمين . وقد زادنا علما يقينا ما حمله الينا الوفد الاسلامي الفرنسي المحترم من آيات الثناء
على حكومته الفخيمة وما لها من الايادي البيضاء على البلاد المغربية في جلب الخير لها ونشر لواء
العدل في ربوعها . وذلك مما ضاعف اعجابنا بتلك الامة الراقية النجيبة وحكومتها السامية
المعظمة . واننا بهذه المناسبة نثني على حضرة رئيس الوفد السيد عبد القادر بن غبريط وزملائه
النبلاء الثناء الحسن لما رأيناه فيهم من آيات الكمال وجليل الخصال حتى تمثلت لنا فيهم نياتكم
الحسنة وخطتكم القومية . وقد قدم لنا حضرة الرئيس المشار اليه جناب القوماندار الشريف
ورفقاه العسكريين فقابلناه بغاية التكرم والمودة وأبقيناه لدينا وسنمنحه الرتبة والمقام اللائقين
بجنابه . واننا بدلنا يد المعاونة لحضرة العالم الفاضل السيد عبد القادر رئيس الوفد المشار اليه
في البحث عن الدار المناسبة لفقراء حجاج المغرب وبفضل الله تعالى تحصل على ذلك بحسن سعيه
وثبات حشمتكم . وان املنا وطيد باصالتكم وحسن مقاصد حكومتكم الجليلة بأنها ستبدل كل ما في
وسعها من المساعي الودية لتعضيد نهضتها المنبعثة من مبدأ الدفاع عن الحق والكيان الإسلامي .
ولا ريب عندنا في أن الجناب المحتشم والامة الفرنسية وحكومتها المبجلة ستكون من خير الاعوان
لهذه المملكة العربية الجديدة التي ستصادف بحكم الطبيعة العقبات التي لا تخفى على حشمتكم في
سبيل استخلاص سائر اقسام البلاد العربية التي لم تزل الى الآن تحت أشغال العدو المشترك .
وبالطبع ان هذه المملكة ستكون مع حلفائها العظام على طريق الودّ الدائم وتبادل المنافع المشتركة
التي تؤمل من لطف الله تعالى استمرارها مدى الدهور بحسن مساعي أممها . هذا وقد شاهد
وفدكم الكريم ما صادفه من الحجاج في هذه السنة من الراحة والأمن اثناء تأديهم فريضة الحج
وان رجاءنا بالله تعالى عظيم ، في أن يسهل لكافة المسلمين ما فيه الخير والسعادة بظل دولهم
الفخيمة وذلك ما تؤمله في عدالتهم وارتقائهم المدني . وأن في عزم حكومتنا وأمتنا بذل كل ما في
الوسع واتخاذ كل ما يمكن من الوسائل لتسهيل طريق الحج وأسبابه لعامة المسلمين . واننا والله المتأ
قد أزلنا من عامنا هذا لحل الضرائر التي كانت تتال الحجاج على اختلاف بلادهم واجناسهم .

كما اتنا رفعنا ما كانت تجيبه منهم الحكومة السابقة من الضرائب الغير القانونية . وانا بارادة الله تعالى سنتوسل بكل ما يمكن لتأمين الصحة العمومية واستمرار رفاهية عامة للمسلمين الذين يقصدون هذه الانحاء المباركة . وارجو الله سبحانه وتعالى في الختام ان يتولانا واياكم بعين العناية ويجعل النصر حليف جيوش حلفائنا المظفرين لتأييد بهم المدنية والحقوق الإنسانية . كما اني اتقنى لعشمة الرئيس المعظم دوام الصحة والسعادة ولحكومته الفخيمة وامته النجيبة استمرار الرقي والنجاح في كل الاصل امين .

حزب بمكة المكرمة في 16 ذي الحجة عام 1334

شريف مكة المكرمة واميرها

حسن بن علي

من الحسين بن علي
شريف مكة المكرمة واخبرها
ال حفزة صاحب الحشمة للسيو ريمون بوالخماره
رئيس الجمهورية الفرنسية

عشمة الرئيس المحترم والمصدق العظيم

احمد عليكم الله ذا النعمة والفضل واحسن واسم جدي نبينا المصطفى الاخبار . انا بعد فاني اهدىكم سلاما يعطى فارجوا
ذاقكم تحية الصداقة والولاء على ما ابدتتموه لهذا الجانب من المحبة الثمينة عندنا والوفاء التي اوجبت شكرنا . وقد وصل
اليامر سوكم الكريم . فاذكرنا ما ساءت الفرنسية العظيمة في الحديث والقيم من السامى المشكورة والاعمال المبرورة نحو سلام
السلمين . وقد زادنا بدمعنا وبقينا ما حذرتنا الالفه الاسلامي الفرنسي المحترم من آيات لنا على حكومته النجيبه وما
لا من الأيادي التي لييقا على البلاد المغربية في حب الخير لا . وشركوا العدل في روعنا . وذلك ما ضاقت اعجابنا بقوت
الأمه الرافقه النجيبه وحكومتها الساميه المعظمة . وانا بمحبه المناسبة ثني على حفزة رئيس الوفا السنية عبد القادر بن خمرلا
ازملائه جنابا . اننا احسن الى ابناءه فيهم من آيات الكمال وحيل الخصال حتى تفتت فيهم نيلكم استن وفضلكم الهرة .
وقد تقم من حفزة الرئيس الشار اليه جناب القوامه المشرقية تاضي ورفاهه العكبريين فقاينه بغايه الكرم والوفاء والنجيبه
لدا وسنحضر الزمة والتمام اللاتيين بيننا . وانا بنينا به المعاندة الحفزة العالم العاضل السند مقاور رئيس الوفا في

في اجتهاد من هذا القبيل انما سببه لفقراء مجروح الغرب وفضل استحقاقه يتحقق على ذلك بحسن سعيه ونيات وحسنكم ، وان كان
 موطنه كما قالكم وحسن مقاصد حكمكم كالمدينة ، بانما سببنا لكل ما في وسعنا من التماسي الودية لتعريفه تحفظنا للقبضة من
 عبء الدفاع عن الحق والكيان الاسلامي ، ولا يجب علينا في ان اجاب التمسك والامة الفرنسية وحكومتها المجدولة لتكون
 من خيرها وان هذه المملكة العربية الحديثة التي استعادت بحكم الطبيعة العفائية التي لا تخفى عن حشمتكم في سبيل استجواب
 سائر اقسام البقاء العربية التي لم تنزل الى الان تحت اشغال الهدنة المشتركة . وبالطبع ان هذه المملكة ستكون
 بين حضانة العظام على طريق الوداد انتم وتبادل النافع للشيعة التي تؤمن من لطف الله تعالى استمرها مدى الدهور
 بحسن مساعيكم . هذا وقد شاهدكم الكرم عاقبة استجواب في هذه السنة من الراحة والامن انما ياريتهم فربما
 وان جاروا ، بعد تعالي عليكم في ان يستحل لكم ما في الجاهل والسعادة بخلق دولهم العجينة وذلك ما توعد في عدالتهن
 وارتقاء كفن الدين . وان في عزنا ونزوم حكومتنا ، وانما نزل كل ما في الواسع واتخاذ كل ما يمكن من الوسائل لتحسين طرقاتها والسماح
 لعامة المسلمين . وبالطبع وبما نتمنى قد . ما عايننا هذا في بعض المرات التي كانت تمال استجواب على خضوع بلادكم واحسانكم . كما اننا
 رفقا بالآيات نحبهم منهم الحكومة بل بقية من ثمة الرب الغير القانونية . وانا بدارة الله تعالى سنتوسل ببلن ما يمكن من ايدى العزة
 العربية واستمرار راحة عامة المسلمين الذين يقصدون هذه الاقوال المباركة . وارجوا الله سبحانه وتعالى في ان يحام
 ان يتوانا كما ورايكم بعين العناية ويكفي النصر حليف جيش جلفا المظفرين لتنايه بجم الهدية واكتفوق الانشطة
 كما اني اتمنى كشمسة الرئيس المحترم ولم للصحة والسيادة والحكومة العظيمة وامتة العجيبة استمر ارضي وانحاز في كل احوالها

حرره لجنة الكريمة في 16 ذي الحجة عام 1326
 برفقة الكريمة والبرها

رسالة من الشريف حسين بن علي الى ريمون بوانكوبي
 رئيس الجمهورية الفرنسية

العرب والأتراك في إطار الدولة العثمانية

أبهر هنا عن عميق سروري لتحقيق هذا اللقاء بين المؤرخين الأتراك والعرب ، ذلك انه اذا كان مدد كبير من المختصين الغربيين في تاريخ الامبراطورية العثمانية ، قد أنشأوا عددا من الجمعيات التاريخية للعمل على دراسة القسم الاوروبي للدولة العثمانية ، فاننا من جهة اخرى نأسف لفقدان مثل هذه الجمعيات واللقاءات بين المؤرخين العرب والأتراك لدراسة تاريخ الولايات العربية خلال الفترة العثمانية . ما عدا بعض الاستثناءات ، حيث صرف المؤرخون المهتمون بالدولة العثمانية اهتمامهم لغير المنطقة العربية وان المؤرخين الأتراك لم يبدوا الا اهتماما متواضعا جدا لهذا الماضي العثماني للبلاد العربية .

بماذا يفسر هذا الوضع ؟ ان الاسباب كثيرة جدا ، ولا نستطيع هنا ان نطيل الحديث حول هذا الموضوع . غير اننا نلاحظ ان حاجز عدم الثقة والريبة كان قائما بين المؤرخين الأتراك والعرب ، وأن عدم الثقة هاته ، كانت مبنية على عدد من الاحكام العديثة والغير المبررة . فمثلا فترة الاتحاديين قد أدت بنا نحن العرب إلى الاساءة الى اربع قرون من تاريخنا ، في ظل النظام العثماني . وقد تميزت بالتعايش مع العثمانيين ، وأركز هنا على تسمية ذلك بالفترة العثمانية والعثمانيين ، وليس الفترة التركية والأتراك كما يذهب اليه معظم المؤرخين الأتراك اليوم ، ذلك ان كل الاجناس قد ساهمت في حياة الامبراطورية العثمانية . وعلى ضوء ذلك يعتبر كل تركي عثماني والعكس غير صحيح تاريخيا . وبالنتيجة فان التسمية "الفترة التركية" غير سليمة ولا هي صحيحة .

لقد تبيننا نحن العرب دون تحييص او تدقيق نتائج البحث التاريخي الأوروبي عن الدولة العثمانية . وهل من مصلحتنا ان لا تخضع احكامنا لدراسات معمقة وبدون معرفة لبعض الفترات التاريخية ؟ لقد وجب تعديل نظرتنا وفقا لما يتوفر لدينا من معلومات جديدة . وانه اذا دققنا مليا في تاريخ الولايات العربية في إطار الدولة العثمانية ، نلاحظ ان عددا كبيرا من الولاة قد تجاوزوا حدود سلطتهم القانونية ليرتكبوا الفضائع ويمارسوا الظلم والقسوة تجاه الرعايا والأعيان وطلبي الخصوص ضد اعدائهم السياسيين والعسكريين المناوئين لهم ، والذين يتربصون بهم الدوائر . غير انه من جهة اخرى وجب الاعتراف بأن الدولة العثمانية عرفت ايضا فترات اتسمت بالهدوء والأمانة والاشعاع العثماني . وهل يعقل ان نعمت على التاريخ العثماني في الولايات العربية طوال اربعة

(1) تعريب نمى المحاضرة التي القاها باللغة الفرنسية في المؤتمر العربي-التركي الاول والذي عقد بجامعة حجة بانقرة من 18 الى 22 جوان 1979 . وكان شعار المؤتمر : الأتراك والعرب : ماهيا وماهرا ومستقبلا . وقد نشرت في اعمال المؤتمر بانقرة ثم في

الجملة التاريخية المغربية ، عدد 91-94 ، ص .

قرون نتيجة سياسة الاتحاديين خلال عشر سنوات من حكمهم وهم الذين اساموا بحق الى البلاد العربية وذهبوا حتى الى تخطيط تتركها ومسح مقومات تراثها وحضارتها وكانت سياستهم وخيمة العواقب ليس فقط على البلاد العربية بل ايضا على الدولة العثمانية برمتها بتعزيزهم تفكيك اوصالها واثارة النعرة الوطنية لدى بقية الاجناس ، كما كانوا وراء تاليب الرأي العام عليهم في الداخل والخارج .

ان تاريخ الدولة العثمانية قد اتسم بعدم التزامه بقوانين جامدة ومقررة ، بل على العكس من ذلك ، سعى الى احتضان وتشجيع كل الاشخاص الكفاء وسمح لكل الاجناس ان تشارك في حياة وبناء الدولة العثمانية ، وهذا ما يعني مدى المرونة والانفتاح اللذين اتسمت بهما الامبراطورية العثمانية ، في حين اتسمت امبراطوريات اخرى في نفس الفترة ، بالتعصب الاعمى وعدم التسامح والانغلاق الديني المقيت . وكمثال على ذلك ، لندرس الدفاتر المهمة التي واكبت خلفيات السياسة العثمانية طوال النصف الثاني من القرن السادس عشر، فسنلمس مدى وضوح السياسة العثمانية واهدافها ومراميتها من خلال مختلف الفرامين الصادرة عن مركز الخلافة يومئذ وليس الامر متوقفا على دراسة الاوامر الصادرة من الحكام المحليين والذين غالبا ما كانوا غير اترك ، وكثيرا ما وصلوا خلال فترات الاختناق العثماني ، الى الحكم عن طريق القوة والعنف واللاشريعة . ومع هذا بماذا يفسر تولي عدد كبير من الشخصيات الغير التركية اعلى المناصب في الدولة طوال التاريخ العثماني برمته ؟ اليس مثال محمد علي ، والي مصر ، وهو الالباني وخير الدين التونسي ، وهو القوقازي المولد ، اهل الامثلة على ما نذهب اليه ؟ ومع هذا ، مازال عدد من المؤرخين العرب يتحدثون عن استعمار العثمانيين للبلاد العربية وتسفهم ومجازهم ا وهذه ، والحق يقال ، مواقف تتسم بعدم الاطلاع على طبيعة الحكم العثماني وآلياته واهدافه .

ومن جهة اخرى هل نطلق على الحكم العثماني بالبلاد العربية استعمارا او احتلالا؟ للاجابة على هذا السؤال وجب القيام بمقارنة بين النظام العثماني والاوروبي في البلاد العربية ودراسة طبيعة مخلفات الاستعمار الاوروبي ، ليتبين لنا الموقف السليم لذلك .

واذا كانت الامبراطورية العثمانية لها استراتيجية عسكرية بالشرق وهي منطقة ذات اهمية خاصة بالنسبة لتأمين الدفاع وحماية الامبراطورية ، فما هو نفع هذه الامبراطورية المباشر في المغرب العربي ؟ ان بعض الوثائق التي تمكننا من العثور عليها ، تؤكد ان المغاربة كانوا وراء دعوة السلطان العثماني وتدخله العسكري في المغرب لحمايتهم في فترة حرجة جدا في تاريخه ، وقد قدمت هذه المساعدة بسخاء . ومع هذا فان الدولة العثمانية مهما كانت مواقفنا تجاهها ، عرفت فترات اشعاع كان السلطان العثماني فيها يحس بمسؤولياته للدفاع عن كل مسلم ، بقطع النظر عن انتمائه للعائلة العثمانية ام لا ، كما ان حمايته شملت كل من طلبها .

ولم يكن للدولة العثمانية ، في أي فترة كانت من وجودها خلفية تخريبية للشعوب التي انضوت تحت حضارتهم ، إلا أنها قد فرضت نظام ضرائبها الثقيل ووجودها العسكري وما يتمتع به هذا الوجود من مخاطر ومساوئ كانت في بعض الأحيان والحق يقال قاسية جدا . ومع هذا فإن المقارنة بما حدث مثلا في أمريكا اللاتينية نتيجة الاحتلال الإسباني الذي قضى نهائيا وبطريقة منهجية ومنظمة على الحضارات التي اينعت هناك ، وفرض باسم اله الصب والمحبة ، وبطرق الحديد والدم ، الدين المسيحي ، ما أبلغ إذن التسامح والاحترام الذي أظهره العثمانيون للشعوب المنضوية تحت لوائهم . والواقع أن سقوط الامبراطورية العثمانية وانكسارها راجع الى جزء كبير منه الى ذلك التسامح الذي مارسه طوال حياتها ، والامثلة قليلة جدا في التاريخ على مدى الكراهية وشعور الحسد التي تمتعت بها الامبراطورية العثمانية دون غيرها . ذلك انه منذ سقوط القسطنطينية ، لم يفتأ الغرب يعمل على المس منها والقضاء عليها ، اذ وجود هذه الامبراطورية وحياتها يعد اهانة للغرب المسيحي في ذلك العصر، وهذا الأخير لم يتعامل معها ، في عدد من الفترات ، إلا لمصلحته.

ان العمل التقويضي تجاه الامبراطورية العثمانية كان عملا طويل النفس وفي غالب الأحيان شاقا ، وهذا بسبب ذلك التناقض السريع والمذهل الذي عرفته الامبراطورية العثمانية بفضل عدد من الرجال الكفاء حظيت بهم في الظرف المناسب . إلا انه بعد ذلك بقليل ، وعندما فقدت تلك القوة والارادة الخلاقة المتجددة ، بدأت المساعي التخريبية المتفذية بذلك الحقد الديني الخفي والقوي ، والذي ما فتئ الغرب يمارسه ويشيعه ضد العثمانيين المسلمين . وحتملا لا بد أن نعترف ان الحروب الصليبية لم تتوقف حيث الكتب المدرسية التاريخية الغربية ، والتي تعد انصهارا في اعماقها للذاتية الأوروبية ، وهذا ما يجعلنا نقر باستمرارها . وقد تواصل هذا العمل التخريبي بشكل واضح ، ويكفي دلالة على ذلك ، مدى الاشتمزاز والغطرسة والكبرياء التي تتسم بها مراسلات القناصل والسفراء الغربيين خلال القرن التاسع عشر ، لكل ما يتعلق بشؤون الامبراطورية العثمانية .

لقد وجب علينا نحن المؤرخين العرب ، ان لا ننسى ، انه على الرغم من مظالم وتجاوز سلطة الانكشاريين والولاة العثمانيين ، فإن الطابع العربي-الاسلامي والعادات والتقاليد واللغة العربية والثقافة لم تمس او تحارب خلال الفترة العثمانية لتاريخ البلاد العربية برمتها (2) بل واكثر من ذلك ، وعلى الرغم من تنوع وتوالي حكم الدايات والبايات ، لم تكن هناك قطيعة فاصلة ولا حدود مغلقة بين المغرب والمشرق طوال كل الفترة العثمانية من تاريخنا .

(2) بطبيعة الحال وجب استثناء حكم الاتماديين الذين اساءوا جدا الى العرب كما اشرنا الى ذلك قبل قليل وكانوا وراء هذه التسمعات الضخيمة التي اتسمت بها العلاقات العربية التركية في مرحلتها الاخيرة .

ليس كل ما اثرناه دفاعا أعمى عن العثمانيين أو مبالغة مني في تصوير تاريخ الدولة العثمانية خلافا ايض كالثلج⁽³⁾ ، غير انني اذهب الى الاعتقاد ان العمل الذي ينتظرنا نحن المؤرخين العرب والاتراك اليوم وغدا ، لمعرفة أدق للماضي العثماني المشترك ، عمل شاق وضخم .

لا بد ان يفتح كل منا على الآخر ، اذ واجب المؤرخين الاتراك يتمثل في السعي الى التعريف بماضي الدولة العثمانية وابرار مميزاتها والتي هي مثار فخر لكل مؤرخ تركي اليوم . أما واجب المؤرخين العرب ، فيتمثل في العمل على دراسة هذا الماضي العثماني والذي هو ولا شك ، ليس قاتما كما يذهب بعضنا الى ذلك ، وأنه ليس من حقنا ان نتماذى في وصفه تاريخا مظلما مجهول ، بل وجب علينا ، اتراكا وعربا ، ان نعمل معا وتتكاتف ، للقضاء بصورة تدريجية على الريبة وعدم الثقة التي تتسم بها كتاباتنا ومواقفنا ، وأنه اذا لم نعمل لخلق هذا التعاون العملي المستند بشكل جذري وأساسى على ثراء وحيوية ما نملكه من وثائق هامة وخطيرة ما زالت نائمة في رفوف دورنا المتعددة والمبثوثة على كامل الرقعة العربية ولدى الافراد ، فضلا عن المكتبات العامة والخاصة ، فانه سيكون من الصعب ، ان لم يكن مستحيلا ، السعي الى كتابة تاريخ الولايات العربية اثناء الحكم العثماني لها .

ان تاريخ البلاد العربية اثناء الفترة العثمانية لبعض الفترات يحتاج الى اعادته تماما ، وأنه لا يحق لأي باحث ومؤرخ عربي أو تركي ، مستقبلا ، أن يأخذ مسؤولية كتابة فترة معينة من تاريخنا أو اصدار احكام دون ان يستنفذ ويأتي على كل الأدوات الضرورية لبحثه والمتمثلة على الخصوص في وثائق كل البلدان العربية والتركية على حد سواء . لندرس اذن نحن العرب اللغة التركية ، لتدرسوا انتم الاتراك ، اللغة العربية ، لنعمل على تنظيم لقاءات وموائد مستديرة بين المتخصصين للمواضيع المتعلقة أو الشائكة ، لنفتح المجال للروح المنهجية والنقاش الحر البعيد عن الخلفيات والاحقاد ، وبكلمة اخرى لنفتح صدورنا لتقبل النقد البناء واقرار الواقع التاريخي بمزيد من التجرد والنزاهة والموضوعية ، ولنتأكد جميعا ان نتائج ذلك ستكون هامة جدا لتأطير البحث التاريخي مستقبلا ، كما انها ستكون اكثر جدوى من اللقاءات التي تتم اليوم مع المتخصصين للقسم الاوروبي للدولة العثمانية .

لنشجع مؤرخينا وباحثينا ووثائقيينا الشباب اذن على السيطرة على اللغتين العربية والتركية قبل ان يفوت الأوان ، وواجب المؤرخين العرب والاتراك يحتم عليهم التعاون والذي سيؤدي بهم الى خدمة بعضهم البعض حتى نعمل جميعا على فهم وسبر تاريخنا العثماني المشترك الطويل .

(3) وردت هذه الجملة في لسان صديقتنا المؤرخ سليمان موسى في جريدة الراي الأردنية بتاريخ 12/7/1979 . عندما استعرضت العلاقات العربية - التركية من خلال اهم المعاون التي اثرت في مؤتمر انقرة الكبير .

إشكاليات البحث التاريخي العربي عن الولايات العربية إثناء العهد العثماني *

ان اثاره موضوع تاريخ الولايات العربية خلال العهد العثماني وإشكالياته ومستقبل كتابته العلمية ، معناه اثاره المميزات الخاصة للبحث التاريخي منذ خمسينات هذا القرن اي منذ حصول جل البلاد العربية على استقلالها السياسي . وفي مقال كنا قد نشرناه سابقا (1) ، حددنا اهم الجوانب التي عرفها البحث التاريخي عن الولايات العربية اثناء العهد العثماني ، والتي تميزت بها نتيجة العوامل التالية :

...أولا : انه لم يسجل اي حوار علمي بين الجامعيين العرب والأتراك قبل سنة 1979 ، ولا بين رجال الثقافة والأداب من كلا الطرفين . فكلاهما يجهل الآخر ويصر على ذلك . وهذا ما يبرر شعور اللامبالاة ، وفي بعض الاحيان شعور الكراهية التي أبداها كل منها للآخر . واذن كانت القطيعة كاملة وعلى جميع المستويات .

ثانيا : ان كتابات الجامعيين العرب قد أثرت تأثيرا مباشرا على الصورة السلبية التي ظهرت فيها الامبراطورية العثمانية في جل الكتب المدرسية التاريخية في البلاد العربية (2) ، والعكس

* قدمت هذه الدراسة باللغة الفرنسية في المؤتمر العالمي الذي عقده مركز الدراسات والبحوث الدولية التابع لمركز البحث الوطني الفرنسي (C.N.R.S) باريس . وذلك في الفترة ما بين 29 و 31 ماي 1991 حول موضوع : ديناميكية الشرق الاوسط الجديدة ؛ علاقات البلاد العربية الشرقية وتركيا خلال سنة 1990 . واجيد نشرها بتصرف في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، عدد 3 و 4 ، ص 23-30 . سيرمدي 1991 .

(1) د. عبد الجليل التميمي ، واقع ومستقبل الدراسات التاريخية في الولايات العربية اثناء العهد العثماني ، في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، عدد 1 و 2 ، ص 67-71 . سيرمدي - زهران ، 1990 .

(2) Gordon, David C, History and Identity in Arab Text-Books: Four Cases, pp. 1-19, Princeton-Near East Paper, Princeton, 1971.

- د. حبيب وداعة الحسناوي 'الوطن العربي في ظل الحكم العثماني من خلال كتب التاريخ لمرحلة الدراسة الابتدائية بليبيا' في : Studies on Turkish-Arab Relations (S.O.T.A.R) ، عدد 2 ، ص 198-202 . استانبول ، 1987 . منشورات مؤسسة وقف العلاقات التركية العربية استانبول .

- د. رفعت ابو الحاج 'منطلقات نظرية في منهجية التاريخ الليبي اثناء القرن السادس عشر وحتى القرن التاسع عشر' في مجلة البحوث التاريخية ، عدد 1 ، ص 65-83 . منشورات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي . طرابلس ، 1979 .

- د. هني الحافظة . صورة الأتراك في الكتب المدرسية التاريخية بمعاهد التعليم انعام بالأردن في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، عدد 7-8 ، ص 351-356 . منشورات سيرمدي - زهران 1993 .

- د. رشاد الامام 'صورة الدولة العثمانية والأتراك في الكتاب المدرسي التونسي' في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، عدد 7-8 ص 29-62 . منشورات سيرمدي - زهران - أكتوبر 1993 .

صحيح حيث نجد صورة العالم العربي في الكتب المدرسية التاريخية التركية سيئة جدا هي الأخرى (3).

ثالثا : انه منذ استقلال البلاد العربية بالشرق ، كان للخطاب السياسي الذي تبناه الزعماء الوطنيون ، آثاره السلبية على جيل بأكمله من المثقفين والصحفيين العرب . ففي المقدمة التي حررها الرئيس جمال عبد الناصر لكتاب : تركيا والسياسة العربية ، كتب : " ان كل ما نلمسه حتى اليوم من العيوب في العرب افرادا وجماعات ، انما هو اثر من اثار الاستعمار العثماني (كذا) الذي جثم على صدورهم باثقاله البغيضة بضعة قرون . ان مصائب العرب اليوم قد تآتت من نتائج الاستعمار العثماني الذي دام قرونا (كذا) " او قولته الأخرى : " ان الاستعمار العثماني للبلاد العربية كان شرا وان نتائجه نلمسها اليوم على صعيد الشخصية والاخلاق والمشاعر " . وفي الميثاق صرح عبد الناصر عاليا : " ان الشعب المصري يرفض الاستعمار العثماني المقنع باسم الخلافة (4) .

ومن جهة أخرى ، نسج وزير الدفاع السوري الحالي مصطفى طلاس على هذه الوتيرة معبرا عن مشاعره ضد الدولة العثمانية حيث اهدى كتابه : الثورة العربية الكبرى :

" الى الحسين بن علي الذي اطلق الرصاص الأولى في سماء مكة معلنا راية الثورة العربية الكبرى ضد الأتراك الغزاة الذين دنسوا تراثنا الوطني باحتلالهم البغيض ، أقدم هذا الكتاب هسى ان تجد فيه روحه الطاهرة بعض الوفاء والعرفان بالجميل من بعد هذا المجهود الطويل" (5) .

ان هذه الحدة في الخطاب الايديولوجي لرجال السياسة العرب ، قد تركت اثارها على الجزء الأكبر من المؤرخين والكتاب والصحفيين يومئذ ، وهو ما يبرر هذه الاحكام الاعتباطية والغير مدعمة توثيقيا التي ظلت على اكثرية الكتابات التاريخية عن الدولة العثمانية . فالامبراطورية العثمانية قد صورت على انها دولة مهيمنة ومخربة وولاتها كانوا حكاما بسطاء وبدون شخصية والنظام الاداري العثماني ، كان نظاما قمعيا ، اعتمد على الفساد واستغلال الشعوب من خلال الضرائب الغير شرعية ويكفي دلالة على ذلك ، حالة الفلاحين في البلاد العربية . اما المرأة العربية فقد فقدت دورها

.....
.../... د. اكمل الدين احسان اولولو ، قراءة لتاريخ الدولة العثمانية ومطالعاتها بالعالم العربي من خلال كتب التاريخ المدرسية المقررة في مصر خلال 1912-1980 في العدد 1 . Studies on Turkish Arab Relations . ص 85-118 أ . منشورات مؤسسة وقف العلاقات العربية-التركية ، استانبول . 1986 .

Karpat, Kemal "Images of Turks and Arabs in School Books" in, Studies on Turkish-Arab (3) Relations, n.2, pp. 17-19, Istanbul, 1987.

(4) د. اكمل الدين احسان اولولو ، نفس المصدر .

(5) مصطفى طلاس . الثورة العربية الكبرى . ص 664 ، منشورات مؤسسة طلاس ، دمشق بدون تاريخ .

الفعلية في المجتمع ، والنظام العثماني لم يفعل شيئا لوقف تدهورها . كذلك انتشرت في الولايات العربية كل انواع الاوبئة (6) بل واضيف ايضا ان المؤسسات العلمية والاجتماعية والثقافية قد اصابها الوهن والجمود وان الحياة الفكرية قد خمدت تماما (7) ، وهذا ما نتج عنه انغلاق البلاد العربية عن نفسها ، الامر الذي سهل معه التسرب الغربي في الولايات العربية واحتلالها فيما بعد . وانطلاقا من القرن التاسع عشر ، فقدت اللغة العربية مكانتها واشعاعها (8) وان الاتراك شكلوا طبقة عسكرية وارشتراطية ، استغلت الشعب العربي ونهبت ثرواته .

وإذا كان الخطاب السياسي والصحفي لم يثر الا المظاهر السلبية للوجود العثماني في الولايات العربية ، فاننا من جهة اخرى نسجل في الكتب المدرسية التاريخية العربية بعض الاحكام الايجابية للحكم العثماني في الولايات العربية . من ذلك ان السلطة العثمانية في البلاد العربية قد اعادت الوحدة السياسية للعالم العربي وحافظت عليها خلال ثلاثة قرون ، على الرغم من الهجمات الاجنبية . وان هذه السلطة اوقفت التوسع الشيعي ، بل وان العرب كانوا يعتبرون الدولة العثمانية وخليفتها منهم واليهيم ، وان العثمانيين دافعوا عن سلامة المغرب العربي ضد الهجمات الاسبانية خلال القرن السادس عشر . وازاء هذه المواقف المتناقضة والاحكام القطعية ، نتساءل عن سر ذلك؟ لماذا تعممت هذه الصورة القاتمة للدولة العثمانية في البلاد العربية المشرقية (9) بعيد استقلالها السياسي ؟ للجاجة عن هذا التساؤل ، نشبت هنا ثلاثة عوامل رئيسية ، تعتبر في رأينا جوهرية لشرح خلفية ذلك :

أولا : ان التاريخ المعاصر قد نقش في ذاكرة وضمير الشعب السوري خاصة والعربي عموما ، تلك الاحداث الاليمة التي هزت بعمق الطبقة النخبوية الوطنية نتيجة سياسة جمال باشا بولاية الشام والتي ارتكزت على العنف والتهجير للعائلات العربية نحو الاناضول ، وارسال الالاف من الشباب الى السجون بعد مصادرة املاكهم ثم ممارسة احتكار توزيع الأغذية واخيرا تنصيب اعواد المشانق لعدد من المثقفين والقياديين الوطنيين العرب مشاركة ومغاربة على حد سواء ببيروت ودمشق. وقد ولدت كل هذه العوامل رفضا تلقائيا للدولة العثمانية ، نجد اثاره ملموسة على جيل

(6) د. مني الحافظة ، نفس المصدر .

(7) د. رفعت ابو الحاج . آراء عربية من الانحطاط العثماني في القرن السابع عشر . في المجلة الفكرية في الولايات العربية اثناء العهد العثماني . ج 1 و 2 . ص 17-22 . منشورات سيرميدي سزفوان . 1990 .

(8) د. مني الحافظة ، نفس المصدر .

(9) راجع الدراسة السابقة العرب والاتراك في إطار الدولة العثمانية . ص 89-92 .

كامل من الكتاب والسياسيين ورجال الفكر والمؤرخين وحتى الادياء ورجال الفن (10) .

ثانيا : ان مواقف تركيا السياسية في اهم القضايا والملفات العربية كان سلبيا عندما تبنت مواقف سياسية ضد العرب مثل موقفها من المسالة التونسية والجزائرية في مجلس الامن عندما اعترضت عن استقلالهما ، والاعتراف بدولة اسرائيل والمشاركة في الحلف الاطلنطيكي في فترة قد اتسمت بقوة الحركة الوطنية العربية . كل هذه المواقف التركية قد اعطت لرجال السياسة العربية يومئذ ، احقية القيام بحملة اعلامية وصحفية ضد تركيا ، وبالتالي ضد الدولة العثمانية .

ثالثا : اما العامل الثالث فيتمثل في عدم رجوع المؤرخين العرب الى الارشيفات التركية ومصادرها العديدة وهي المتعلقة بتاريخ الولايات العربية ، وهي الارشيفات التي استحال الرجوع اليها قبل سنة 1960 . ونفس هذا الامر بالنسبة لدور الارشيفات العربية التي اهملت هي الاخرى . وهذا ما يبرر ان مجمل الدراسات التاريخية المتداولة في الساحة العربية قبل سنة 1960 ، كانت تلك التي ترجمت عن الدراسات الغربية او تلك التي وظفت الارشيفات الفرنسية والإنجليزية دون سواها ، لكتابة تاريخ الولايات العربية اثناء العهد العثماني (11) .

لقد اثرت كل هذه العوامل مجتمعة لتبرز هذا الرفض العربي العام للتاريخ العثماني ، وكيف ان البلاد العربية كانت في يوم ما جزء منه . والذي زاد الوضعية سوء في هذا التعقيم ، انه لا توجد على صعيد البلاد العربية لقاءات بين المؤرخين العرب المختصين بالعهد العثماني فيما بينهم ، وحتى لو تمت ، وهي نادرة جدا في كثير من الاحيان على هامش تخصصات اخرى ، كان يثار جدال ونقاش حاد جدا حول هذا الموضوع ، استحال معه وجود ارضية تتحدد من خلالها منهجية البحث الهادئ والرصين لتأطير الكتابة عن تاريخ الولايات العربية اثناء العهد العثماني . ومع هذا ، لا بد ان نذكر هنا ببعض المؤرخين الرواد الذين عملوا على توجيه طلابهم الى توظيف المصادر العربية الجديدة ولاعادة تقويم وكتابة تاريخ الولايات العربية اثناء العهد العثماني ، امثال الاستاذ شفيق فربال من جامعة القاهرة والاستاذ عزت عبد الكريم من جامعة عين شمس وهما اللذان كان لهما الفضل الاكبر في تكوين العديد من المؤرخين المصريين المهتمين بالعهد العثماني وبرزوا مدرسة تاريخية مصرية وظفت المنهجية التاريخية في بحوثها ودراساتها واتسمت بالمنهجية والموضوعية .

(10) د. سعد ابودية : الفكر السياسي في فضاء الثورة العربية الكبرى . في المجلة الفكرية في الولايات العربية اثناء العهد العثماني . ج 1 ، 2 . ص 24-44 .

Abou el-Hadj, Rifat "Identité et histoire: leur utilisation sociale dans l'historiographie (11) avec comme annexe; Delanoue, Gilbert" Identité et histoire: une lecture critique, in, Magreb-Machrek, N. 97, pp. 5-27, Paris, 1982.

وخلال سنة 1965 ، اتاحت لي الفرصة لأعمل في دور الأرشيفات باستانبول لأدرك مدى ثراء
وقيمة الوثائق التركية عندما منحت لي رخصة للاطلاع عليها ، وهو الأمر الذي كان وراء شديد
إيماني بحتمية الحوار والتبادل المعرفي وخاصة بين المؤرخين الأتراك والعرب والمؤرخين الدوليين
عامة . ان انشاءنا للمجلة التاريخية المغربية منذ سنة 1974 ، وثانياً المجلة التاريخية
العربية للدراسات العثمانية ، كان الخطوة الأولى نحو تحقيق هذا الهدف . فهاتان المجلتان
المتخصصتان واللذان تصدران عن مركز سيرمدي ، قد منحتا الدراسات العثمانية مكانة متميزة
على الصعيد العربي والدولي . ذلك ان المجلة الأولى قد وفرت في مرحلة أولى نكل المتخصصين
العرب والأتراك منبرا حرا للالتقاء والتحاور ثم لنشر الدراسات والبحوث العلمية بعد ذلك . وانطلاقا
من ذلك سعينا في نطاق اشرافنا على العديد من الرسائل الجامعية في كلية العلوم الانسانية
والاجتماعية لجامعة تونس الأولى، الى توظيف ارسدة الوثائق المحلية في جميع الرسائل التي
نوقشت تحت اشرافنا . فضلا عن ذلك اولينا في بحوثنا الشخصية عناية استثنائية لهذه الاشكالية
التاريخية وان هذه المساعي قد توجت ببروز مدرسة تاريخية عربية واعدة . وانطلاقا من هذه
المعطيات كان من اليسير يومئذ التخطيط لتنظيم المؤتمرات الدولية الدورية التالية ابتداء من سنة
1982 :

- 1 - الولايات العربية ومصادر وثائقها أثناء العهد العثماني (سبتمبر 1982)
(12).
- 2 - الحياة الاقتصادية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني (سبتمبر
1984).
- 3 - الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني (مارس
1986).
- 4 - الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني (مارس 1988)
- 5 - الحياة الادارية والاقليات والقوميات في الولايات العربية أثناء العهد
العثماني (جانفي 1990) (13).
- 6 - المدن والديمقرافيا والبحر الاحمر أثناء العهد العثماني (فيفري 1992).

(12) هذا المؤتمر هو الغاسس الذي تنظمه اللجنة العالمية للدراسات ما قبل العهد العثماني والفترة العثمانية (C.I.E.P.O).

(13) نشرت اصال كل هذه المؤتمرات في خمسة عشر مجلدا بالعربية والفرنسية والانجليزية في نطاق منشورات سيرمدي .

7 - وضعية الدراسات العثمانية في العالم خلال الثلاثين سنة الماضية (في
سبتمبر 1994) .

وقد انشئت اللجنة العربية للدراسات العثمانية في سبتمبر 1982 ، ليتم التنسيق مع سيرمدي بتحقيق تنظيم هذه المؤتمرات العلمية العالمية . لقد سمحت هذه المؤتمرات للمتخصصين على اختلاف مشاربهم وايديولوجياتهم الفكرية والمذهبية ، ان يلتقوا ويتحاوروا ويشارك بعضهم البعض اكتشافاتهم وهمومهم البحثية وطموحاتهم العلمية وأخص بالتنويه هنا اهمية الحوار بين العرب والأتراك ، وحيث تبلور لديهما الإيمان العميق بتأطير كتابة تاريخ الولايات العربية اثناء العهد العثماني على ضوء ارسدة الوثائق الجديدة العثمانية منها والعربية والتي امكن للمؤرخين اليوم الوصول اليها بأقل صعوبة من ذي قبل .

ولا شك ان هذا الأمر سوف يؤثر على نوعية البحث التاريخي من حيث منهجيته وأكاديمته بعيدا عن التعقيم المقصود او الإطراء المضلل . على ان هناك مواضيع تاريخية حساسة ، كان من المستحيل على الأطراف جميعها ، تجنب الوقوع في فخ التيار العاطفي والقومي . الا انني استطيع او أؤكد دون مواربة ، انه لا يوجد اليوم مؤرخ عربي واحد لم يعد يعتقد ويؤمن بحتمية التبادل والتكامل العربي مع المؤرخين الأتراك ، وهذا ما يعد مكسبا هاما وجب الدفاع عنه والمحافظة عليه ضد تارجح الاحداث السياسية صعودا وهبوطا اليوم وغدا على الساحة السياسية المشرقية . من يدري ؟

وفي هذا الإطار ، لا بد ان نذكر انه يوجد اليوم جيل جديد من المؤرخين العرب الشبان الذين استوعبوا منهجية البحث التاريخي ، قد انصرف منذ عقود من الزمن الى تنويع مصادر الوثائق المحلية والدولية لبحوثهم مثل : وثائق الاحباس والفتاوي ودفاتر المحاكم الشرعية ودفاتر التسجيل والضرائب وارشيفات الزوايا وكذلك ارشيفات الخواص . وتكفي نظرة سريعة على الرسائل الجامعية التي نوقشت ببعض الجامعات العربية ، ليتأكد هذا الاتجاه الايجابي الواعد . على ان استعمال الوثائق التركية مازال محتشما جدا ، وتوسيع دائرة المستفيدين منه في المستقبل ، سوف يسمح لنا ولا شك بتأطير اكثر موضوعية لتاريخ الولايات العربية اثناء العهد العثماني . ومع هذا فان نتائج هذا التحول الموقفي ، يلمس اساسا في نوعية المنشورات والبحوث التي صدرت عن مركزنا او عن عدد من المراكز البحثية الأخرى (14) .

كذلك هناك عدد من المبادرات الجديدة قد تبنت لإنشاء وحدات بحثية او جمعيات او مراكز أهلية

(14) ان جزءا من هذه الدراسات العلمية قد نشر بالعربية أولا ثم بالفرنسية والإنكليزية .

او حكومية ، نذكر منها على الخصوص انشاءنا لسيرمدي بتونس (15) ولبنان (16) والموصل (17) والجزائر (18) وبمصر (19) . كما ان هناك عددا من الندوات واللقاءات تخصص اليوم من الفترة العثمانية في البلاد العربية ، وحتى المغرب الأقصى الذي لم يخضع للادارة العثمانية من قريب او بعيد ، عقدت ندوة في شهر افريل 1992 بالتعاون بين كليتي الآداب بالرباط وفاس عن :
المغرب العربي اثناء العهد العثماني .

ومن جهة اخرى ، فانه على الرغم من وجود عدد هام من الباحثين والمؤرخين ، الا انه لا توجد في البلاد العربية لجان بحث مشتركة تعمل بالتظافر مع بعضها البعض . كما لا توجد مراكز وطنية تسعى للتنسيق في هذا المجال . ذلك ان البحث العلمي ينجز وفقا للاهتمامات المحلية والاقليمية للمؤرخين ، وهذا ما يبرز مدى الاهتمام المفرط لدراسة كل اقليم او ولاية على حدة تبعا لخصوصياتها الادارية ومؤسساتها الخاصة ونظامها الاجتماعي والاقتصادي . اما الدراسات التاريخية المقارنة لكل الولايات العربية ، فما زالت تنتظر مؤرخيها . ومع هذا فان دراسة التاريخ الكمي بدأ يجد انصارا له ليس فقط على اساس الاهتمام بالرعايا ، بل ايضا الاهتمام بدور العلماء والطبقة الارستقراطية الدينية او المهنية ودور الاقليات الغير مسلمة في الحياة الاقتصادية للولايات العربية . ويوجد اليوم توجه حاد لدى المؤرخين العرب والقاضي بتعدد دراسات مصادر المعلومات التاريخية والعمل على نشرها وتعميق مجالات البحث فيها وتوزيع اهتماماتها ليس فقط بالنسبة للقرن التاسع عشر الذي حظي باهتمام كبير ومبالغ فيه من طرف المؤرخين ، ولكن ايضا للقرون : السادس والسابع والثامن عشر ، وحيث تعتبر ارصدة معلوماتنا شبه ضعيفة ، ان لم تكن منعدمة في كثير من الاحيان، حول عدد من المسائل الهامة جدا . ونفس هؤلاء المؤرخين ، يسعون من منطلق علمي لدراسة كل صيغ السلطة العثمانية بالولايات العربية ووضع ذلك في اطاره الصحيح . وقد برز هذا التيار لدى معالجة موضوع الصراع العربي-العثماني واستعمال المصطلح التاريخي الموضوعي وابعاد النزعات الوطنية والقومية والعاطفية المشطة والتي اساءت في السابق الى فائية البحث التاريخي العربي منه والتركي على حد سواء . كما سعى هؤلاء المؤرخون الى دراسة التحولات الاقتصادية والاجتماعية والدينية للمجتمع العربي-الاسلامي . وقد ترجم هذا

(15) انشىء بمبادرة شخصية سنة 1985 .

(16) جمعية الدراسات العثمانية ببيروت قد انشئت سنة 1986 وترأسها د. جوزيف ابو نورا .

(17) مركز الدراسات التركية بجامعة الموصل . انشىء سنة 1988 ومديره د. جميل السيار .

(18) جمعية الدراسات العثمانية انشئت سنة 1989 من طرف د. مولاي بلحميسي .

(19) المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي . انشىء سنة 1990 ويديره د. محمد حرب .

النشاط التاريخي عن حيوية واهتمام جديد ومركز وواعد بالنسبة لمستقبل البحث التاريخي عن الولايات العربية .

ولأثناء هذه البحوث ، سعينا من جهتنا الى اقامة قواعد معلومات تاريخية عن الولايات العربية، نهدف من خلالها جمع المعلومات عن الدراسات والبحوث المنشورة منها والمخطوطة ، وبكل اللغات ، لوضع قواعد محددة وفقا للمواضيع التي حظيت بالدراسة ، وهذا في حدود امكانياتنا ووفقا لتعاون الزملاء معنا في هذا المجال . كما اتنا نخطط لوضع دليل المؤرخين العرب المهتمين بالعهد العثماني ، وحيث طالبنا الزملاء بتوفير كل البيانات عن المهتمين بالعهد العثماني ووضع قائمة رسائل الدكتورا والماجستير التي نوقشت او هي تحت الاعداد في الجامعات العربية . الا ان هذا العمل اعترضته العديد من العراقيل الفنية ، ونحن ساعون الى تذليلها .

وفي اطار هذا التقويم السريع لمجالات البحث العلمي عن العلاقات العربية-التركية ، لا بد ان نذكر انجازين اثنين على صعيد تركيا ، تمثل احدهما في مبادرة اخذتها عميدة جامعة حاجتبه بانقرة الدكتوراة امال دغرماجي والتي نظمت انطلاقا من سنة 1979 لقاءات انقرة وطرابلس واليرموك واستانبول . وهذه اللقاءات على الرغم من اكتسائها طابعا غير رسمي ، الا ان نتائجها المباشرة على التطور العلمي بن تركيا والبلاد العربية ، كان محدودا ، ومع هذا فإنها عملت اساسا على مزيد التفاهم من بين المؤرخين العرب والأتراك .

اما المبادرة الثانية فتتعلق بانشاء مؤسسة وقف دراسات العلاقات العربية-التركية منذ سنة 1984 باستانبول ، وهي المؤسسة التي تنشر دورية سنوية بعنوان Studies on Turkish Arab Relations وقد صدر عددها السادس والآخر بهذه التسمية قبل ثلاث سنوات . وقد نظمت المؤسسة عدة ندوات ولقاءات بين المتخصصين العرب والأتراك في عدة مجالات اهمها التاريخ والاقتصاد . الا ان حرب الخليج قد أثرت ولا شك على نشاطها وعلى اشكالية مجالات البحث لديها وعلى فلسفة انشائها ، وهذا ما دفع بالجانب التركي الى تغيير اسم هذه المؤسسة من : مؤسسة وقف العلاقات العربية التركية الى : مؤسسة الشرق الاوسط ودول البلقان ، وهذا ما كان له الاثر السلبي جدا على المناخ العام العربي الذي اعتبر انشاء هذه المؤسسة في سنة 1984 ، وما حف ذلك من دعاية سياسية واعلامية كبيرة جدا ، صفحة جديدة في استراتيجية التحرك التركي تجاه البلاد العربية(20) .

(20) اجرينا حديثا مطولا مع معالي الوزير وحيد خلف اولغلو ، وزير الخارجية التركية الاسبق والذي يعتبر المؤسس والرامي الاول لتأسيس المؤسسة . وقد هربت لمعالي الوزير مؤخرا (في نوفمبر 1993 ببيروت) من الانتهاش الذي ابداه الطرف العربي لتغيير اسم المؤسسة او لا ثم ادخال تموير جذري على اهدافها واستراتيجية تحركها المستقبلي . وقد سمى معالي الوزير الى اقاضي بوجهة نظر الطرف التركي في هذا المسمى . الا اني اعترفت لهباتني غير مقتنع تماما بكل الحجج التي اثارها ومازلت اعتبر تغيير استراتيجية واهداف هذه المؤسسة ٧٠

لا ننسى في اطار هذا التقويم ان نذكر المجهودات النوية والهامة التي انجزتها مراكز
البحوث بأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية .



اذهب الى الاعتقاد انه لمعرفة افضل وانصف للتاريخ العثماني بالولايات العربية ، وجب علينا
جميعا تعزيز تيار التبادل والتكامل الذي برز هذه السنوات الأخيرة بين العالم العربي وتركيا والذي
من شأنه ان يمكننا من أرضية موضوعية لتفاهم نوعي بين الطرفين ، وهذا في محاولة لتحويل
الموروث التاريخي الضخم بين الامتين ، كعامل تجانس وتكامل لمستقبلهما الاقتصادي والثقافي
والجيو-سياسي . وانه على الامة العربية ان تدرك بوعي مطلق ، عظمة وأهمية تركيا اليوم وعلى
الامة التركية ان تدرك هي الأخرى ، أهمية وعظمة العالم العربي ، وذلك هو مصيريهما الجغرافية
والتاريخية والثقافية والاقتصادية والسياسية .

مكتشف أسماء الإعلام والمجموعات *

الأعيان الإداريون العرب ، 18 .	1
أعيان دمشق ، 67 .	ابن اياس ، 25 (ت) .
الإغريق ، 53 .	ابن التفرغري ، 25 (ت)
آكس ، السفير ، 53 (ت) .	ابن خلدون ، 15 . (ت) .
الامان ، 57 . 59 . 60 . 76 .	أبو نهر ، جوزيف ، 99 (ت) .
الامبراطور البيزنطي ، 36 .	الإتحاديون ، 9 (ت) . 19 . 47 . 48 . 50 .
الامة البريطانية ، 73 .	51 . 51 (ت) . 52 . 53 . 55 . 56 . 57 . 58 .
الامة التركية ، 48 .	59 . 60 . 62 . 66 . 67 . 69 (ت) .
الامة العثمانية ، 50 .	71 . 71 . 81 . 82 . 84 . 89 . 90 . 91 (ت) .
الامة العربية ، 15 . 19 . 47 (ت) . 65 . 72 (ت) .	الإتحاديون و الامان ، 83 (ت) .
74 .	الأتراك ، 9 . 9 (ت) . 10 . 11 (ت) . 14 . 16 .
الامتان العربية والتركية ، 21 .	47 47 (ت) . 48 . 49 . 50 . 52 . 53 . 54 .
أمير الحج ، 75 .	60 . 63 (ت) . 82 . 89 . (ت) . 90 . 92 . 93 .
أمراء الهند ، 75 .	93 (ت) . 94 . 95 . 97 . 98 . 100 .
الأمير عبد الله ، 58 .	الأتراك الحنفيون ، 20 .
الأفغاني ، جمال الدين ، 49 (ت) .	الأتراك - العثمانيون ، 13 . 16 . 17 . 57 .
الاناضولي ، 12 (ت) .	59 . 61 .
الإنكشارية ، 15 .	الأتراك الكماليون ، 12 .
الإنكشاريون ، 91 .	أتش ، أحمد ، 23 .
إنالجيك ، خليل ، 20 (ت) .	الأحسني ، العجلاني ، 39 .
الانقليز ، 11 (ت) . 52 . 55 . 56 . 57 . 58 (ت) .	الأرمن ، 50 (ت) . 53 .
61 . 66 . 70 . 75 . 77 .	الأسرة الجليلية ، 18 .
أنيس ، محمد ، 12 .	الأشرفي ، برونديق ، 44 .
أهل الحجاز و أبناء العرب ، 32 .	آل عثمان ، 44 .

* تسهيلات لتوظيف وتاطير شبكة المعلومات المتوفرة ، سعينا إلى إقامة هذا الكشاف ، ووضعنا علامة (ت) إشارة لكل الإحالات في التعاليق .

- اماري غلطة ، 30 .
 اماري لبنان ، 54 . 54 (ت) .
 آرا ، فانهي ، 65 (ت) .
 اورخان . 13 . 25 .
 اوزون ، مصطفى نهاد ، 16 .
 اولاد جلاب . 69 (ت) .
 الإيطاليون . 25 .
 اينال (سلطان مصر) . 29 . 29 . 23 (ت) .
 30 (ت) . 32 . 33 . 37 . 41 .
 ايوب . 28 . 28 (ت) .
- ب
- باش حانبة ، علي ، 58 . 62 (ت) .
 باشي ، منجم ، 16 (ت) .
 باكرمي ، سلطان ، 65 (ت) .
 البردي . 25 (ت) .
 البرسباي الاشرفي ، 33 . 38 .
 البريطانيون . 58 . 60 . 61 . 82 .
 بريمن ، العقيد . 83 .
 البشير بن الحسن ، العروسي ، 71 (ت) .
 البكري ، فوزي ، 63 .
 بلحميسي ، مولاي ، 99 (ت) .
 بلقاسم ، بن الاحرش ، سي محمد ، 70 (ت) .
 بن أحمد بن يوسف ، سي مولاي ، 70 (ت) .
 بن ابراهيم ، بودريعة . 70 (ت) .
 بن ابراهيم ، سي محمد الهاشمي . 69 (ت) .
 بن ابراهيم ، محمد بن مصطفى . 70 (ت) .
 بن أحمد بن غانة ، سي بوعزيز . 69 (ت) .
- بن الحاج أحمد ، سي الحاج بلقاسم . 69 (ت) .
 بن الحاج محمد ، محمد ، 70 (ت) .
 بن حنحيس ، سي محمد ، 70 (ت) .
 بن سي الدين بن حمزة ، سي عبد القادر ، 69 (ت) .
 بن سيدي بن عامر ، سي عميرة . 69 (ت) .
 بن شريف بن الاحرش ، سي محمد ، 70 (ت) .
 بن الشريف بن علي الشريف ، سي أحمد ، 70 (ت) .
 بن شنان ، محمد . 70 (ت) .
 بن الشيخ مختار ، سي محمد الغير . 69 (ت) .
 بن الصديق ، عبد القادر ، 70 (ت) .
 بن الطيب ، محمد ، 70 (ت) .
 بن عبد الجبار ، مصطفى ، 70 (ت) .
 بن عريقان ، محمد ، 60 .
 بن علي ، الحسين ، 86 . 87 . 94 .
 بن علي رضا ، الحسن ، 77 .
 بن غبريط ، عبد القادر . 83 . 86 .
 بن قندورة ، سي محمد ، 69 (ت) .
 بن محمد ، محمد ، 70 (ت) .
 بن محمد ، سي الصحراوي ، 70 (ت) .
 بن المكّي ، عبد القادر ، 70 (ت) .
 بن الميهوب ، سي ميلود . 69 (ت) .
 بنياري ، مانا ، 65 (ت) .
 بن يامينا ، سي بوطيبة ، 70 (ت) .
 بوانكري ، ريمون (رئيس الجمهورية الفرنسية) .
 . 86 . 83 . 71 .
 بو عبد القادر ، بو عمران . 70 (ت) .
 البيزنطيون . 30 .

- بيكو .73 .
- خير الدين التونسي ، 49 (ت) . 81 (ت) . 90 .
- د
- دغرامجي ، امال ، 100 .
- ده دوللي ، فريد ، 16 .
- دودموره ، سلطان ، 65 (ت) .
- دوفرنس (الوزير الفرنسي) ، 59 ، 60 ، 69 ، 72 .
- ر
- الراعي ، سي الطاهر ، 70 (ت) .
- رجب بن الشيخ الحسين ، سي الطاهر ، 69 (ت) .
- الرزقي ، سي محمد ، 69 (ت) .
- رضا ، رشيد ، 50 ، 58 (ت) ، 63 ، 63 (ت) .
- رضا ، عاصم ، 58 (ت) .
- ز
- زابا داس باتي ، 65 (ت) .
- زاده ، طاش كبرى ، 16 (ت) .
- زعماء شمال افريقيا ، 83 .
- الزعماء العرب ، 54 ، 60 ، 61 ، 68 .
- الزهاوي ، جميل صدقي ، 11 (ت) .
- الزيتوني ، محمد ، 31 .
- الزيتوني ، خواجه حاجي محمد ، 40 ، 45 .
- الزيتوني ، زين الدين حاجي محمد ، 43 ، 46 .
- زين العابدين ، فقيه عبد الرحمان ، 65 (ت) .
- س
- الساسبي ، الشيخ الطيب ، 74 .
- سامي ، شمس الدين ، 16 .
- ساندرس ، فون ، 56 .
- سايكس ، 74 .
- ت
- تكوك ، سي أحمد الشريف ، 69 (ت) .
- التيجلتي ، سي محمد ، 69 (ت) .
- ج
- الجبرتي ، 14 (ت) .
- الجزائري ، الأمير عبد القادر ، 69 .
- الجزائري ، سليم بك ، 50 .
- الجزائريون ، 69 (ت) .
- جلالة الملك ، 72 .
- جلبي ، كاتب ، 28 .
- جمال باشا ، 53 ، 54 ، 56 ، 95 .
- الجون تورك ، 63 (ت) .
- ح
- الحجاج المغاربيون ، 83 ، 85 ، 86 .
- الحجازي شريف مكة ، 31 .
- حرب ، محمد ، 99 (ت) .
- حسن رشيد باه ، العاج ميرزا ، 66 .
- الحي ، سي محمد ، 65 (ت) .
- خ
- خديوي مصر ، 76 .
- الخطيب ، محي الدين ، 58 (ت) .
- الخطيب ، فؤاد ، 63 ، 63 (ت) .
- خلاليف ، سي عبد الرحيم ، 65 (ت) .
- خلف أوغلو ، وحيد ، وزير خارجية تركيا ، 100 (ت) .
- خليفة ، حاجي ، 16 (ت) .

- السلطان العثمانيون ، 14 (ت) .
- السلطان . 28 (ت) .
- السلطان الشاب ، 31 (ت) .
- السلطان عبد الحميد الثاني . 49 . 50 .
- السلطان العثماني ، 33 .
- السلطان محمد الخامس . 77 .
- سلطان محمد غازي . 39 .
- سلطان مصر . 24 . 30 . 32 . 34 .
- السيار ، جميل ، 99 (ت) .
- السياسيون العرب ، 11 .
- السيوطي ، نجم الدين ، 32 . 46 .
- ش
- الشيبيبة الإسلامية ، 63 (ت) .
- الشرشال ، مصطفى ، 84 .
- الشريف حسين ، 48 . 49 . 57 . 58 . 58 .
- (ت) . 59 . 60 . 61 . 62 . 63 . 65 .
- (ت) . 66 . 67 . 69 . 70 . 71 . 72 . 73 .
- 74 . 75 . 76 . 77 . 81 . 82 . 83 . 84 .
- 85 . 86 .
- الشريف حسين - مكماهون ، 60 . 61 .
- الشريف ، صالح ، 50 ، 58 .
- الشريف عبد الله ، 71 .
- الشريف عجلان ، 32 .
- الشريف علي حيدر . 80 .
- شريف مكة ، 13 . 23 . 29 . 31 . 32 . 43 .
- شريف مكة و المدينة ، 30 .
- شريف الكعبة ، 44 .
- الشعوب العربية ، 60 .
- شمال افريقيا . 15 (ت) .
- شمس الدين ، اق ، 26 . 28 . 28 (-) .
- شنتوف ، عبد القادر بن عبد الله . 70 (-) .
- الشهنبر ، عبد الرحمن ، 53 .
- شوكت ، محمود . 52 .
- الشيخ الحافي ، 26 .
- ص
- الصحفيون العرب . 12 (ت) .
- ط
- الطاهر (ابن خير الدين) ، 81 (ت) .
- طلاس ، مصطفى ، 94 .
- طلبة البوسنة والهرسك ، 63 .
- طلعت باشا ، 53 (ت) .
- الطلايان . 76 .
- طيران ، الحاج ، 65 (ت) .
- ع
- عائلة عجلان . 30 (ت) .
- عبد الناصر ، جمال ، 20 (ت) . 94 .
- عبد الرحال ، محمد ، 65 (ت) .
- عبد الرحمان بن الشيخ الميسوم ، سي الميسوم .
- 69 (ت) .
- عبد الرحمان ، سلطان . 65 (ت) .
- عبد الكريم ، سي باش طارزي . 69 (ت) .
- عبد الكريم ، عزة ، 96 .
- عبد الله . 72 . 73 .
- عده ، محمد ، 49 (ت) .

- العبيد . 50 (ت) .
عثمان مصطفى ، فاكهيس ، 65 (ت) .
العثمانيون ، 12 . 12 (ت) . 13 . 14 . 15 .
18 . 18 . 16 (ت) . 20 (ت) . 24 . 25 . 25 .
(ت) . 28 . 31 . 31 (ت) . 82 . 89 . 91 . 92 .
95 .
العثمانيون - الأتراك ، 9 . 10 . 15 . 25 (ت) .
26 .
عثمان الثاني بن السلطان أحمد ، 14 .
عدة ، مال الله ، 71 (ت) .
مدحيلة ، شريف . 65 (ت) .
عرب ، حكيم ، 26 .
العرب ، 9 . 9 (ت) ، 10 . 11 . 11 (ت) . 13 .
15 . 16 . 17 . 18 . 19 . 20 . 26 . 27 . 28 .
47 . 47 (ت) . 48 . 49 . 50 . 51 . 52 .
53 . 54 . 56 . 58 (ت) . 60 . 61 . 62 . 68 .
69 . 72 . 74 . 76 . 81 . 84 . 89 . 90 .
91 . 91 (ت) . 92 . 93 . 94 . 95 . 96 .
97 . 98 . 99 . 100 .
العرب الرحل . 13 .
العربي ، علاء الدين . 26 .
العربي ، علي . 26 .
العروسي (شيخ زاوية التيجاني) ، 69 (ت) .
العلماء الأتراك ، 15 .
علماء السلاجقة . 14 .
علماء عثمانيون ، 19 .
العلماء العرب . 14 .
العلماء الغربيون . 15 (ت) .
- العلماء المصريون ، 19 .
غ
غبريط ، عبد القادر ، 84 .
غزبال ، شفيق ، 96 .
الغربيون ، 12 (ت) .
غول ، سي محمد . 70 (ت) .
ف
الفتاح ، محمد (السلطان) ، 13 . 23 . 23 (ت) .
24 . 24 (ت) . 25 . 25 (ت) . 26 . 27 . 28 . 29 .
29 (ت) . 30 . 31 . 32 . 33 . 34 . 35 . 37 (ت) .
41 . 44 .
الفرنسيون . 52 . 55 . 76 . 77 . 83 (ت) .
فريدون بك ، 29 (ت) .
فهمي ، حسن ، 52 .
فيصل . 74 .
فيصل و عبد الله ، 59 .
ق
القابوني ، جلال الدين ، 30 . 37 . 41 .
القابوني الناصري ، يوسف ، 37 .
قاضي ، سي شعيب ، 70 (ت) .
القاضي الشريف ، 83 .
قسطنطين ، 24 (ت) .
القلقي ، محمد . 58 (ت) .
القيادات الوطنية ، 60 .
القيادات الوطنية العربية ، 63 .
القياديون العرب ، 55 .
القوميون العرب ، 11 . 12 (ت) .

ك

كلايتون ، الجنرال جلبرت، 60 . 83 .
كوراني . 29 (ت) .

ل

لنقوشني . 25 .
ليوتي . 69 . 83 .

م

المؤرخون-الأتراك ، 26 .
المؤرخون-العرب . 12 .
المؤرخون المصريون ، 25 (ت) .
ماكماهون ، السر هنري ، 57 .
مالك ، يكهوب ، 65 (ت) .
متولي ، أحمد ، 23 .
مجلس الامم ، 73 .

محمد بن علي ، بوزار ، 70 (ت) .
محمد علي ، 90 .
محي الدين باي ، 67 .
محمد ، مالون ، 65 (ت) .
مراد ، السلطان . 25 .

مزالي ، محمد صالح . 81 (ت) .
المسؤولون العثمانيون . 14 .

المسلمون ، 20 (ت) . 58 . 65 . 66 . 72 . 75 .
76 .
ولسون . 83 .

ي

يشاكويان ، فقيه عبد الله ، 65 (ت) .
اليهود ، 50 (ت) . 53 .
اليونانيون . 50 (ت) .
مسلمو العالم ، 63 .
مسلمو الهند . 68 .
المشاركة . 25 . 95 .
المشارقيون . 15 .

المشارقيون والمغاربيون ، 13 .

المصريون . 96 .

المغاربة . 13 (ت) . 25 . 90 . 95 .

المغاربيون . 15 . 83 (ت) .

ملك اسبانيا (جلاله) ، 54 (ت) .

ملك المغرب . 82 .

المعاليك . 13 . 24 .

منتسكيو . 15 .

المنذوب السامي البريطاني . 67 .

مورقنتو ، السفير . 53 (ت) .

الموريسكيون - الاندلسيون . 25 .

موسى ، سليمان ، 92 .

مولدن ، الشيخ سوفو ، 65 (ت) .

ن

نجار أفندي ، محمد ، 65 (ت) .

نظيما ، علي ، 16 .

ناظم باشا ، 52 (ت) .

النواب العرب ، 50 .

هـ

هامر ، المؤرخ . 15 .

و

الولاية العثمانيون . 12 (ت) . 18 . 91 .
ولسون . 83 .

ي

يشاكويان ، فقيه عبد الله ، 65 (ت) .
اليهود ، 50 (ت) . 53 .
اليونانيون . 50 (ت) .

مَشَاهِدُ الْأَمَاهِي الْجُغْرَافِيَّةِ

1

إيطاليا ، 51 .	أباش ، 65 (ت) .
ب	أبكو ، 71 (ت) .
باريس ، 54 . 54 (ت) 73 .	استانبول ، 23 . 25 . 29 . 31 . 32 . 49 . 50 .
بانكوك ، 66 .	51 . 53 (ت) . 58 . 97 . 100 .
برلين ، 66 .	إسرائيل ، 96 .
برقة ، 51 .	اسكودار ، 40 .
بروسة ، 25 .	آسيا الصغرى ، 57 .
بريطانيا ، 56 . 58 . 59 . 60 . 62 . 72 . 73 .	آسيا الوسطى ، 48 .
82 . 75 . 74 .	الأزهر ، 19 .
بريطانيا العظمى ، 72 .	ألمانيا ، 55 . 56 . 59 . 82 .
بسكرة ، 69 (ت) .	أكس أون بروفنس ، 47 (ت) .
بغداد ، 11 (ت) . 20 (ت) .	إمارة مكة ، 49 . 78 .
بلاد الشام ، 47 . 48 . 51 . 54 . 55 . 56 .	الإمبراطورية العثمانية ، 14 .
58 (ت) . 59 . 61 . 62 . 82 . 84 . 85 .	أمريكا اللاتينية ، 11 . 91 .
البلقان ، 12 (ت) . 50 .	الأمريكيتان ، 11 .
البلاد العربية ، 11 . 12 (ت) . 15 . 24 (ت) .	أم العساكر ، 70 . 70 (ت) .
47 . 48 . 63 (ت) .	أفريقيا ، 62 .
البلاد المغربية ، 86 .	أفريقيا الإستوائية الفرنسية ، 70 .
بلغاريا ، 51 .	أفريقيا الشمالية ، 59 .
البنجاب ، 75 .	أفريقيا الغربية ، 69 .
البندقية ، 35 (ت) .	أفريقيا الوسطى ، 65 .
بورصة ، 13 (ت) .	أناتوليا ، 13 .
بوسعادة ، 69 (ت) .	الأناضول ، 14 . 17 . 55 . 95 .
البوسفور ، 27 .	أواسط أفريقية ، 76 .
البوسنة والهرسك ، 51 . 63 (ت) .	أوروبا ، 10 . 20 (ت) .
بيروت ، 24 (ت) . 54 . 55 . 95 .	إيران ، 62 . 65 .
بيزنطا ، 25 . 27 . 28 .	

خ	ت
الخليج العربي ، 14 . 61 . 100 .	تيارت ، 70 (ت) .
د	تركيا ، 9 . 13 (ت) . 15 . 16 . 20 . 47 (ت) .
دمشق ، 55 . 95 .	53 (ت) . 56 . 60 . 62 . 96 . 100 . 101 .
الدول الأوروبية ، 58 .	لمسان ، 70 (ت) .
دول البلقان . 51 . 52 (ت) . 62 . 100 .	تونس ، 20 (ت) . 59 . 69 . 82 . 97 . 99 .
الدولة العثمانية . 9 . 9 (ت) . 10 . 11 . 13 .	ج
14 (ت) . 17 . 18 . 19 . 51 . 75 .	جدة ، 74 .
الدول العربية ، 11 .	الجزيرة العربية ، 11 . 59 . 62 . 85 .
ذ	جزيرة العرب . 76 .
الرملة ، 24 (ت) .	الجزائر ، 14 . 20 (ت) . 59 . 69 . 81 . 99 .
رأس حسن ، 24 (ت) .	جلفة ، 70 (ت) .
رودوس ، 35 .	الجمهورية الفلسطينية . 53 (ت) .
روسيا . 56 . 72 . 73 .	جناق قلعة . 77 .
ز	جنوز . 35 .
زنجبار . 76 .	جنوة . 35 (ت) .
زاوية أولاد الاخضر ، 70 (ت) .	ح
س	الحجاز ، 32 . 52 (ت) . 57 . 58 . 62 . 63 .
ساحل العاج ، 70 .	63 (ت) . 71 . 72 . 73 . 74 . 75 . 76 . 77 .
سايكس-بيكو . معاهدة . 74 .	81 .
سوريا . 14 . 20 (ت) . 53 . 54 . 62 . 68 .	الحرمان الشريفان ، 14 (ت) . 30 . 33 . 40 . 43 .
سعيدة . 24 (ت) .	77 .
السودان . 70 . 75 . 76 .	الحكومة الدانماركية ، 72 (ت) .
سويسرا . 63 .	حلب . 26 .
السينغال . 69 .	الحلف الأطلسي . 96 .
ش	حمص . 47 (ت) .
الشام ، 9 (ت) . 13 . 17 . 18 . 24 (ت) . 31 .	حوض البحر الابيض المتوسط الشرقي ، 25 .

(ت)

الشرق . 10 .

الشرق الاقصى ، 62 .

الشرق الاوسط ، 48 . 68 . 100 .

شمال افريقيا . 68 (ت) .

هـ

الصومال . 65 . 76 .

الصين . 65 .

ط

طرابلس 24 (ت) . 76 . 100 .

طرابلس الغرب . 51 .

ع

العالم الإسلامي ، 28 . 29 . 50 . 58 . 65 .

العالم التركي . 14 .

العالم العربي ، 18 (ت) . 95 . 101 .

العالم العربي - الإسلامي ، 10 .

العراق . 11 . 17 . 18 . 62 . 73 .

عكا ، 24 (ت) .

عدن ، 70 .

عين شمس . 96 .

عين صفرة ، 70 (ت) .

غ

غانة ، 69 .

الغرب ، 10 . 15 . 25 . 66 . 91 .

غرب البلقان ، 13 .

غزة ، 24 (ت) .

غلطة . 30 (ت) . 36 . 40 .

غورلامي . 65 (ت) .

غينيا الفرنسية ، 71 .

ف

فادا . 65 (ت) .

فارس . 76 .

فرنسا ، 56 . 58 . 59 . 62 . 68 . 71 . 73 .

82 . 84 . 85 .

فلسطين 53 (ت) . 73 .

ق

القافلة المصرية ، 43 .

القاهرة . 14 . 19 . 20 (ت) . 32 . 57 . 58 .

59 . 60 . 61 . 67 . 68 . 68 (ت) . 72 . 96 .

قامورانق . 65 (ت) .

قالقانقا . 65 (ت) .

القسطنطينية ، 13 . 23 . 23 (ت) . 24 . 25 .

(ت) . 26 . 27 . 28 . 29 . 30 . 30 (ت) . 31 .

32 . 33 . 34 . 35 . 35 (ت) . 36 . 38 . 39 .

40 . 42 . 45 . 53 (ت) . 91 .

قسطنطينة . 69 (ت) .

قطلان . 35 .

ك

كريت ، 51 .

الكمبة ، 32 .

ل

لاهاي ، 67 .

لبنان . 99 .

لغواط . 69 (ت) . 70 (ت) .

- ليبيا ، 20 (ت) .
 لندن . 63 . 23 .
- مندشوري . 65 .
- ن
- ناكازاس ، 65 (ت) .
- نجد ، 58 (ت) .
- النمسا . 51 .
- النيجر . 69 .
- هـ
- الهند ، 59 . 61 . 66 . 75 . 76 .
- الهند الفرنسية ، 69 .
- و
- الوطن العربي ، 9 .
- الولايات البلقانية ، 17 .
- ولاية الشام ، 95 .
- الولايات العربية ، 9 . 10 . 12 (ت) . 17 . 18 .
- 19 . 48 . 51 . 52 . 53 . 56 .
- الولايات العربية الآسيوية . 61 .
- الولايات المتحدة ، 53 (ت) .
- وكالة رويتر . 63 .
- وناديك . 35 .
- ي
- اليرموك ، 100 .
- اليمن . 11 . 58 (ت) .
- اليونان . 51 . 65 .
- مادغشقر ، 65 .
- ماسانيا ، 65 (ت) .
- مانا بناري ، 65 (ت) .
- ماو ، 65 (ت) .
- مؤتمر السلام ، 73 .
- مجلس المبعوثان ، 50 . 50 (ت) .
- مدغشقر . 70 .
- المدينة المكرمة ، 31 .
- المشرق ، 10 . 20 . 50 . 57 . 73 . 90 . 91 .
- 94 .
- المشرق العربي ، 10 . 11 . 84 .
- مصر ، 12 . 13 . 14 . 17 . 18 . 23 (ت) . 24 .
- 25 . 29 . 31 (ت) . 32 . 34 . 37 (ت) . 57 .
- 59 . 62 . 63 (ت) . 66 . 68 . 70 . 73 . 75 .
- 76 . 99 .
- المغرب ، 10 . 20 . 82 . 90 . 91 .
- المغرب الأقصى ، 68 . 69 . 76 . 99 .
- المغرب العربي ، 11 . 55 . 66 . 69 . 82 . 83 .
- (ت) . 84 . 85 . 95 .
- مكة (المكرمة) ، 13 . 30 (ت) . 31 . 32 . 39 .
- 40 . 46 . 57 . 67 . 69 . 81 . 94 .
- المدينة المكرمة ، 40 . 69 .
- الموصل . 99 .
- موريتانيا . 69 .

القسم العربي للبيئيوغرافيا *

- د. أبو دية ، سعد ، "الفكر السياسي في قصائد الثورة العربية الكبرى" في : الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني ، ج 1 و 2 ، ص 23-44 . منشورات سيرمدي-زغوان ، 1990 .
- د. أبو دية ، سعد و النعسه ، عبد المجيد مهدي ، مع الحسين بن علي : مبادئ ومواقف ، من خلال الوثائق المنشورة في صحيفة القبلة التي أصدرها المغفور له الحسين بن علي 1916-1924 ، 165 ص عمان ، 1991 .
- د. أبو الحاج ، رفعت ، "آراء عربية عن الإنحطاط في القرن السابع عشر" في : المجلة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني ، ج 1-2 ، ص 17-22 ، منشورات سيرمدي-زغوان ، 1990 .
- د. أبو الحاج ، رفعت ، "منطلقات نظرية في منهجية التاريخ الليبي اثناء القرن السادس عشر وحتى القرن التاسع عشر" في مجلة البحوث التاريخية ، عدد 1 ، ص 65-83 ، منشورات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي ، طرابلس ، 1979 .
- أبي اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج 2 ، 476 ص ، طبعة ثانية ، القاهرة ، 1984 .
- د. احسان اوغلو ، اكمال الدين ، "قراءة لتاريخ الدولة العثمانية و علاقاتها بالعالم العربي من خلال كتب التاريخ المدرسية المقررة في مصر خلال 1912-1980 في : S.O.T.A.R. ، عدد 1 ، ص 101 .
- د. الإمام ، رشاد ، "صورة الدولة العثمانية و الأتراك في الكتاب المدرسي التونسي" في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، عدد 7-8 ، منشورات سيرمدي-زغوان ، 1993 .
- د. انالجيك ، خليل ، "سائقو الجمال العرب في اناطوليا في القرن الخامس عشر" في : الولايات العربية و مصادر وثائقها في العهد العثماني ، ج 3 ، ص 573 ، منشورات المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، 1984 .
- د. أوغلو ، خليل الساحل ، "من سجلات محاكم الشرع في بورصة : مغاربة في تركيا في أواخر القرن الخامس عشر و أوائل القرن السادس عشر" في المجلة التاريخية المغربية ،

* راجع أيضا القسم الاجنبي المكمل لهذه البيئيوغرافيا ، و المنشور في القسم الفرنسي ، ص 85-88 .

عدد 3، ص 47-50 .

- بارتلد ، ف ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، 160 ص ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، 1983 .
- د. حاطوم ، نورالدين ، دمشق في الحرب العالمية الأولى 1914-1918 في : بحوث ودراسات مهداة إلى د. عبد الكريم غرابية ، ص 394 ، عمان ، 1989 .
- د. حران ، تاج السر ، تطور الفكر القومي بالعربي خلال العلاقات العربية-التركية في الفترة 1908-1914 ، منشورات معهد البحوث و الدراسات العربية ، بغداد ، 1983 .
- د. حرب ، محمد ، العثمانيون في التاريخ والحضارة ، 456 ص ، منشورات دار القلم ، دمشق ، 1989 .
- د. الحسناوي ، حبيب وداعة ، الوطن العربي في ظل الحكم العثماني من خلال كتب التاريخ لمرحلة الدراسة الاعدادية بليبيا في S.O.T.A.R. ، عدد 1 ، ص 198-202 .
- استانبول 1987 و منشورات مؤسسة وقف العلاقات التركية العربية ، استانبول ، 1986 .
- د. الداوقوي ، ابراهيم ، التأثير المتبادل بين اللغتين العربية والتركية في العهد العثماني في : الحياة الإجتماعية في الولايات العربية ، ص 346 ، منشورات سيرمدي-زغوان ، 1988 .
- د. دغرامجي ، آمال ، الجمهورية التركية و مكانة اللغة العربية في S.O.T.A.R. ، عدد 1 ، ص 41 .
- د. الراشدي ، سالم ، محمد الفاتح ، 440 ص ، الطبعة الثانية ، بيروت ، 1969 .
- د. رامزو ، تركية الفتاة و ثورة 1908 ، ترجمة د. احمد صالح العلي ، ص 259 ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1960 .
- د. رمضان ، عبد العظيم ، التأثير الحضاري للفتح العثماني في المشرق العربي في : الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني ، ص 609 ، منشورات المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، 1984 .
- د. الروسان ، مدح عارف ، فلسطين في مراسلات حسين مكماهون -1939 ، 115 ، قراءة جديدة في الوثائق و الدراسات المعاصرة ، استانبول ، 1990 .
- د. زين ، نور الدين ، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية ، 234 ص ، منشورات دار النهار للنشر ، بيروت ، 1972 .

- د. الساحلي ، خليل ، 'من سجلات محاكم الشرع في بوصة ، مغاربة في تركيا في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر' في المجلة التاريخية المغربية ، عدد 2 ، ص 47-50 ، تونس ، 1975 .
- سعيد ، أمين ، أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص 59 ، منشورات دار الكتاب العربي ، بيروت .
- د. السيار ، جميل ، حصار الموصل ... الصراع الإقليمي ، 288 ص ، الموصل ، 1990 .
- د. الشعبوني ، محمد ، موقف البلدان المغاربية من مسألة الخلافة -1926 1914 ، رسالة دكتورا نوقشت في صيف 1992 ، بكلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية لجامعة تونس .
- د. الشناوي ، عبد العزيز ، 'دور الأزهر في الحفاظ على الطابع العربي لمصر ابان العصر العثماني' في : أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، ، 677 ص ، منشورات مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، 1970 .
- د. الشناوي ، عبد العزيز ، الدولة العثمانية ، دولة اسلامية مفترى عليها ، ج 1 ، 688 ص ، القاهرة ، 1980 .
- د. الصباغ ، ليلي ، الجاليات الاوربية في بلاد الشام في العهد العثماني ، ج 1 ، 532 ص ، منشورات مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1989 .
- د. الصفصافي ، أحمد المرسي ، 'الدولة العثمانية و الولايات العربية في : الولايات العربية و مصادر وثائقها في العهد العثماني ، ص 608 ، منشورات ، سيرمدي- زغوان .
- طلاس ، مصطفى ، الثورة العربية الكبرى ، 664 ص ، منشورات مؤسسة طلاس ، دمشق .
- د. طوغ ، صالح ، 'نظرة الى العلاقات التربوية التركية-العربية في : S.O.T.A.R. ، عدد 1 ، ص 312-313 .
- د. هاشور ، سعيد عبد الفتاح ، مصر و الشام في عصر الايوبيين المماليك ، 381 ص ، منشورات دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1972 .
- د. هبة الرحمان هبة الرحيم ، عبد الرحيم ، الريف المصري ، من تقديم د. عزت هبة الكريم ، 313 ص ، منشورات جامعة عين شمس ، القاهرة ، 1974 .

- د. عبد الرحمان عبد الرحيم ، عبد الرحيم ، دراسة عن ضوابط قانون نامة مصر و مدى تطبيقها مع النص الذي ترجمه د. خليل ساحلي (وغلو : الدراسة والنص في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، عدد 1-2 ، ص 251-285 ، منشورات سيرمدي-زغوان ، 1990 .
- د. حماد عبد السلام ، رؤوف ، التاريخ و المؤرخون العراقيون في العهد العثماني ، 356 ص ، منشورات دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع ، بغداد ، 1983 .
- د. حماد عبد السلام ، رؤوف ، الموصل في العهد العثماني : فترة الحكم المحلي 1139-1249 هـ ، 1726-1834 م ، 648 ص ، منشورات مطبعة الاداب ، بغداد ، 1975 .
- حلوي ، حسن ، التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي في العراق 180 ص ، منشورات دار الزوراء ، لندن ، 1988 .
- فوائمه ، هنادي يوسف ، المملكة الهاشمية العجازية ، ص 33 ، منشورات دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، 1989 .
- د. قاسمية ، خيرية ، الحكومة العربية في دمشق بين 1918-1920 ، 318 ص ، منشورات دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1971 .
- قلعجي ، قدري ، الثورة العربية الكبير 1916-1924 ، 525 ص ، بيروت ، 1993 .
- د. كلشي ، حسن ، الوجه الآخر للإتحاد و الترقى ، ترجمة و تقديم د. محمد الأرنؤوط ، 97 ص ، منشورات قدسية للنشر و التوزيع ، اربد ، 1990 .
- د. كوثراني ، وجيه ، السلطة و المجتمع و العمل السياسي من تاريخ الولايات العثمانية في بلاد الشام ، 235 ص ، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1988 .
- د. لويس ، برنار ، استانبول و حضارة الخلافة الإسلامية ، تعريب سعيد رضوان علي ، 235 ص ، الرياض ، 1982 .
- د. مؤنس ، حسين ، اطلس تاريخ الإسلام ، باب الدولة العثمانية ، 527 ص ، منشورات دار الكتب ، القاهرة ، 1987 .
- د. فؤاد متولي ، محمد ، الفتح العثماني للشام و مصر و مقدماته من واقع الوثائق و المصادر التركية و العربية المعاصرة ، 411 ص ، القاهرة ، 1976 .

- د. المحافظة ، علي ، "صورة الأتراك في الكتب المدرسية التاريخية بمعاهد التعليم العام بالأردن" في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، عدد 7-8 ، منشورات سيرمدي-زغوان ، 1993 .
- د. منتران ، د. رويار ، "العلاقات بين القاهرة والأستانة خلال العهد العثماني" في أبحاث ندوة القاهرة ، ص 674 .
- موسى ، سليمان ، "المنشور الأول للثورة العربية الكبرى و توزيعه في شمال افريقيا" ، في المجلة التاريخية المغربية ، عدد 7-8 . ص 106-111 ، منشورات سيرمدي-زغوان ، 1977 .
- موسى ، سليمان ، لورانس العرب ، وجهة نظر عربية ، الطبعة الثانية ، ص 75-74 ، منشورات وزارة الثقافة ، عمان ، 1922 .
- موسى ، سليمان ، الثورة العربية ، محاولة للفهم ، في : المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، ، عدد 7 ، 8 ، ص 357-380 ، منشورات سيرمدي-زغوان ، 1993 .
- فريد بك ، محمد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق د. حسان حقي ، 830 ص ، منشورات دار النفائس ، بيروت ، 1981 .
- ياسين ، حكمت ، السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية ، 319 ص ، منشورات الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1981 .
- د. ياغي ، اسماعيل ، "التنظيمات القومية العربية في بلاد الشام 1876-1916" في : الحياة الإدارية و بروز الاقليات في الولايات العربية أثناء العهد العثماني ، ص 456 ، منشورات سيرمدي-زغوان ، 1992 .

مختصات المركز

تحت إشرافه - عبد الجليل التميمي

- المجلة التاريخية المغربية ، صدر منها منذ إنشائها (1974) ، 72 عدد .
- د - عبد الجليل التميمي ، بابلوك لمنطقتة والهاج احمد باي 1830-1837 ، 303 ص ، 24 اسما ، بالفرنسية تونس ، 1978 .
- د - عبد الجليل التميمي ، موجز الدفاتر المرعبة والتركية بالجزائر ، 116 ص ، تونس ، 1979 (تفخ)
- د - عبد الجليل التميمي ، بحث و وثائق في التاريخ المغربي ، الجزائر ، تونس و ليبيا (1816-1871) 208 ص ، الطبعة الثانية تونس ، 1980 .
- د - دو مينيك موتيس ، القنصلية الانجليزية بتطوان اشا ، تولي اوتوني هفنيه (1717-1728) 112 ص ، (بالفرنسية) تونس ، 1980 .
- د - عبد الجليل التميمي ، وثيقة من الاصلاح المدينة باسم الجامع الاعظم بمدينة الجزائر ، 92 ص ، (بالعربية و الفرنسية) ، تونس ، 1980 .
- شنتال دو لافارون ، مصادر فرنسية عن تاريخ المغرب الاقصى في القرن الثامن عشر (بالفرنسية) 2 128 ص ، تونس ، 1983 .
- د - عبد الجليل التميمي ، الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس و ليبيا ووسط و غرب إفريقيا خلال العصر الحديث ، 80 ص ، تونس ، 1981 .
- د - عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم ، المغاربة في مصر في العهد العثماني (1517- 2 ، بالعربية) ، تونس ، 1983 .
- د - لوي كاردايك ، الهوريسكيون الاندلسيون والمسيحيون ، المجاهدة الجدلية ، تعريب د - عبد الجليل التميمي 196 ص ، الطبعة الثانية ، زفوان ، 1989 .
- الولايات المرعبة و مصادر وثائقها في العهد العثماني ، مع إقامة فهارس لها ، 1 و 2 610 ص ، 3 ، 412 ص ، (بالفرنسية والانجليزية والعربية) ، جمع وتقديم د - عبد الجليل التميمي ، تونس ، 1984 .
- د - عبد الجليل التميمي ، بحث و وثائق في التاريخ المغربي ، الطبعة الثانية ، 256 ص ، (بالعربية) زفوان ، 1985 .
- الحياة الاقتصادية للولايات المرعبة و مصادر وثائقها في العهد العثماني ، 3 اجزاء ، 970 ص ، جمع و تقديم د - عبد الجليل التميمي ، (بالعربية و الفرنسية والانجليزية) زفوان ، 1986 .
- اعمال مؤتمر اللجنة العالمية للدراسات العثمانية المنعقد بكامبريدج سنة 1984 ، من الولايات المرعبة في العهد العثماني ، جمع و تقديم د - عبد الجليل التميمي ، 183 ص ، (بالانجليزية و الفرنسية) زفوان ، 1986 .
- د - ص - بوبكر ، االة تونس في القرن السابع عشر و علاقاتها الاقتصادية مع موانئ البحر الابيض المتوسط ، صرغها و لاهونة (بالفرنسية) 224 ص ، زفوان ، 1988 .
- الحياة الاجتماعية في الولايات المرعبة اشا ، العهد العثماني 3 اجزاء ، 1068 ص ، جمع و تقديم د - عبد الجليل التميمي ، (بالعربية و الفرنسية والانجليزية) ، تونس ، 1988 .
- شنتال دو لافارون ، مصادر فرنسية عن تاريخ المغرب الاقصى في القرن الثامن عشر 120 ص ، 3 ، (بالفرنسية) زفوان ، 1990 .
- شنتال دو لافارون ، مصادر فرنسية عن تاريخ المغرب الاقصى في القرن الثامن عشر 120 ص ، 4 ، (بالفرنسية) زفوان ، 1993 .
- د - عبد الجليل التميمي ، فخرس المجلة التاريخية المغربية من العدد 1 إلى 50 ، 402 ص ، (بالعربية و الفرنسية) زفوان ، 1988 .
- تطويق الهوريسكيون الاندلسيون للشمال الإسلامي (1492 - 1609) (النص الاسباني و الفرنسي) جمع و تقديم د - عبد الجليل التميمي ، 200 ص ، زفوان ، 1989 .
- د - بلقاسم المناسي ، الهجمات البحرية في المغرب الاقصى خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، 224 ص ، تقديم د - عبد الجليل التميمي ، زفوان ، 1989 .